التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم

الجزء السابع عشر

التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم

الجزء السابع عشر

الأستاذ الدكتور

عبّــاس عَليٍّ الفَحّام

الطبعَة الأولى / ٢٠٢٣م

مؤسسة دار الصادق الثقافية

طبع . نشر . توزيع

مؤسسة دار الصادق الثقافية (طبع- نشر- توزيع)

اسم الكتاب: التَّفسيرُ التَّحليليِّ للقُرآنِ الكَريم
الجزء السابع عشر

اسم المؤلف: الأستاذ الدكتور عبّــاس عَليِّ الفَحّام

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد: ١٢٥٠ لسنة ٢٠٢٣م

ردمك I.S.B.N.978-9922-702-09-4

رقم الطبعة: الأولى / ٢٠٢٣م

القطع الطباعي ١٧× ٢٤

عدد الصفحات: ٣٠٠

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف والناشر

تحذير
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الاشكال دون إذن خطي من المؤلف والناشر.

This book or any part of it may not be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form without the written permission of the author and publisher.

العراق – بابل – الحلة - شارع ابو القاسم - مقابل جامع ابن النما
هاتف: 009647801233129
E-mail:alssadiq@yahoo.com

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ

وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

الحشر: ٢١

صَدَقَ اللهُ العَليُّ العَظِيْم

سورة نوح

مكية، وهي ثمان وعشرون آية

غرض السورة بيان بعثة نوح ﷺ إلى قومه وعاقبة إنكارها وردها عنادا على الكفر، وفيها قدم شكواه لربه من قومه التي مهد بها للدعاء عليهم بالعذاب، وختمه بسؤال الاستغفار له ولوالديه ولخاصته ولعموم المؤمنين والمؤمنات، والسورة في مضمونها وعيد لمشركي مكة وتهديد لهم، وسياق آياتها شاهد على أنها مكية.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ ﴾

قوله (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه) الكلام إخبار غيبي ماض من الله تعالى لنبيه ﷺ، ابتدأ بحرف التأكيد للعناية بمضمونه، والإرسال مجاز من البعثة بالنبوة والتبليغ، وسموا قوم نوح باسمه لأنها أولى الأمم لم تتسم بعد باسم مكان أو قبيلة.

قوله (أن أنذر قومك) جملة تفسير للإرسال، وسمي التبليغ إنذارا لأن المقام مقام تخويف، فقوم نوح مشركون بالله، والإنذار التخويف من توقع خطر محدق.

قوله (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) أي: من قبل أن ينزل الله عليهم عذابا يفنيهم، وحرف الجر (من) مزيد للتأكيد، وإسناد الإتيان إلى العذاب على سبيل المجاز العقلي للمبالغة، ووصفه بالأليم يراد به المؤلم.

قال تعالى ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ ﴾

الاستئناف لأنها جملة بيان لقوله (أن أنذر قومك) دالة على كمال استجابة نوح لربه في أمر الإنذار والتبليغ، أو لأنها جملة جواب عن سؤال ناشئ مما سبق بتقدير: فماذا فعل نوح حين أرسله الله بإنذار قومه، فقال ما قال.

وفي كلام نوح لقومه دلالة على الشفقة عليهم، والتخوف لأجلهم، والرقة بهم، دل على ذلك جملة من العلامات التركيبية، كإضافة لفظ القوم إلى نفسه، فكأن ما يسوؤهم من ضر يسوؤه، واستعمال اللام في خطابه في (لكم) التي بمعنى الغاية، أي: لأجل انتفاعكم، وتقديم الظرف على عامله (نذير)، التي في معناها التخويف، ووصفه بالمبين أي الذي لا شبهة في رسالته التخويفية.

قال تعالى ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ ﴾

قوله (أن اعبدوا الله) جملة تفسير وتفصيل لما أجمل في معنى (نذير مبين)، والتصريح بلفظ الله متضمن لمعنى القصر بتقدير: اعبدوا الله وحده من دون شركة به، وذلك لأن قوم نوح وثنيون كانوا يعبدون الأرباب مع الله.

قوله (واتقوه وأطيعون) أي: واتقوا الله في اجتناب الشرك به وسائر المعاصي، والتزموا طاعتي فإن طاعتي من طاعة الله تعالى لأني مرسل منه تعالى.

قال تعالى ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾

قوله (يغفر لكم من ذنوبكم) جزم فعل الغفران لأنه جواب الأمر (اعبدوا)، والغفر الستر ويراد به التجاوز عن المعصية، و(من) للتبعيض لا محالة، لأن المراد غفران الذنوب المتحققة قبل الإيمان كالشرك ونحوه، لا بعده، في المستقبل، إذ لا معنى لمغفرة ذنوب لم تتحقق، وإن تحققت في المستقبل فلا معنى للوعد بمغفرتها، لأنها تستلزم إغراء على فعل القبيح، وإلغاء للتكاليف التي بمقتضاها يجزى العبد ثوابا أو عقابا، ونظير الآية قوله تعالى (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) [إبراهيم: ١٠]، وقوله (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) [الأنفال: ٣٨].

قوله (ويؤخركم إلى أجل مسمى) معطوف على (يغفر)، أي: ويمهل قبض أرواحكم إلى الأجل الذي لا يتغير ولا يتبدل، وذلك لأن أجل الإنسان أجلان: مسمى ثابت، وغير مسمى، يتبدل بشرط إتيان العبد بالطاعات ومنها عبادة التوحيد وتقوى الله كما يبدو من السياق، ولفظ الأجل تقال لانتهاء مدة الإنسان في حياته الدنيا، ولفظ المسمى معناه: المعين، الذي هو أقصى الأجلين.

قوله (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) تعليل للإمهال بطريق الاستئناف التحقيقي، دال على أن الإمهال أو التعجيل أمران منوطان به سبحانه، فلو قضى بإتيانه فلا راد له ولا تأخير، وفي الكلام تهديد بالتعجيل إن لم يبادروا إلى الإيمان والطاعة.

وإضافة لفظ الأجل إليه سبحانه للتعظيم والاختصاص، والمراد مطلق الأجل المعجل والمؤجل، وفعل الشرط مجاز عقلي من قضائه تعالى في إحلال الأجل، لأن مجيء الأجل لا يكون من نفسه، بل من أمره سبحانه، والنفي المطلق للتأخير لأن ذلك من وعده سبحانه في قوله (إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) [يونس: ٤٩].

قوله (لو كنتم تعلمون) أي: لو كنتم تعلمون أن لله أجلين لسارعتم إلى الإيمان به وطاعة نبيكم، ولكن لأنكم قوم تجهلون بقيتم على الكفر.

قال تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ ﴾

الاستئناف لبيان شدة تفاني النبي نوح عليه السلام في التبليغ، وشدة مقابلة قومه له بالإعراض، وحذف الياء من (رب) للتخفيف، وفي الإضافة دلالة الاستعطاف، وحذف مفعول (دعوت) للإيجاز، لأنه معلوم من سياق ما تقدم، والتقدير: دعوتهم إلى عبادتك وطاعتك وحدك، والإتيان بلفظ (قومي) ليحاذي به قوله تعالى (أنذر قومك)، والظرف المبني (ليلا ونهارا) لإفادة المداومة على الدعوة، وعدم تقصيره فيها.

قال تعالى ﴿ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ ﴾

الفاء للتفريع، أي: فلم يزدهم دعائي لهم بالتوحيد والطاعة إلا فرارا من إجابة دعوتي، وإسناد الزيادة إلى الدعوة على سبيل المجاز العقلي للمبالغة، وجعل الدعوة سببا للفرار من باب المجاز المرسل، نظير قوله تعالى في الحكاية عن النبي صالح ؑ: (فما تزيدونني غير تخسير) [هود: ٦٣]، وقوله عز وجل في صفة القرآن (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) [الإسراء: ٨٢]، وذلك كما قال السيد في الميزان: لأن الخير إذا وقع في محل غير صالح قاومه المحلّ بما فيه من الفساد فأفسده فانقلب شرا. انتهى. ونظيره قول زهير بن أبي سلمى:

ومن يفعل المعروف في غير أهله   يكن حمده شرا عليه ويذمِ

ولفظ الفرار استعارة للكفر والإعراض عن قبول دعوة نوح إلى الإيمان بتوحيد الله وطاعته، لذا الزيادة المقصودة بأثر الدعاء زيادة في الكفر الكائن فيهم أصلا، لأن الزيادة كما جاء في المجمع: هي إضافة الشيء إلى مقدار قد كان حاصلا، ولو حصلا جميعا في وقت واحد لم يكن لأحدهما زيادة على الآخر. انتهى.

والإتيان بأسلوب نفي الزيادة ثم الاستدراك بمفاجأة نقضها من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، ويسمى في البديع تأكيد الذم بما يشبه المدح، فإنه لما ذمهم بنفي الإيمان عنهم المضمن في نفي زيادة الدعوة، وأتى بأداة الاستثناء أوهم

السامع أنه سيقول مدحا لكنه فاجأه بإكمال ذمه ببقائهم على الكفر المضمن في لفظ الفرار.

قال تعالى ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ﴾

قوله (وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم) الواو للعطف، و(كلما) أداة للشمول، وحذف مفعول الدعوة كما حذف قبلها في (دعوت قومي، ودعوتهم) تعويلا على ذكرها في قوله (اعبدوا الله، واتقوه)، وجعل المغفرة غاية للدعوة للإشارة إلى أن دعوة نوح عليه السلام قومه إلى الإيمان مما ينفعهم وهو مغفرة الله تعالى لشركهم.

وجملة فعل الجعل جواب (كلما)، والتركيب مجاز مرسل بعلاقة الجزئية، أطلق الكل وهو لفظ الأصابع وأراد الجزء وهي الأنامل، مبالغة في شدة الإعراض بالمبالغة في سد المسامع، كيلا يصلها شيء من وعظ نوح وتبليغه.

قوله (واستغشوا ثيابهم) أي: وغطوا وجوههم بثيابهم، حتى لا ينظروا نوحا، وإشارات وعظه، والسين والتاء في فعل الغشيان للمبالغة في التغطية، وأكثر استعمال الغشاء لتغطية البصر، نحو قوله تعالى (وجعل على بصره غشاوة) [الجاثية: ٢٣]، وقوله (وعلى أبصارهم غشاوة) [البقرة: ٧].

ويجوز أن يكون سد الآذان بالأنملتين، واستغشاء الثياب من الحقيقة، لأن ذلك من أفعال المعاندين المصرين على الكفر، وفي الكلام إشارة إلى أن

نوحا عليه السلام لم يدخر وسيلة تبليغ إلا واتبعها، وقومه لم يدعوا وسيلة إعراض إلا وقابلوه بها.

قوله (وأصروا واستكبروا استكبارا) أي: وأصروا على الكفر، واستكبروا أن يدعوهم أحد منهم إلى التوحيد ونبذ الشرك استكبارا، والإخبار من باب الشكاية تمهيد لما يأتي بعده من أقوال نوح عليه السلام، والإصرار الشدة على تنجيز الفعل، وفعل الاستكبار مبالغة في الكبر والاستعلاء، واستعمال المصدر منه وتنكيره للمفعولية المطلقة، على سبيل المبالغة في تمكن الكبر من نفوسهم، فقد قيل: إن الرجل منهم كان يذهب بابنه إلى نوح، فيقول له: احذر هذا لا يغوينك، فإن أبي قد ذهب بي إليه وأنا مثلك، فحذرني مثل ما حذرتك. نقل في المجمع. انتهى.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ﴾

تفيد (ثم) التفاوت الرتبي في الكلام، أي: ثم إني بعد ذلك دعوتهم إلى التوحيد والطاعة دعوة جهارا، أو في حال من الجهار، ولفظ الجهار أصله من الجهر، يقال كما في المفردات: لظهور الشيء بإفراط حاسة البصر أو حاسة السمع، وفي الآية يراد به رفع الصوت، ونحوه قوله (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) [الإسراء: ١١٠].

قال تعالى ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾

أي: ثم إني دعوتهم إلى التوحيد والطاعة في حال الإعلان وفي حال الإسرار، يريد أنه لم يدع سبيلا إلا وسلكه لإقناعهم.

وبين جملتي الإعلان والإسرار مقابلة بديعية، وتكرار (لهم) مرتين لزيادة التقرير، واللام تفيد العلة، أي: لأجلهم، والمفعول المطلق (إسرارا) للتأكيد.

قال تعالى ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ ﴾

قوله (فقلت استغفروا ربكم) الفاء للتفريع، والقول من جملة دعوة نوحٍ قومَه إلى عبادة الله وتقواه، لأن الاستغفار سؤال مغفرة الله من الشرك والعصيان، والإتيان بلفظ (ربكم) لعلة الأمر، وهو لأنهم مربوبون له تعالى، مقهورون على عبوديته.

قوله (إنه كان غفارا) تعليل لطلب الاستغفار، وهو لأنه تعالى شأنه كثرة المغفرة لعباده العاصين.

قال تعالى ﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ ﴾

أي: ينزل غيث المطر من السماء عليكم كثيرا متتابعا، وجزم (يرسل) لأنه جواب الأمر (استغفروا)، وفعل الإرسال إطلاق بعد إمساك، استعارة لإنزال المطر، ولفظ السماء يراد به السحاب، وحرف الجر للاستعلاء، ونصب لفظ (مدرارا) على الحال، والصيغة مما يستوي فيه المذكر والمؤنث، والدرور مأخوذ من الدر، قال الراغب: والدرة أي اللبن، ويستعار ذلك للمطر استعارة أسماء البعير وأوصافه، فقيل لله دره، ودر درك. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾

قوله (يمددكم بأموال وبنين) العطف على (يرسل)، وفعل الإمداد استعارة للتكثير، بمعنى يزودكم بما تتقوون به وتكثرون من حوائج احتياجكم الإنساني، وأولها كثرة الأموال والبنين.

قوله (ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) الكلام من ذكر الخاص بعد العام، لأنها من جملة الأموال، خصا بالذكر لأنهما من ضروريات احتياج الإنسان إلى البقاء، أي: ويجعل لأجل نفعكم بساتين عظيمة، وأنهارا كثيرة لديمومة خضرتها، وصيغ المضارع لـ (يرسل، ويمدد، ويجعل) لإفادة التجدد والاستمرار.

ومعاني الآيات صريحة في أن ثمة ارتباطا بين الإيمان بالله وطاعته، وبين الحوادث الخارجية الطبيعية، كما يدل عليه قوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) [الأعراف: ٩٦]، وقوله (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) [الروم: ٤١]، وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات، وإغلاق خزائن الخيرات، ليتوب تائب ويقلع مقلع، ويتذكر متذكر، ويزدجر مزدجر، وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سببا لدرور الرزق ورحمة الخلق فقال: (استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين) فرحم الله امرأ استقبل توبته، واستقال خطيئته. انتهى.

وفي المجمع وغيره، روى الربيع بن صبيح أن رجلا أتى الحسن عليه السلام فشكا إليه الجدب، فقال: استغفرِ الله، وأتاه آخر فشكا إليه الفقر، فقال له: استغفرِ الله، وأتاه آخر فقال: ادع الله أن يرزقني ابنا، فقال له: استغفرِ الله، فقلنا : أتاك رجال يشكون أبوابا، ويسألون أنواعا، فأمرتهم كلهم بالاستغفار؟ فقال: ما قلت ذلك من ذات نفسي، إنما اعتبرت فيه قول الله تعالى حكاية عن نبيه نوح، إنه قال لقومه: (استغفروا ربكم) إلى آخره. انتهى.

قال تعالى ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾

قوله (ما لكم) الاستفهام من نوح عليه السلام للتعجيب من حال قومه، بمعنى: أي شيء ثبت لكم.

قوله (لا ترجون لله وقارا) ونفي الرجاء نفي مطلق الخوف، أو الاعتقاد بما فيه مسرة، واللام في (لله) للملك، والوقار التوقير والتعظيم، ولازمه ثبوت الربوبية، ومحصل المعنى: أي شيء ثبت لكم تنفون به الربوبية عن إلهكم، وتعدون له أربابا شركاء.

قال تعالى ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾

أي: والحال إنه تعالى لإتقان تدبيره خلقكم في أطوار مختلفة، فطورا نطفة، ثم طورا علقة، ثم مضغة ثم عظاما ثم كسا العظام لحما، ثم أنشأه جنينا فشابا فكهلا، وجعلكم متفاوتين في القوة والضعف، ومختلفين في الذكورة والأنوثة،

وفي الألوان والهيآت ليكمل بعضكم بعضا، ولفظ الأطوار بمعنى الانتقال من حال إلى حال، ونصبه على الحال.

قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ﴾

الاستفهام للتقرير، وفعل الرؤية للعلم، واسم الاستفهام (كيف) مجرد من السؤال لبيان الحال، وخلق الله إيجاده وتدبيره، ولفظ السماوات يراد به أجرامها السيارة التي تشبه بعضها بعضا، و(طباقا) صفة لـ (سبع)، والمطابقة تعني المشابهة أو المتراصة طبقة فوق طبقة، وتقدم الكلام فيها في سورة الملك، في قوله تعالى (الذي خلق سبع سماوات طباقا) [الآية: ٣]، وإلى هذا المعنى العجيب قوله عليه السلام في نهج البلاغة: وكان من اقتدار جبروته وبديع لطائف صنعته أن جعل من ماء البحر الزاخر المتراكم المتقاصف يبسا جامدا، ثم فطر منه أطباقا، فنتقها سبع سماوات بعد ارتتاقها فاستمسكت بأمره. انتهى. أقول: لا يراد بالبحر الاسم المعروف، وإنما المراد مادة الأجرام قبل تكاثفها، فهي لأنها مائرة مائجة أشبه بالبحر العظيم.

ويبدو من احتجاج نوح عليه السلام بآثار الربوبية أن إخباره هذا في كون السماوات سبعا طباقا مسلم به عند قومه.

قال تعالى ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾

قوله (وجعل القمر فيهن نورا) دليل آخر حكاه الله تعالى عن نبيه نوح عليه السلام أثبت به لقومه ربوبيته تعالى وتدبيره للعالم.

وفعل الجعل كما قال الشيخ الطوسي: حصول الشيء على المضي بقادر عليه، وقد يكون ذلك بحدوث نفسه، وقد يكون بحدوث غيره له، والجعل على أربعة أوجه: أولها: إحداث النفس، كجعل البناء والنساجة وغير ذلك، والثاني: بقلبه، كجعل الطين خزفا، والثالث: بالحكم كجعله كافرا أو مؤمنا، والرابع: بالدعاء إلى الفعل، كجعله صادقا وداعيا. انتهى.

وتعريف القمر للعهد يراد به الكوكب المعروف، قال الراغب: القمر قمر السماء يقال له عند الامتلاء، وذلك بعد الثالثة، قيل: وسمي بذلك لأنه يقمر ضوء الكواكب ويفوز به. انتهى.

وحرف الجر (في) في شبه الجملة (فيهن) للملابسة الظرفية، والضمير راجع إلى السماوات، وجعل السماوات ظرفا لنور القمر لأنه في حيزهن، دائر في فلك منظومة الشمس وأجرامها، وضمير الجمع مع أن القمر في حيز واحدة منها هي الشمس لأن ما كان في إحداهن كان فيهن، كما يقال: إن في هذه الدور لبئرا، وأنت تريد واحدة منها، واللفظ (نورا) كأنه تصيير مجازي من الجعل، لأنه من التشبيه البليغ المحذوف الأداة ووجه الشبه للمبالغة في اتحاد الصفة بين طرفيه المشبه والمشبه به، وجعله نورا باعتبار ما يتلقى من ضوء الشمس، ويعكسه لأهل الأرض ليلا، يستضيئون به في غمرة لياليهم.

قوله (وجعل الشمس سراجا) أي: وجعل الشمس المعروفة كسراج من حيث التوهج، فهي سراج العالم كما أن المصباح سراج هذا الإنسان، والسراج شعلة النار التي يستضاء بها ويدفأ، ولإتقان الله في تدبيره سخر الشمس والقمر لأجل إبقاء الحياة على الأرض.

قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ﴾

العطف وإظهار لفظ الجلالة بعد الفراغ من ذكر خلق السماوات السبع، لبيان حجة أخرى من تدبيره تعالى واستحقاقه الربوبية، وهي أصل خلقة الإنسان نفسه، لأنه جزء من تدبير الله لهذا العالم، بل المقصود المكلف فيه.

والإنبات إخراج النبات من الأرض، شبه به نمو الإنسان وإظهاره مخلوقا سويا باعتبار الكيفية الخاصة لتركيبه من عناصر الأرض، وتغذيته ونموه منها.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ ﴾

تفيد (ثم) ـ كما تقدم مرارا ـ التراخي الرتبي، والإعادة في الأرض كناية عن الإماتة والدفن، والإخراج كناية عن البعث من القبور يوم القيامة للحساب، وتنوين (إخراجا) على المفعولية المطلقة، للتأكيد والتمكين، وسقوط (ثم) مع الإخراج لإفادة أن الإعادة والإخراج كالصنع الواحد كما قال السيد في الميزان.

قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ ﴾

التصريح للفظ الجلالة للقصر، دال على كمال ربوبيته، واللام في (لكم) بمعنى: لأجلكم، والتقديم للعناية، وتعريف الأرض للعموم، وتشبيهها بالبساط من التشبيه البليغ، بجامع سهولة الانتقال والتقلب.

قال تعالى ﴿ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠ ﴾

جملة غائية لخلق الأرض منبسطة، وهي سهولة الانتقال بين طرقها، وتعدية فعل السلوك بـ (من) لتضمنه معنى الخروج والانتقال من طريق إلى آخر، ولفظ السبل جمع سبيل، وهي الطرق السهلة الآمنة، والفجاج جمع فج، صفة لـ (سبل) بمعنى الطريق الواسعة، وقيل: إن الفجاج هي الطريق الواقعة بين الجبلين.

قال تعالى ﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١ ﴾

قوله (قال نوح رب إنهم عصوني) الاستئناف بدل من قوله (قال رب إني دعوت قومي)، وإظهار (نوح) من دون استعمال ضميره لطول الفصل، ومضمون القول الشكاية لربه من شدة عصيان قومه له.

قوله (واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) جملة مقابلة لـ (عصوني)، أي: وأطاعوا الكافرين من أصحاب القوة ممن يملكون المال والولد.

وجيء بالموصول وصلته من دون التصريح بلفظ الكافرين، لتسجيل الجحود عليهم بمقابلة إمداد ربهم بالمال والبنين بالكفر به، ولفظ الولد اسم جمع يقال للمفرد والجمع، ولفظ الخسار بمعنى الخسران، استعارة من ضياع رأس المال، لبيان شدة الخيبة، حيث لا ينتفع بعود نفع المال والبنين عليه يوم القيامة.

قال تعالى ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢ ﴾

المكر عمل ظاهره النفع للغير وشره خاف، وكما قال الشيخ الطوسي: الفتل بالحيلة الخفية إلى خلاف الجهة الموافقة بما فيها من المضرة. انتهى.

وقد كان من مكرهم تفنن احتيالهم في الدين، وصدهم للناس عنه، وتحريشهم [أي: إغراؤهم] سفلتهم على قتل نوح عليه السلام وأذيته.

وضمير الجمع في (مكروا) باعتبار المعنى الجمعي في اسم الموصول (من) في قوله (واتبعوا من)، كما أن الإفراد في (يزده، ماله، ولده) باعتبار ظاهر لفظه.

وتنكير (مكرا) للنصب على المفعولية المطلقة ويفيد النوعية، ووصفه بـ (كبارا) أي: كبيرا، مثل: عجيب عجّاب.

قال تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ ﴾

قوله (وقالوا لا تذرن آلهتكم) الكلام من تتمة شكاية نوح لربه، والقائلون الذين أخبر عنهم نوح عليه السلام هم الأغنياء ذوو المال والبنين، يخاطبون أتباعهم الفقراء ويحرضونهم على البقاء كافرين، وألا يتركوا عبادة آلهتهم الموروثة.

وتفيد (لا) النهي، و(تذرن) أي: تتركن، وإضافة لفظ الآلهة إلى ضمير المخاطبين لإلهاب حمية العصبية في نفوسهم.

قوله (ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) تكرار جملة النهي (ولا تذرن) لزيادة التقرير، والأسماء التي ذكرت أسماء آلهتهم المزعومة قيل: إنها في الأصل أسماء لأفراد صالحين من أسلافهم من أولاد آدم، أغراهم الشيطان بعمل نصب لهم وبتقادم السنين وسوس لهم بعبادتها فاتخذت آلهة، ومع أن الطوفان جرفها واستأصل أهلها إلا أن حكاياها الموروثة بين الأجيال في جزيرة العرب بعد ذلك ترجح فرض انتقال أسماء هذه الأصنام إلى العرب، فكان ود لقبيلة كلب، وكان على صورة رجل، وسواع لهمدان على صورة امرأة، ويغوث لمذحج على صورة أسد، ويعوق لمراد على صورة فرس، ونسر لحمير على صورة نسر، ولا ريب في أن ذكرها في الآية تلويح بالتهديد لمشركي مكة زمن النبي ﷺ، وتعريض بهم.

قال تعالى ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾

قوله (وقد أضلوا كثيرا) أي: وقد أضل هؤلاء الأغنياء خلقا كثيرا من قومي بصدهم عن وعظي ودعوتي لهم إلى التوحيد.

قوله (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) الكلام من تتمة دعاء نوح على قومه، وسماهم ظالمين لأنهم مشركون بالله، وللإشعار بعلة حكم ضلالهم، والزيادة المقصودة إمدادهم بما يزيدهم بعدا عن الحق ويقربهم أكثر إلى العقاب، وذلك بأن يرفع ألطافه عنهم ويمدهم بأسباب القوة كالمال والبنين.

قال تعالى ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥ ﴾

قوله (مما خطيئاتهم أغرقوا) الكلام في تأكيد استجابة الله دعاء نبيه نوح عليه السلام على قومه، وإهلاكه لهم بعد ذلك، وحرف الجر (من) في (مما) تفيد التعليل، و(ما) زائدة لتفخيم أمر الخطيئات، والخطيئات جمع خطيئة وهي المعصية المتعمدة، والمعنى: وبسبب خطيئاتهم الكثيرة وأولها إصرارهم على الشرك كتب عليهم عقاب الإفناء بالإغراق.

قوله (فأدخلوا نارا) الفاء للترتيب الذكري، والمراد إماتتهم وإدخالهم النار في عذاب البرزخ، والآية من أدلة هذا النوع من العذاب في عالم الانتظار، وتنكير (نارا) للتهويل، ومن بديع التقابل في الآية الجمع بين الإغراق بالماء والإدخال في النار.

قوله (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) الفاء للتفريع، أي: فعلموا حينئذ يقينا بعدم وجدانهم أنصارا يدفعون عنهم النار من دون الله، ولا يخلو النفي من تهكم بهم وبآلهتهم المزعومة.

واللام في (لهم) مشبهة للملك، وتقديمها على عاملها (أنصارا) للأهمية، وكذا تقديم (من دون الله) واصل الجملة: فلم يجدوا أنصارا لهم من دون الله.

قال تعالى ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ ﴾

العطف على قوله (قال نوح رب إنهم عصوني)، لأنه من تتمة دعائه عليهم، وإظهار الاسم لطول الفصل، ولوقوع الجمل الآنفة معترضة بينها، لإفادة التمهيد لسبب دعائه عليهم بالهلاك.

وجاء دعاء نوح هذا بعد اليأس من إيمان قومه، في أخريات عمره الممتد ألف سنة إلا خمسين، وقيل: بعدما أنزل عليه قوله تعالى (لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) [هود: ٣٦]، والنهي في (لا تذر) معناه: لا تترك، و(على) مجاز للتمكين، وتعريف الأرض للعهد أي: بلدته، إذ لا قوم مخلوقين يومئذ على الأرض غير قومه، ولا تنافي بين أن يكون المقصود بهم قومه خاصة وبين شمول الطوفان الأرض جميعها، فذلك واقع في تدبيره سبحانه لعالم ما بعد الطوفان، وتقدم الكلام فيه في سورة الأعراف [الآية: ٦٤]، و(من) بيانية، ولفظ الكافرين قومه المشركون، و(ديارا) مفعول (تذر) بمعنى: أحدا ساكنا في الديار، أو من الدوران، أي: أحدا يدور في الأرض.

قال تعالى ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ٢٧ ﴾

قوله (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك) الفصل لتعليل الدعاء، أي: لأنك يا رب إن تركتهم أحياء ولم تهلكهم يفتنوا عبادك في الدين ويضلوهم.

قوله (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) ولا يلدوا إلا فاسقا خارجا عن زي العبودية كفارا بك شديد الكفر، فلا فائدة في بقائهم من جهة حاضرهم ومن جهة

مستقبلهم في أنسالهم، وعلم نوح عليه السلام بذلك مع أنه من الغيب مما أخبره الله بذلك كما تقدم في قوله تعالى (لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) [هود: ٣٦].

قال تعالى ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله (رب اغفر لي ولوالدي) ختم نوح عليه السلام دعاءه بطلب المغفرة منه سبحانه له ولوالديه، لأن ذلك من تمام المعرفة بربه، وتمام البر بالوالدين.

قوله (ولمن دخل بيتي مؤمنا) أي: شمول المغفرة لمن التحق به في سفينته مؤمنا، وهم خاصته.

قوله (وللمؤمنين والمؤمنات) أي: وطلب المغفرة لعموم المؤمنين والمؤمنات بالله.

قوله (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) أي: ولا تزد الظالمين إلا هلاكا، وسماهم ظالمين لأنهم مشركون بالله، والشرك أشد الظلم، والتبار الهلاك والعقاب، وهلاكهم يكون بأن يكلهم إلى أنفسهم فيزدادون بعدا عن الحق وقربا من الشيطان.

سورة الجن

مكية، وهي ثمان وعشرون آية

السورة مكية بشهادة سياقها، افتتحت بقصة استماع نفر من الجن إلى القرآن، وإيمانهم به وبأصول حقائقه، وتقدم نظيره في سورة الأحقاف، وخلصت منها إلى تعظيم النبوة والوحدانية في الربوبية والمعاد، وفيما وراء السورة تعريض بمشركي مكة الذين بعث إليهم النبي ﷺ من بينهم وبلسانهم، ولم يؤمنوا.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ ﴾

قوله (قل أوحي إلي) الأمر من الله تعالى لنبيه ﷺ يأمره فيه أن يخبر قومه المشركين بقصة إيمان نفر من الجن لمجرد الاستماع إلى آيات القرآن، تعريضا بهم، لأنهم لِما أنهم بشر مكلفون والقرآن نازل بلغتهم كان من الأولى التصديق به واتباعه بدلا من إنكاره وجحود معجزته.

والفعل المبني للمجهول (أوحي) دال على ان النبي ﷺ لم يكن يعلم بقصة استماع الجن، ولم يقرأ آيات الكتاب عليهم، بل أخبره الله تعالى بطريق الوحي.

قوله (أنه استمع نفر من الجن) جملة تفسير للوحي، والهاء المقترن بحرف النسخ ضمير الشأن، والاستماع تكلف سماع الصوت بالإصغاء إليه، ومفعوله محذوف لدلالة السياق عليه يراد به آيات القرآن التي تلاها الرسول ﷺ وقت تواجدهم، ولفظ النفر يقال للجماعة المعدودة من ثلاثة إلى تسع، وقيل: إلى أربعين، و(من) بيانية، والجن كائنات مخلوقة من نار، ترانا ولا نراها، عاقلة منهم مؤمنون ومنهم كافرون.

قوله (فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا) الفاء للتفريع، وفي الكلام حذف لغاية الإيجاز، بتقدير: فقال الجن لما رجعوا إلى قومهم: إنا سمعنا كلاما مقروءا عجبا.

ولفظ العجب مصدر صفة للقرآن، والعجيب: النادر الذي يدخل السرور في النفس بخفاء، وصفوا به القرآن لأنه في نظمه وتأليفه خارق للعادة عن الكلام العادي.

وفي أسباب النزول روى الواحدي ـ ومثله في صحيح مسلم والبخاري ـ بإسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم، انطلق رسول الله في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي ﷺ وهو بنخل، عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن

استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم وقالوا: (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) فأوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن). انتهى.

ومضامين السورة مر نظيرها في سورة الأحقاف كقوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين) [الأحقاف: ٢٩].

قال تعالى ﴿ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ ﴾

قوله (يهدي إلى الرشد) الجملة محلها الصفة لـ (قرآنا)، أي: قرآنا هاديا إلى سبيل الرشد والصواب، ونسبة الهداية إلى القرآن نسبة مجازية عقلية للمبالغة.

قوله (فآمنا به) الفاء لترتيب الأثر على السبب، وهو الإيمان به معجزة منزلة من الله تعالى.

قوله (ولن نشرك بربنا أحدا) أي: ولن نشرك فيما بعد بعبادة الله أحدا، بل نكون موحدين له سبحانه فهو ربنا.

قال تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ ﴾

على وفق القراءة المشهورة بفتح (أن)، يكون العطف على الضمير المجرور في قوله (وآمنا به) بمعنى: وآمنا بأنه تعالى جد ربنا، على رأي نحاة الكوفة في جواز العطف على الضمير المتصل المجرور، وهو الأوفق من الآراء اللغوية الأخرى المذكورة في التفاسير لمن يرغب بالاطلاع.

والفعل (تعالى) فعل ماض أصله من العلو، مستعمل في الأدب القرآني في صفة الله سبحانه وتنزيهه كقوله (تعالى عما يشركون) [النحل: ٣] وقوله (تعالى الله عما يشركون) [النمل: ٦٣]، وهنا استعمل لأول مرة في غير لفظ الجلالة ولكن قريب في معناه، ففاعله (جد) وأضيف إلى (ربنا)، أي: تعالى جلال ربنا وعظمته.

والجد أصله القطع والانقطاع، ويراد بها العظمة، قال في التبيان: ومعناه تعالى عظمة ربنا، لانقطاع كل شيء عظمة عنها، لعلوها عليه، ومنه الجد أبو الأب، والجد الحظ، لانقطاعه بعلو شأنه، والجد ضد الهزل، لانقطاعه عن السخف، ومنه الجديد، لأنه حديث عهد بالقطع في غالب الامر. انتهى.

وفي المفردات: الجد قطع الأرض المستوية ومنه جد في سيره يجد جدا وكذلك جد في أمره وأجد صار ذا جد، وتصور من جددت الأرض القطع المجرد فقيل جددت الأرض إذا قطعته على وجه الإصلاح، وثوب جديد أصله المقطوع. وفيه: وسمى الفيض الإلهي جدا قال تعالى: (وأنه تعالى جد ربنا) أي: فيضه، وقيل: عظمته. انتهى.

قوله (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) أي: لكمال عظمته تعالى وغناه عن كل احتياج لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، والصاحبة الزوجة، والولد للابن والبنت، وتنكير اللفظين للعموم.

قال تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ ﴾

الإخبارات حكاية من الله تعالى عن هذا الجن الذي آمن، والسفيه الناقص العقل، ونسب إليهم بضمير الجمع لأنه جن منهم أريد به جنس أهل الكفر منهم، لا واحد بعينه، أي: جاهلنا، ويحتمل أن يراد به إبليس كما قيل.

والقول الشطط القول البعيد عن الحق، وهو الكذب في التوحيد والعدل، وتعدية فعل القول بحرف الجر (على) دلالته الانتقاص، كما أن تعديته بحرف التجاوز (عن) الإخبار، وإظهار لفظ الجلالة لتفظيع جرأتهم عليه سبحانه، ونصب (شططا) على الحال، وأصل الشط في اللغة الابتعاد.

قال تعالى ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ ﴾

أي: وأنا اعتقدنا أن الإنس والجن يصدقون في ادعاء الشرك على الله وأن له صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن فعلمنا كذبهم.

قال تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ ﴾

العطف بمعنى: والذي زاد الأمر سوءا أن رجالا من الإنس كانوا يلتجئون إلى رجال مشركين من الجن فزادوهم طغيانا وإثما، وذلك كما ذكر في التفاسير: وكان الرجل من العرب إذا نزل الوادي في سفره ليلا، قال: أعوذ بعزيز هذا الوادي من شر سفهاء قومه، وكان هذا منهم على حسب اعتقادهم أن الجن تحفظهم، وقيل: وأول من تعوذ بالجن قوم من اليمن، ثم بنو حنيفة، ثم فشا في العرب. اه.

وقيل: إن ذلك العوذ كان من طريق الكهانة، وهو المروي عن الباقر عليه السلام: قال: كان الرجل ينطلق إلى الكاهن الذي يوحي إليه الشيطان فيقول: قل للشيطان: فلان قد عاذ بك. ذكر في تفسير القمي. انتهى.

ولفظ الرجال يطلق على الذكر البالغ من الإنس، وإطلاقه على الجن على سبيل المشاكلة، والله أعلم، و(من) للتبعيض، والعوذ الالتجاء والاستعانة، وصيغة مضارع الفعل لاستحضار الحال.

والفاء في (فزادوهم رهقا) لترتيب الأثر على السبب، أي: فزادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ، وضمير الجمع الأول فيه ـ أي الواو ـ عائد إلى الرجال من الإنس، وضمير الجمع الثاني ـ أي هم ـ عائد إلى الرجال من الجن، ويحتمل العكس، ولفظ الرهق أصله الغشيان، ولازمه في السياق الإثم والطغيان والاستكبار، ونصبه على الحال.

قال تعالى ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ ﴾

أي: قال مؤمنو الجن لكفارهم: اعتقد كفار الإنس المتعوذين برجال من الجن مثل اعتقادكم أن لن يبعث الله رسولا من بعد موسى وعيسى، حتى سمعنا القرآن فاهتدينا، وعلى هذا فضمير جمع الغائبين في (أنهم، ظنوا) راجع إلى كفار الإنس، وضمير جمع المخاطبين في (ظننتم) راجع إلى كفار الجن.

وعلى رأي من قال إن الكلام في الآية والتي قبلها ليس من كلام الجن بل من قول الله تعالى معترضا بين الكلام المحكي عن الجن يكون الضمير في (أنهم) عائدا إلى الجن والخطاب في (ظننتم) إلى الناس، وهو رأي يفكك سياق الإخبار المتصل عن الجن، فمقتضى الخبر في الآية التعريض بمشركي العرب، لكونهم الأولى بالإيمان برسول من جنسهم ولسانهم.

قال تعالى ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ ﴾

قوله (وأنا لمسنا السماء) لمس السماء مبالغة في الصعود إليها والاقتراب منها حتى كأنهم لمسوها، لاستراق السمع منها.

قوله (فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) الفاء للتفريع، أي: فوجدناها ملئت حرسا كثيرا شديدا قويا وشهبا يرمون بها من يسترق الأخبار منها، والآية في معنى قوله تعالى (فأتبعه شهاب مبين) [الحجر: ١٨]، وقوله (فأتبعه شهاب ثاقب) [الصافات: ١٠]، ونصب (حرسا) على التمييز، واللفظ اسم

جمع، والشديد القوي، والشهب جمع شهاب، وهو صاعقة النار، سلاح الملائكة الحفظة.

قال تعالى ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ ﴾

قوله (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) أي: وأنا كنا قبل هذا نقعد من السماء مقاعد خالية من الحرس والشهب لأجل استراق الأخبار من الملائكة عن رسول يبعث إلى الأرض.

قوله (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) الفاء للتفريع، والمعنى: لا أحد الآن بعد ذلك يقعد من السماء ويسترق الأخبار لأنه سيجد شهابا رصا ترميه به الملائكة، والكلام يشير إلى أن منع الجن من الصعود إلى السماء جرى بعد بعثة النبي ﷺ، أما قبلها فكانوا يستطيعون.

قال تعالى ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ ﴾

أي: وأنا بسبب هذا المنع أبهم علينا الأمر، فلا ندري، أعذاب سيقع بأهل الأرض، أم لنبي يبعثه إليهم ربهم يأتيهم بالخير، لأن هذا المنع لا يكون إلا لأحد هذين الأمرين.

ونفي الدراية إشارة إلى تحير الجن بسبب المنع، وتنكير (شر) للتهويل، وإبهام الفاعل في إرادة الشر من باب التأدب في عدم إسناده إلى الله، بينما أظهره مع الرشد، قيل: ونسبة الخير إلى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما في قوله تعالى (وإذا مرضت فهو يشفين) [الشعراء: ٨٠]، وقوله (غير المغضوب عليهم) [الفاتحة: ٧]، ولفظ الرشد ضد الغي، وتنكيره للنوعية، ويراد به ما يعود على الناس في الأرض من خير البعثة.

قال تعالى ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ ﴾

قوله (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك) أي: ومنا الصالحون في الطبع المستعدون لقبول الهداية، ومنا غير ذلك، أي: السيئون.

قوله (كنا طرائق قددا) جملة تحقيق لاختلافهم بطريق التشبيه البليغ، وهو تفرقهم كطرائق قدد، أي: مذاهب شتى، ولفظ الطرائق جمع طريقة، والقدد صفة لها، جمع قدة، وهي القطعة، مأخوذة من القد وهو القطع طولا، أي: الطرق المقطوع بعضها عن بعض التي تفضي بسالكيها إلى غايات شتى.

قال تعالى ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ ﴾

أي: وأنّا على يقين من قدرة الله علينا كائنين في الأرض، وقدرته علينا هاربين في السماء، يريد إن فساد الجن في الأرض بقدر مقدور منه سبحانه، لا باستقلال إرادتهم عن إرادته تعالى.

وفعل الإعجاز كناية عن نفي الغلبة عليه تعالى بالإفساد في الأرض، و(في) للتلبس الظرفي يفيد الحال، بمعنى: مستقرين في الأرض، ونصب (هربا) على الحال.

قال تعالى ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ١٣ ﴾

قوله (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به) تكرار (أنا) للتحقيق، أي: وأنا لما سمعنا القرآن صدقنا بأنه من الله، وسمي (الهدى) على سبيل المجاز المرسل باعتبار ما يؤول بسامعه إلى الهدى والرشاد.

قوله (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) الفاء لتفريع علة الإيمان على معلوله سماع الهدى، إشارة إلى سرعة البادرة إلى الإيمان بالقرآن، والفاء الثانية واقعة في جواب (من) الشرطية، والبخس نقص العدل ويراد به الظلم، والرهق غشيان الذل والمكروه، وتنكير اللفظين للعموم.

قال تعالى ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ١٤ ﴾

قوله (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) الكلام تقرير لصفتهم (طرائق قدد)، أي: وأنا من بعضنا المطيعون المسلمون أمرهم لله، ومن بعضنا القاسطون المائلون إلى الباطل عن الحق.

قوله (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) الفاء للتفريع، أي: فمن أسلم لأمر ربه فأولئك قصدوا إصابة الحق.

والفاء الثانية واقعة في جواب (من) الشرطية، واسم الإشارة للتنويه بما سيخبر عنهم، وجمعه باعتبار المعنى الجمعي في (من)، والتحري توخي معرفة الشيء وطلبه، و(رشدا) صفة لمحذوف تقديره: أمرا رشدا عظيما يوصلهم إلى دار الثواب.

قال تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾

أي: وأما القاسطون الجائرون عن الإسلام فكانوا حطبا لجهنم توقد بهم مثل كفار الإنس، وتقديم شبه الجملة (لجهنم) للعناية بتعجيل المساءة.

قال تعالى ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾

الكلام من قوله تعالى معطوف على (استمع) بمعنى: وأوحي إلي أنه لو استقام كل من الإنس والجن على ملة الإسلام لوسع الله عليهم خيرا كثيرا.

و(ألو) مكونة من (أن) المخففة من الثقيلة أدمج معها حرف الافتراض (لو)، وتقديرها: وأنه لو، فيكون اسمها ضمير الشأن وجملة (لو) محلها الخبر لـ (أن)، والاستقامة كناية عن الثبات في الإيمان، ولذلك عدي بحرف الاستعلاء (على)، وضمير الجمع عائد إلى الجن والإنس، وتعريف الطريقة للعهد يراد بها ملة الإسلام، واللام في (لأسقيناهم) واقعة في جواب (لو)، وتنكير(ماء)

للتعظيم، والغدق صفة له، أي: ماء كثيرا، وخص الماء بالذكر لأنه أصل الحياة.

قال تعالى ﴿ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ١٧ ﴾

قوله (لنفتنهم فيه) أي: لنختبرهم في سعة الرزق والخير، حتى يصلوا به إلى استحقاق الثواب والجنة في الآخرة.

قوله (ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا) أي: ومن يعرض عن الإيمان بالله يدخله الله عذابا شاقا صعبا يعلوه ويغلبه.

والالتفات بإضافة الضمير إلى لفظ الرب دون أن يقال: ذكرنا، لإفادة علة الجزاء، واللفظ (صعدا) مصدر استعمل صفة لـ (عذابا)، مبالغة في التصعد على المعذب وغلبته.

قال تعالى ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ ﴾

العطف على قوله (أنه استمع) بمعنى: وأوحي إلي أن المساجد لله، ولفظ المساجد جمع مسجد، ويراد بها مطلق العبادة لله تعالى، واللام في (لله) للاختصاص والملك.

قوله (فلا تدعوا مع الله أحدا) الفاء لتفريع النتيجة على السبب، لأن أصل الكلام: لا تدعوا مع الله أحدا لأن المساجد لله، وفعل الدعوة بمعنى العبادة كما

هو استعماله المكرور في القرآن الكريم كقوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) [الأنعام: ٥٢]، وقوله (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) [الأنعام: ١٠٨]، وقوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) [الكهف: ٢٨]، وقوله (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) [الفرقان: ٦٨].

قال تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩ ﴾

العطف على قوله (وأنه استمع)، و(لما) حرف شرط يفيد التوقيت، وفعل القيام كناية عن أداء الصلاة وقراءة القرآن، وتسمية النبي ﷺ بـ (عبد الله) تسمية تشريف وتبجيل، وللإشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته، وفيها تعريض بالمشركين الذين يعبدون غير الله.

وجملة (يدعوه) محلها الحال من فاعل (قام)، وفعل مضارع الدعاء بمعنى: يعبده، لأن الدعاء عبادة وبالعكس، وجملة (كادوا) جواب (لما)، وضمير الجمع فيه وفي (يكونون) راجع إلى مشركي مكة، والهاء في (عليه) عائد إلى النبي ﷺ ، و(لبدا) جمع لُبْدة، من تلبد بعض الشيء على بعض، ومنها لبدة الأسد، ومراد المعنى: وأنه لما قام النبي ﷺ يدعو الله ويصلي كاد المشركون يكونون لشدة ازدحامهم عليه لبدا مجتمعين متراكمين، وقد كان ذلك من أساليب صد الناس عنه، وقيل: الضميران في (كادوا يكونون) راجعان إلى الجن، مجتمعين ينظرون إليه متعجبين من تلاوة قرآن لم يسمعوا له مثيلا، وقيل للمؤمنين، وما ذكرنا أوفق اتصالا بالسياق.

قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾

أمر من الله تعالى لنبيه لإزالة حيرتهم من عبادة عبده وتعجبهم، وهو إنما غرضه عبادة الله وحده من دون شريك به، لا يريد بذلك الكيد بأصنامهم ولا انتفاعا دنيويا كالتسلط عليهم، وعبادة التوحيد ليس ببدع مستنكر يوجب العداوة والتعجيب.

وتفيد (إنما) القصر بنفي ما قبلها وتأكيد ما بعدها، وفي إسناد الرب إلى ياء نفسه مناسبة لما ذكر في أنه (عبد الله)، ومعنى (لا أشرك به): لا أشرك بعبادته.

قال تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ ﴾

أي: أخبر قومك، بأنك رسول مهمتك تبليغ الرسالة إليهم، ولا تملك القدرة على إيقاع الضر بهم، ولا استجلاب النفع لهم، لأنك غير مالك لها، وتنكير (ضرا ورشدا) للعموم، وجعل الرشد مقابل الضر، يدل على أن المراد بالضر الغي، من تسمية المُسبَّب باسم السبب، أو كأن اللفظين يضمران تقابل المعنيين المتروكين بمعنى: لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا، فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر.

قال تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (قل إني لن يجيرني من الله أحد) أي: لا يقوى أحد على رد عقاب الله لو شاء إيقاعه بي، وفعل الإجارة بمعنى منع إيصال المكروه، مأخوذة من الجوار، و(من) ابتدائية، وتنكير (أحد) للعموم.

قوله (ولن أجد من دونه ملتحدا) أي: ولن أجد من غيره تعالى ملجأ ألجأ إليه في كل مكروه، واللفظ (ملتحدا) أي المكان الذي يُمال إليه وقت الخطر، كالملجأ يمنع الضر.

قال تعالى ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾

قوله (إلا بلاغا من الله ورسالاته) الاستثناء من (ملتحدا)، أي: إلا تبليغا من الله وإلا رسالاته في شرائع الدين فإنها الملتحد.

قوله (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا) الظاهر أن الشرط من كلام الله تعالى لا من تتمة كلام النبي ﷺ، وعصيان الله في الشرك به، وعصيان رسوله بمخالفته وعدم اتباعه، وإنما العطف لبيان عظم طاعة الرسول وأن طاعته واجبة من طاعة الله، والفاء في (فإن) واقعة في جواب (من) الشرطية، وتقديم (له) للعناية، ونصب (خالدين) على الحال، والجمع فيه باعتبار المعنى في (من)، كما أن الإفراد في (له) باعتبار ظاهر لفظه، ونصب (أبدا) على الحال الظرفية.

قال تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ٢٤ ﴾

الكلام كسابقه من كلامه تعالى لا من كلام النبي ﷺ، وتفيد (حتى) الغاية لمحذوف يدل عليه الحال من الكلام تقديره: لا يزالون يستضعفون ناصريك ويستقلون عددهم حتى إذا رأوا ما يوعدون من عذاب نار جهنم يوم القيامة فسيعلمون حينها من أضعف ناصرا وأقل عددا.

قال تعالى ﴿ قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ٢٥ ﴾

الأمر بـ (قل) للنبي ﷺ لدفع توهم معرفته بموعد العذاب لما سمعوا بوعيده لهم، كأنه جواب سؤال ناشئ عنه بتقدير: متى هذا الوعد، فأجيب بنفي معرفته، و(إن) نافية، بمعنى: لا أدري، والأمد الأجل، وبمقابلة لفظ (قريب)، يقدر المعنى: أقريب وقوع وعده أم يجعل له ربي أمدا بعيدا.

قال تعالى ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ ﴾

قوله (عالم الغيب) أي: لأنه هو سبحانه عالم الغيب، مختص وحده بالعلم بمطلق غيوبه ومنها وقت إنزال العذاب، وإحلال القيامة.

قوله (فلا يظهر على غيبه أحدا) الفاء للتفريع، أي: فلا يطلع على غيبه أحدا من خلقه إلا من ارتضى، ووضع الظاهر موضع المضمر، فقال: على غيبه،

ولم يقل: عليه، ليفيد اختصاص علم الله به وحده، ولو قيل: عليه، لم يفد الاختصاص، لأن ضمير الهاء حينئذ سيعود على الغيب دون لفظ الجلالة.

قال تعالى ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ ﴾

قوله (إلا من ارتضى من رسول) الاستثناء من (أحدا)، و(من) اسم موصول للعاقل، و(ارتضى) مبالغة في كثرة الرضى، والرضا مجاز من قبوله تعالى، و(من) مزيدة لتأكيد عموم الرسل، والمعنى: إلا من ارتضاه تعالى من رسله، فإنه يظهره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته، فعلمه تعالى بالأصالة، وعلم غيره ممن ارتضى بالتبع بتعليم منه، وإلى هذا المعنى قوله عليه السلام في نهج البلاغة حين أخبر بحوادث المستقبل فقال له رجل كلبي: لقد أعطيت علم الغيب يا أمير المؤمنين، فضحك عليه السلام وقال: يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدد الله سبحانه بقوله (إن الله عنده علم الساعة) الآية، فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى، وقبيح أو جميل، وسخي أو بخيل، وشقي أو سعيد، ومن يكون في النار حطبا، أو في الجنان للنبيين مرافقا، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله، وما سوى ذلك فعلم علّمه الله نبيه فعلّمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطم عليه جوانحي. انتهى.

قوله (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) الفاء لترتيب الأثر على السبب، والهاء في (إنه) ضمير الشأن عائد إلى الله تعالى، والفعل (يسلك)

دال على دخول الشيء في الشيء بتلبس ومخالطة، مناسب للتركيب لأن الرصد الذين يسلكهم الله بين يدي الرسول ومن خلفه يراد بهم الملائكة حفاظ الوحي من كل تخليط أو زيادة أو نقصان يقع فيه من ناحية الشياطين، والجهتان الأمام وكنى عنها بقوله (بين يديه) والتي تقابلها (من خلفه) لإفادة الإحاطة.

وقال العلامة الطباطبائي: والمراد بما بين يدي الرسول ما بينه وبين الناس المرسل إليهم، وبما خلفه ما بينه وبين مصدر الوحي، الذي هو الله سبحانه، وقد اعتبر في هذا التصوير ما يوهمه معنى الرسالة من امتداد متوهم، يأخذ من المُرسِل - اسم فاعل - وينتهي إلى المرسَل إليه يقطعه الرسول، حتى ينتهي إلى المرسل إليه فيؤدي رسالته، والآية تصف طريق بلوغ الغيب إلى الرسول وهو الرسالات التي توحي إليه. انتهى.

قال تعالى ﴿ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨ ﴾

قوله (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) جملة غائية لسلوك الرصد بين يدي الرسول ومن خلفه، أي: ليعلم الله أن قد أبلغ الرسل رسالات ربهم.

و(أن) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، وخبرها جملة (قد)، وضمير الجمع في (أبلغوا، ربهم) إلى الرسول باعتبار المعنى الجمعي في

(من) أو جنس العموم في (رسول)، وقيل في عود الضميرين أقوال أخر في التفاسير، وما ذكرنا أحسنها اتصالا بقرائن النص.

قوله (وأحاط بما لديهم) جملة محلها الحال، أي: في حال أن الله محيط بما لديهم، عالم بأحوالهم وهو حافظهم، وضمير الجمع عائد إلى الرسل.

وقال السيد في الميزان: ويتفرع على هذا البيان أن الرسول مؤيد بالعصمة في أخذ الوحي من ربه، وفي حفظه، وفي تبليغه إلى الناس، مصون من الخطأ في الجهات الثلاث جميعا، لما مر من دلالة الآية على أن ما نزله الله من دينه على الناس من طريق الرسالة بالوحي مصون في جميع مراحله إلى أن ينتهي إلى الناس ومن مراحله: مرحلة أخذ الرسول للوحي، وحفظه له، وتبليغه إلى الناس. انتهى.

قوله (وأحصى كل شيء عددا) جملة ترق في كمال علمه تعالى، لأن إحصاء عدد كل شيء مستلزم تمييزه وتفريقه ثم عده، وهو من دلائل القدرة وكمالات التوحيد.

سورة المزمل

مكية، وهي عشرون آية

السورة من عتائق السور المكية، حتى قيل: إنها ثانية السور النازلة على النبي ﷺ، تأمره فيها بقيام الليل والصلاة فيه، ليكون سبيلا لاستعداد تلقيه الوحي وثقل القول الإلهي، وفيها أمر له بالصبر على أذى قومه وافتراءاتهم عليه، وأن يهجرهم هجرا جميلا، وفيها تحذير لهم من أن يلقوا مصير فرعون إن بقوا على كفرهم، والسورة افتتحت بالأمر بقيام الليل واختتمت بتخفيف الحكم في إتيانه لسائر المكلفين من دون نسخه أصلا.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ ﴾

خطاب من الله تعالى للرسول ﷺ، فيه مزيد من العناية، والمزمل: المتزمل، اسم فاعل، مفعوله محذوف تقديره: المتزمل نفسه، والتزمُّل التلفُّف بثوب أو قطيفة للنوم ونحوه، وليس في نداء النبي ﷺ به تهجين أو تنقيص كما قال به كثر من المفسرين، وإنما هو تطييب لنفسه بإرشاده إلى ما يخفف عليه أذى قومه له بقيام الليل والتعبد لأن في ذلك تسكينا للنفس، وتخفيفا لها مما يصيبها من غم، والسياق بعده يؤيد ذلك.

قال تعالى ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ ﴾

في الكلام حذف تقديره: قم إلى الصلاة في الليل، والاستثناء في (إلا قليلا) من الليل، أي: الصلاة قليلا من وقت الليل، وليس الليل كله، وإنما خص أمر الصلاة بالليل لما فيه من موافقة القلب للسان، حيث هدوء الأصوات، وسكون النفس.

قال تعالى ﴿ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ ﴾

اللفظ (نصفه): بدل من (الليل إلا قليلا)، والهاء فيه راجعة إلى الليل، و(أو) للتخيير، و(من) في (منه) ابتدائية، والهاء فيه راجعة إلى النصف، و(قليلا): وصف لموصوف محذوف تقديره: وقتا قليلا.

وفي المجمع: بإسناده عن سعيد بن هشام قال: قلت لعائشة أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ ؟ فقالت: ألست تقرأ (يا أيها المزمل) قلت: بلى. قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله، وأصحابه حولا، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعا بعد أن كان فريضة. وقيل: كان بين أول السورة وآخرها الذي نزل فيه التخفيف عشر سنين. انتهى.

قال تعالى ﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾

قوله (أو زد عليه) تفيد (أو) الترديد والتخيير، والهاء في (عليه) راجعة إلى النصف، والأمر بقيام صلاة الليل خاص بالنبي ﷺ، وترك له التخيير في قيامه زيادة أو نقصانا.

قوله (ورتل القرآن ترتيلا) أي: واقرأ آيات القرآن في الصلاة قراءة منتظمة يمد فيها الصوت، ويبين، والترتيل مأخوذ من الرتل والتتابع، وهي في القراءة إعطاء الحروف حقها في التثبت، وقد كان رسول الله ﷺ يقطع تلاوته آية آية، ويمد صوته، وقال ﷺ حين سئل عن الترتيل، فيما رواه عنه أمير المؤمنين عليه السلام: بيّنه تبيينا، ولا تنثره نثر الدقل، ولا تهزه هز الشعر، قفوا عند عجائبه، وحرّكوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة. نقله صاحب الدر وغيره. انتهى.

قال تعالى ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾

جملة غائية لقيام الليل دال على أن الأمر خاص به ﷺ، وهو تهيئته لتلقي كلمات الله تعالى وإعداده لهذه الكرامة.

وفعل الإلقاء مجاز للإيحاء وفي دلالته مقام العلو، فضلا عن مناسبته للقول الثقيل، وحرف الجر في (عليك) مجاز للاستعلاء والتمكن، والقول الثقيل استعارة بالكناية عن القرآن، تشبيها له بما يثقل وزنه ويشق حمله، فحقائق القرآن وتكاليفه في كونها صادرة من ساحة العظمة الإلهية مما يشق على النفس إدراكها وتحملها، والدفاع عنها، قال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) [الحشر: ٢١]، وقد كان لثقل ما يتلقى النبي ﷺ من الوحي تصيبه البُرَحاء وما يشبه الإغماء فيتفصّد عرقا، وفي المجمع: وسأل الحرث [الحارث] بن هشام رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟

فقال ﷺ: أحيانا يأتيني مثل صَلْصَلَةِ الجَرَس، وهو أشد [أشدُّه] عليّ، فيفصِم عني وقد وعيت ما قال، وأحيانا يتمثل الملك رجلا، فأعي ما يقول. وفيه: قالت عائشة: إنه كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته، فيضرب بجرانها، قالت: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه لَيرفضُّ عَرَقا. انتهى.

قال تعالى ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ ﴾

قوله (إن ناشئة الليل هي أشد وطأ) الفصل لتعليل قيام الليل للصلاة، وناشئة الليل: هي ساعاته التي تنشأ عنه، وهي أشد وطأ لأنها أثبت للنفس في التوجه العبادي لانعدام انشغالها بالأعمال النهارية، وقيل: بل هي كناية عن مواطأة السمع للبصر، حيث يتوافق قلب المصلي ولسانه وسمعه على التفكر والتدبر من غير شاغل يشغله من أمور الدنيا.

قوله (وأقوم قيلا) كناية عن ثبات القول وسداده، لأن فيه يحصل حضور للقلب وإقبال للنفس على معناه ولفظه، و(أشد، وأقوم) اسما تفضيل، و(وطأ، وقيلا) اسما تمييز.

قال تعالى ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ ﴾

الفصل لتعليل اختيار الليل وترك النهار، أي: لأن لك في النهار مشاغل كثيرة تمنعك عن الانقطاع التام إلى العبادة عليك بالقيام في الليل.

ولفظ السبح كما في المفردات: المر السريع في الماء، وفي الهواء، واستعير لمر النجوم في الفلك نحو (وكل في فلك يسبحون) ولجري الفرس نحو (فالسابحات سبحا)، ولسرعة الذهاب في العمل نحو (إن لك في النهار سبحا طويلا). انتهى. وتوصيف السبح بالطول لشدة الانغمار في تدبير المعاش في النهار، والعرب إذا بالغت في صفة مد الشي وصفته بالطول، كالليل الطويل.

قال تعالى ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ ﴾

قوله (واذكر اسم ربك) أي: وليكن اسم ربك حاضرا في القلب واللسان، ولا تغفل عنه أبدا، والالتفات من ضمير التكلم في قوله (سنلقي) إلى الخطاب في (ربك) لإثارة رابط العبودية بين العبد وربه.

قوله (وتبتل إليه تبتيلا) أي: وانقطع إلى عبادة ربك انقطاعا تاما، وأخلص نفسك إليه، والبتل القطع، ومنه البتول لانقطاعها إلى عبادة الله، والتبتل مبالغة في تضمنه معنى البتل، وعلى هذا جاء المفعول المطلق منه أعني (تبتيلا)، وقيل: جيء به مع أنه التبتل لمراعاة الفواصل، وفسره أئمة أهل ابليت عليهم السلام برفع اليد إلى الله والتضرع إليه.

قال تعالى ﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ ﴾

قوله (رب المشرق والمغرب) الكلام في منزلة التعليل لأمر الذكر والتبتل، أي: لأنه هو الله رب المشرق والمغرب، كناية عن ملكه تعالى لما بينهما

وهو العالم المشهود، كما أنه هو رب النبي ﷺ، كأن فيه ردا على الوثنيين الذين يتخذ كل منهم صنما لنفسه.

قوله (لا إله إلا هو) أي: إن تفرده تعالى بالألوهية، وقصرها فيه تعالى علة لخلقه وملكه، لأن ذلك من شؤون إلهيته سبحانه.

قوله (فاتخذه وكيلا) الأمر إلى النبي ﷺ متفرع على ما قبله، تفرع الأثر على المؤثر، أي: فوض أمرك إليه فيما أغمك من إيذاء قومك لك، وكل أمرك إليه وحده.

قال تعالى ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ ﴾

قوله (واصبر على ما يقولون) أي: واحبس نفسك على تحمل ما يفتري عليك قومك المشركون بشتى الافتراءات كالقول بأنك شاعر أو كاهن أو مجنون، وإن ما جئت به السحر أو من أساطير الأولين.

قوله (واهجرهم هجرا جميلا) أي: وباينهم مباينة جميلة لا تخلو من نصحهم، ومعاملتهم بالخلق الحسن، وليس فيها مقابلة إساءتهم بمثلها.

قال تعالى ﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١ ﴾

قوله (وذرني والمكذبين أولي النعمة) الخطاب للنبي ﷺ، وفعل الأمر (وذرني) مجازي للتهديد، أي: اتركني لهم، أنا أكفيك أمرهم، والواو للمعية، ولفظ المكذبين هم الكافرون، كذبوا بالنبوة والكتاب والمعاد.

ولفظ النعمة عموم النفع، وقال الشيخ في المجمع: والنَعمة بفتح النون: لين اللمس، وضدها الخشونة، والنِعمة: الثروة والمنة أيضا، والنُعمة بضم النون: المسرة. انتهى. و(أولي النعمة) صفة للمكذبين، بمعنى: أصحاب النعمة، يريد بهم الرؤساء المترفون وأئمة الضلال، والإتيان بصفة التكذيب وامتلاك النعمة لبيان علة تهديدهم ووعيدهم.

قوله (ومهلهم قليلا) الأمر فيه بشارة للنبي ﷺ بقرب هلاك عتاة قريش أولي النعمة، أي: انتظرهم زمانا قليلا، فإن الله تعالى مهلكهم، وقد كان الأمر كذلك في بدر.

قال تعالى ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ ﴾

القطع في الكلام تعليل للأمر، والإخبار وعيد لما ينتظر الكفار المنعمين من عذاب الجحيم في الآخرة، والظرف (لدينا) للملك، وإسناده إلى نون العظمة للتهويل، والأنكال جمع نكل وهو القيد الثقيل، والجحيم اسم للنار الملتهبة.

ومن بديع النظم التنقل في الكلام من التفات إلى آخر، فحين خاطب نبيه في (ربك) عدل عنه إلى ضمير التكلم الإفرادي في (وذرني) لغرض التهديد، ثم عدل عنه الآن في الآية إلى ضمير التكلم الجمعي (لدينا) لإفادة العظمة.

قال تعالى ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ ﴾

قوله (وطعاما ذا غصة) العطف بمعنى: وإن لدينا طعاما ذا غصة وعذابا أليما، ولفظ الطعام ما يؤكل من طعام أهل النار كالضريع والزقوم، ووصفه

(ذا غصة) أي: إن صفة الغصة فيه لا تبارحه، والغصة تردد اللقمة في الحلق فلا تبتلع، أي: إنه طعام غير مستساغ البتة، وعلة التفصيل بذكر الأنكال والطعام للمكذبين لكفرانهم بشكرها في حياتهم الدنيا، فبدلهم الله مكانها نقما، وقيل: إن النبي ﷺ لما سمع قارئا يقرأ الآية صعق لها. ذكر في المجمع. اه.

قوله (وعذابا أليما) أي: وفوق ما ذكر من العقوبات الأربع، يعذبهم الله عذابا موجعا لا يعرف كنهه إلا هو سبحانه، وفسره بعض المفسرين بالحرمان عن لقائه تعالى.

قال تعالى ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ١٤ ﴾

قوله (يوم ترجف الأرض والجبال) الظرف متعلق بما تقدم من ذكر العذاب، يراد به يوم القيامة، ورجف الأرض والجبال كناية عن الاضطراب الشديد لحركتها، وشدة ما يقع فيها من زلازل.

قوله (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) أي: وكانت الجبال مع صلابتها كثيبا منثورا لشدة ما يصيبها من دك، والكثيب الرمل الكثير المتراكم، والمهيل فعيل بمعنى المفعول، من هيل هيلا إذا نثر وأسيل.

قال تعالى ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ ﴾

قوله (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم) التفات في الكلام إلى خطاب مشركي مكة بعد أن وصفهم بـ (أولي النعمة) فائدته كما ذكر السيد في الميزان: كأن المتكلم لما أوعدهم بالعذاب على الغيبة، هاج به الوجد على أولئك المكذبين بما يلقون أنفسهم بأيديهم إلى الهلاك الأبدي، لسفاهة رأيهم فشافههم بالإنذار ليرتفع عن أنفسهم أي شك وترديد وتتم عليهم الحجة ولعلهم يتقون. انتهى.

وفي دلالة التحقيق بفعل الإرسال تصديق من الله تعالى لرسالة النبي ﷺ، وتنكير (رسولا) لتعظيم النبي ﷺ، وشهادة الرسول على قومه شهادة على أعمالهم وإنكارهم لنبوته يشهد بها ضدهم يوم القيامة لتكون حجة عليهم في قطع معذرتهم.

قوله (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) التشبيه لبيان الشبه في شدة الامتناع والإعراض بين كل من أهل مكة وفرعون، وعدم تعيين موسى عليه السلام وهو الرسول المعني به إلى فرعون لأنه ليس المقصود في التشبيه.

قال تعالى ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾

قوله (فعصى فرعون الرسول) الفاء للتفريع، وعصيان فرعون إنكاره الشديد لما جاء به موسى عليه السلام من آيات ومعجزات، وإظهار اسم فرعون في موضع إضماره لإفادة تنبيه مشركي مكة إلى أن عزة فرعون وسلطانه لم تغن عنه شيئا فما بالهم وهم أضعف حالا، وتعريف لفظ (الرسول) للعهد لأنه سبق ذكره.

قوله (فأخذناه أخذا وبيلا) الفاء لتفريع المسبب على السبب، والأخذ الإهلاك وفاعله الله تعالى، ونصب (أخذا) على المفعولية المطلقة تفيد النوعية والتمكين لأنه أهلك بعذاب الإغراق، ووصفه بالوبيل لثقله بحيث لا يدفع، والوبيل تقال لكل ما يستغلظ ويكره، ومنه الوبال وهو ما يغلظ على الناس، ومنه الكلأ الوبيل أي المستوخم، والوابل يقال للمطر العظيم القطر، ومضمون الإخبار في الآية وعيد لقريش بسوء الخاتمة.

قال تعالى ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ﴾

قوله (فكيف تتقون) الفاء للتفريع، والاستفهام للتعجيب من حال قريش، أي: كيف تقون أنفسكم في حال بقيتم على الكفر يوما لهوله يجعل الولدان شيبا.

ونصب (يوما) لأنه مفعول به، والمراد: عذاب يوم، وإسناد فعل الاتقاء إلى اليوم للمبالغة من باب المجاز العقلي، ولفظ الولدان جمع ولد، وهو الشاب، وفيه طباق معنوي لـ (شيبا)، و(شيبا) جمع أشيب، والكلام على جهة التمثيل لا الحقيقة، لتصور شدة الهموم وضعف القوى من هول ذلك اليوم.

قال تعالى ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾

قوله (السماء منفطر به) الكلام زيادة في صفة شدة ذلك اليوم، أي: السماء ذات انفطار بذلك اليوم، وتذكير (منفطر) لأن لفظ السماء يجوز فيه التذكير والتأنيث، والانفطار الانشقاق، كناية عن اختلال نظام العالم في يوم القيامة نظير قوله تعالى (إذا السماء انفطرت) [الانفطار: ١]، وقوله (إذا السماء

انشقت) [الانشقاق: ١]، وقد انث لفظ السماء، لأن الأصل فيه التأنيث، وإنما يذكر على التأويل بمعنى السقف، والباء في (به) بمعنى السبب، وضمير الهاء عائد إلى اليوم، أي: بسبب ذلك اليوم.

قوله (كان وعده مفعولا) أي: كان وعده تعالى بذلك اليوم مفعولا كائنا لا محالة، ولحتمية وقوعه عبر عنه بالمضي.

قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩ ﴾

قوله (إن هذه تذكرة) الاستئناف تذييل جامع لما تقدم، والابتداء بحرف النسخ للعناية بمضمون الكلام، ولفظ الإشارة إلى الآيات المتقدمة التي توعد الله بها المكذبين، و(تذكرة) مصدر، أي: عظة تذكر زواجرها الناس من عاقبة الكفر.

قوله (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) الفاء للتفريع، أي: فمن رغب اتخذ الآيات سبيلا منهاجا إلى ربه للإيمان به وطلب مرضاته.

قال تعالى ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾

قوله (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه) الكلام في الآية لتخفيف القيام لصلاة الليل في صدر السورة، من غير نسخ لأصل الحكم، ولذا قيل: إن نزول حكم هذه الآية تأخر عن آيات صدر السورة بزمن اختلف بمدته بين الأشهر والعشر سنين، وقيل: إنها مدنية.

والاستئناف بحرف التحقيق للعناية بمضمون الخبر، وفيه ثناء من الله على نبيه لإحيائه ليله بالصلاة والعبادة، ومتعلق الفعل (تقوم) محذوف بمعنى: تقوم لصلاة الليل، ومعنى (أدنى): أقل، أي: تقوم في بعض الليالي أقل من ثلثي الليل، والعطف بعده بمعنى: وفي بعضها نصفه، وفي بعضها ثلثه.

قوله (وطائفة من الذين معك) أي: ويعلم أن طائفة من الذين معك تقوم لصلاة الليل، و(من) تفيد التبعيض، والمعية بمعنى: بعض الملازمين للنبي ﷺ كالإمام علي عليه السلام وأبي ذر، وفي الآية ثناء من الله تعالى عليهم.

قوله (والله يقدر الليل والنهار) إخبار فيه معنى التعليل لما تضمن الكلام السابق من تخفيف في القيام لليل، والتقدير بمعنى التعيين لثلثي الليل والنهار أو نصفهما أو ثلثهما، لأن ذلك من شؤون إلهيته في الخلق والتقدير، ولذا صرح بلفظ الله، وذلك لأن ضبط تحديد أوقات الليل والنهار متعذر مع تغيرها في فصول السنة.

قوله (علم أن لن تحصوه فتاب عليكم) أي: علم أن لن تضبطوا تعيين المقدار الذي أمرتم بقيامه، فرجع عليكم بالتخفيف وإتيان ما تيسر منه، وذلك لأن الرجل منهم كان يصلي الليل كله، مخافة ألا يصيب ما أمر به من القيام، فقال سبحانه علم ألن تطيقوا معرفة ذلك فخفف عليكم بأن جعله تطوعا لا فرضا.

قوله (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) الفاء لتفريع أمر التيسير على التخفيف لعامة المكلفين، أي: فاقرؤوا ما تيسر من القرآن في الصلاة.

قوله (علم أن سيكون منكم مرضى) الكلام إعذار من الله تعالى لعامة المكلفين في أمر التخفيف عن فرض قيام الليل، وبيان المصلحة في ذلك، وأولها مشقة المرض، و(من) في (منكم) للتبعيض.

قوله (وآخرون يضربون في الأرض) وهم المسافرون للتجارة ونحوها، والضرب في الأرض أصله ضربها بالقدم، وهو كناية عن السير للمسافرة، ولذلك عدي الفعل بـ (في) لتضمنه معنى السير، وصيغة المضارع للتجدد.

والآية استشهد بها الرسول ﷺ ـ كما ذكره صاحب الدر المنثور ـ في قوله: ما من جالب يجلب طعاما إلى بلد من بلاد المسلمين، فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد، ثم قرأ الآية. اه.

قوله (يبتغون من فضل الله) مفعول لأجله، والابتغاء شدة الطلب، و(من) ابتدائية، وفضل الله رزقه، والإضافة للتعظيم.

قوله (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) وهم الفئة الثالثة التي اقتضت المصلحة رفع التكليف بالقيام، أي: المقاتلون في سبيل الله، الذين يتطلب جهدهم الشاق في النهار الراحة في الليل.

قوله (فاقرءوا ما تيسر منه) الفاء للتفريع على الأعذار، وإعادة فعل القراءة لتأكيد التخفيف، والتيسير التسهيل، والهاء في (منه) للقرآن.

قوله (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) عطف الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على ما تقدم للإشارة إلى أن التخفيف معني بالقيام لصلاة الليل، ولا يشمل التكاليف الواجبة كالصلوات الخمس وإخراج الزكاة.

ومن هنا تردد القول في كون الآية مدنية أو مكية، على أساس إن فريضة الصلوات الخمس والزكاة مما شرع في المدينة لا في مكة، وقيل: أوجبتا في مكة.

قوله (وأقرضوا الله قرضا حسنا) فعل الإقراض استعارة لإخراج المال من غير الزكاة لغرض الإنفاق في سائر الإنفاقات، وكونه لله باعتبار إرجاعه ثوابا جزيلا من عنده سبحانه للمقرض، ووصفه بالقرض الحسن أي القرض الذي لا منة فيه ولا إلحاح بإرجاعه.

قوله (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) الشرط وعد من الله بالجميل وترغيب لهم في الإنفاق في الخير، و(ما) شرطية، وفعل التقديم كناية عن عمل الخير في الإنفاق على الغير، يسبقه ثوابه يوم القيامة، واللام في (لأنفسكم) للعلة، أي: لأجل أنفسكم، وفيه استبعاد

للمنة، لأن عود نفعه على نفس المنفق، وشبه الجملة (من خير) بيان لـ (ما) الشرطية، وحرف الجر مزيد لتقوية العموم، و(خير) مجرور لفظا منصوب محلا على انه مفعول به لـ (تقدموا).

وجزم الفعل (تجدوه) لأنه جواب الشرط، وفعل الوجدان مجاز في تلقي الثواب من الله تعالى، أو هو من تجسيم الأعمال يوم القيامة، والهاء فيه مفعول الأول: أي: تجدوا جزاءه وثوابه، والظرف (عند الله) لتعظيم الثواب، وضمير الفصل (هو) للتأكيد، و(خيرا) مفعول ثان لـ (تجدوه)، ونصب (أجرا) على التمييز من (أعظم).

قوله (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) أي: واسألوا الله المغفرة لأن ذاته سبحانه شأنها كثرة الغفران والرحمة، وإظهار لفظ الله في موضع إضماره لإفادة استقلال الجملة وتسييرها مثلا راسخا في الأذهان.

وإلى هذه المعاني والألفاظ جاء قول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: واعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة من نفسه وأهله وماله، فإنك ما تقدم من خير يبق لك ذخره وما تؤخره يكن لغيرك خيره. انتهى.

أقول: والمعنى: أفضلهم إنفاقا في البر والخير من ماله، وهي التقدمة، أخذها من قوله تعالى: (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه)، والتقدمة في النفس والأهل تقدمتهما في الجهاد.

سورة المدثر

مكية وهي ست وخمسون آية

السورة من أوائل السور المكية النازلة بداية ظهور الدعوة، وغرضها تعظيم شأن القرآن، وأنه تذكرة عظيمة من الله لمن ذكر، فتوعدت مشركي مكة على إنكارهم ورميهم له بالسحر، لغرض صد الناس عن الإيمان به.

وسورة المدثر نظيرة سورة المزمل حتى قيل إنهما واحد، وذلك لتزامن قرب نزولهما وتشابه استفتاحهما.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾

خطاب من الله تعالى لنبيه ﷺ، بعد الوحي إليه، نظير قوله (يا أيها المزمل)، والمدثر بإدغام الدال والثاء أصله: المتدثر، أي: المتدثر بالثياب عند النوم، وقيل على نحو الاتساع أن المدثر المتلبس بالنبوة، والأحسن المعنى الأول فهو المتبادر إلى الذهن، ولا يصغى إلى ما يذكر أن التدثر سببه الوحي، أو لمس أصابه.

قال تعالى ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾

الأمر بـ (قم) للنبي ﷺ كناية عن العزم والجد في القيام بأمر الدعوة، والفاء في (فأنذر) للتفريع، وخص الإنذار بالذكر من دون التبشير لمناسبته ومقام

تخويف قومه من عاقبة الشرك، وحذف مفعوله دال على الإطلاق باعتبار عموم دعوته.

قال تعالى ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾

العطف على قوله (قم فأنذر)، وتقديم المعمول للقصر، وخصه بالخطاب في (ربك) لخصوصيته بعبادة التوحيد، إذ لم يجمع بيت في الإسلام يومئذ غيره ﷺ، وخديجة وعلي عليه السلام ثالثهما، كما قال علي عليه السلام نفسه، والمعنى: واخصص ربك بالتكبير، أي: عظم صفته في الاعتقاد والعمل، ونزهه عما لا يليق بساحة عظمته، وإلى هذا المعنى نقل عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام لرجل قال عنده: الله أكبر، فقال: الله أكبر من أي شيء؟ فقال: من كل شيء، فقال أبو عبد الله عليه السلام: حددته، فقال الرجل: كيف أقول؟ قال: قل: الله أكبر من أن يوصف. ذكر في الكافي. انتهى.

والفاء الداخلة على فعل التكبير مشعرة بشرط محذوف، لأن تقديم المعمول أنزله منزلة الشرط، والتقدير: مهما يكن من شيء فكبر ربك، والتكبير التعظيم، مشتق من وصفه تعالى بالكبرياء، ويحتمل أن المراد بالتكبير التمهيد لتشريع أمر الصلاة.

قال تعالى ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾

القول في تقديم الثياب ومعنى الفاء كالقول فيما سبقها، وإذا حمل التركيب على ظاهره فالمعنى: أن الأمر بتطهير الثياب حفظها من النجاسات لأجل

الصلاة، وإذا أريد به المجاز فهو كناية عن صلاح العمل ونقاء النفس، كما يقال: نقي الثوب، وطاهر الذيل، وفي الآية أقوال أخر، أغمض عنها، لأن ما ذكر أوفقها.

قال تعالى ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ ﴾

أي: واترك كل إثم يفضي إلى العذاب، فلفظ الرجز مجاز مرسل، ذكر المسبَّب، وأريد السبب، ولفظ الرجز بضم الراء وكسرها كالذكر والذكر يقال لما يستقذر من الإثم، وقيل: يراد به الصنم، فيكون الأمر بالهجر بمعنى: واترك عبادة الأصنام.

قال تعالى ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ ﴾

أصل المن الإنعام بنعمة ثقيلة، والمنة من الله محمودة لأنها حقيقة، ومن الناس مذمومة لأنها بالقول إلا عند كفران النعمة، ولذا قيل: المنة تهدم الصنيعة، كما ذكره الراغب. والاستكثار مبالغة في رؤية الشيء كثيرا، وليس معناه طلب الكثرة، وموقعه الحال، بمعنى: لا تمنن مستكثرا، وبحسب اتصال النهي بما سبقه من الآيات يكون المعنى: لا تمنن امتثالك لأوامر الله في القيام بالإنذار والتكبير والتطهير وهجر الرجز مستكثرا ذلك، فإنما أنت ـ كما قال في الميزان: عبد لا تملك من نفسك شيئا إلا ما ملكك الله وأقدرك عليه وهو المالك لما ملكك والقادر على ما عليه أقدرك فله الامر وعليك الامتثال. انتهى. وقيل في معنى الآية أقوال مختلفة لمن يرغب بالرجوع إليها.

قال تعالى ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ ﴾

الواو للعطف على ما تقدم، واللام في (لربك) للعلة بمعنى: ولأجل وجه ربك، والإتيان بـ (ربك) للإشعار بعلة أمر الصبر، وهي طاعة المولى، ومتعلق الأمر لفعل الصبر محذوف لإفادة الإطلاق لأنه جامع لمعاني ما تقدم، أي: فاصبر على أذى قومك، وقيامك بالإنذار، وامتثالك أوامر الله تعالى، واقتران فعل الصبر بالفاء لأن شبه الجملة (لربك) في قوة الشرط.

قال تعالى ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ ﴾

الفاء للتفريع، و(إذا) للشرط الظرفي، والنقر إصدار الصوت بالقرع، وإبهام فاعله لعدم تعلق المقصود به، والناقور اسم آلة بوزن فاعول، والكلام كناية عن النفخ في الصور للإيذان بقيام القيامة وبعث الموتى من قبورهم.

قال تعالى ﴿ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ ﴾

الفاء واقعة في جواب (إذا)، والظرف المبني (يومئذ) مكون من يوم وإذ قيد لـ (فذلك)، ويراد به يوم القيامة، واسم الإشارة للتهويل، والإخبار عنه بأنه (يوم عسير) لما في أهواله وشدائده على الكافرين.

قال تعالى ﴿ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ۝١٠ ﴾

حرف الجر (على) متعلق بـ (عسير)، والإتيان بلفظ الكافرين للإيذان بعلة عسره، وهو كونهم كافرين بالله، والنفي (غير يسير) صفة لـ (يوم)، وتأكيد لعسره، وفيه إشعار بيسره على المؤمنين.

قال تعالى ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾

الخطاب في الأمر بـ (ذرني) للنبي ﷺ، بمعنى: اتركني وحدي معه، أنا أكفيكه بانتقامي منه.

والواو في (ومن) للمعية، والإتيان بالموصول وصلته لبيان كمال القدرة، وفيه بيان مقابلة الامتنان في الإيجاد بالنكران والجحود، ونصب (وحيدا) على الحال من ياء (ذرني)، أو تاء (خلقت) بمعنى: وحدي، أو من مفعول (خلقت) بمعنى: ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد.

والآية إلى تمام عشرين آية نزلت تتوعد الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان يلقب في قومه بالوحيد، فهو كما قال الزمخشري في تفسيره: تهكم به وبلقبه، وتغيير له عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا إلى وجه الذم والعيب، وهو أنه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه. انتهى.

وذكر لأبي جعفر الباقر عليه السلام عن أحد بني هشام أنه قال في خطبته: أنا ابن الوحيد، فقال: ويله لو علم ما الوحيد ما فخر بها، فقلنا له: وما هو؟ قال: من لا يعرف له أب. نقل في المجمع. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ ﴾

الواو للعطف على ما تقدم من عطف الخاص على العام، والمال يطلق على الأرض والحيوان كما يطلق على الدينار والدرهم، ووصفه بأنه ممدود لأنه كثير مبسوط لا تنقطع غلته من سنة لأخرى.

قال تعالى ﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ ﴾

أي: وجعلت له بنين حاضرين يأنس بهم ولا يغيبون عنه لسفر أو تجارة لأنهم في غنى عن ذلك، وكانوا ثلاثة عشر وقيل: سبعا، أسلم منهم ثلاثة: خالد، وهشام، وعمارة.

قال تعالى ﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ﴾

المهد والمهاد أصله تسوية المكان وتهيئته ليكون صالحا للوطاء والاضطجاع فيه، ومنه مهد الصبي، والتمهيد تيسير الأمور الحياتية تيسيرا لا يكون معها عسر، وجيء بصيغة المفعول المطلق من فعله (تمهيدا) لإفادة شدة الكفاية والتبسيط، بحيث صار مكفي المؤونة من كل جهة، وفوق ذلك قابل هذا الكافر المعني امتنان الله بالجحود والنكران.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ ﴾

تفيد (ثم) التراخي الرتبي بمعنى: ثم بعد كل ذلك الامتنان لم يشكر إنعامي عليه، بل جحد بها، ويطمع أن أزيده نعما، وهو دليل جهله، لأنه نسي أن طمعه في الزيادة من الله تعالى الذي يشرك هو به في عبادته، وكفران النعم سبيل إلى قطعها وحرمان المنعَم عليه منها، قال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) [إبراهيم: ٧].

قال تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ ﴾

(كلا): كلمة زجر وردع لطمعه في الإنعام والزيادة، وعلل الزجر بأنه كان لآياتنا عنيدا، أي: شأنه المعاندة والجحود لآياتنا، وإضافة الآيات إلى نون الله للتعظيم، قيل: ما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك.

قال تعالى ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ ﴾

السين في الفعل دالة على وعيد الله له في يوم القيامة بنار العذاب، ذكر لأن فيه تعجيلا لمساءته في الدنيا، والإرهاق غشيانه بالعنف، والصَعود ـ بفتح الصاد ـ صيغة مبالغة في الصُعود بضمها، أريد بها الصفة: أي: عقبة صعودا، يشق مصعدها على نفس الماشي، ونصب اللفظ على الحال، أي: في حال من المشقة مثل من يصعد عقبة وعرة صعبة الصعود.

قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ ﴾

القطع لأنه تعليل للوعيد، بطريق الاستئناف التحقيقي بحرف النسخ، والتفكير وعطف التقدير عليه بمعنى: التروي في إطلاق صفة على القرآن يتمنى بها إبطال غيبه ومعجزة تأثيره في الناس، فكأنه قلب ما يقول في نفسه عن صفة القرآن: أيطلق عليه صفة الشعر أو الكهانة، أو هذرة الجنون، أو أساطير الأولين، فقدر أن يقول فيه: سحر يؤثر، من كلام البشر.

قال تعالى ﴿ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝١٩ ﴾

الفاء لتفريع الذم على ما قدر، والكلام من الدعاء عليه، بمعنى: قاتله الله كيف قدر أن يقول إن القرآن سحر يؤثر مع علمه بأنه معجز، لا يصدر إلا عن الله تعالى.

وليس في اسم الاستفهام ما يوحي بالتعجيب بما جاء به، وكأنه جاء بما يبطل معجزة القرآن، وإنما التعجيب من حال المعاند الذي عرف أن هذا القرآن ليس من جنس ما يقول قالة البيان منهم ثم بعد ذلك قال فيه ما قال من وصف ظالم.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ﴾

العطف لتأكيد الدعاء عليه بالهلاك.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ﴾

تكرار العطف بـ (ثم) لبيان التراخي في تقليب فكرة توصيف القرآن بما يبطل أثره على حد زعمه، والكلام صورة بعد صورة تمثيل لما استبطنت نفسه من إعمال الفكر في باطل القول بدلا من الإيمان بالقرآن، وفعل النظر من النظر الاعتباري لا العياني، أي: تفكر وتأمل.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ﴾

العبوس نقيض الطلاقة، وهي تقطيب قسمات الوجه، دلالة على استعصاء إيجاد ما يغمز به القرآن، والبسور تعجل إظهار التكرُّه في الوجه مما لا يسر، والفعلان من تمثيل الأفكار.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣ ﴾

فعل الإدبار كناية عن الإعراض عن شيء أما كفرا به أو تجاهلا له، والاستكبار مبالغة في الكبر، دال على علمه بالشيء ونبوّه عنه واستعلائه عليه، وهما نتيجة مترتبة على النظر والعبوس والبسور، ظاهرة فيما قال عن القرآن: بأنه سحر يؤثر.

قال تعالى ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ ﴾

الفاء لتفريع التعقيب ولذا لم يؤت بـ (ثم) المفيدة للتراخي، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر، و(إن) بمعنى (ما) النافية، والقصر بالنفي والاستثناء دال على

استقراره على ما قال بعد الإجالة فيما فكر وقدر، وأطلق عليه لفظ السحر، لأنه يصرف من يستمع إليه من حال الكفر إلى حال الإيمان، فكان نتيجته التفريق بين أهل الباطل والحق، ووصفه بأنه (يؤثر) أي: مأثور غير مألوف، يروى ويتعلم من السحرة الأقدمين.

قال تعالى ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾

جملة بدل من التي قبلها، ولفظ الإشارة إلى القرآن لإحضاره في الذهن كأنه مشاهد، وحصره بأنه قول البشر من جملة وصف هذا الكافر بأنه عنيد، فقد اتفق على أنه هو القائل لقومه: والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما، ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى، وذلك لما سمع النبي ﷺ يقرأ (حم، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) [غافر: ١-٢-٣].

قال تعالى ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾

جملة بدل من قوله (سأرهقه صعودا)، والمعنى: سأصليه يوم القيامة عذاب النار، والإصلاء إلزام النار، ومنع اللفظ (سقر) من الصرف لما فيه من العلمية والتأنيث، لأنه من أسماء دركات النار، قال الشيخ الطوسي: وأصله من سقرته الشمس تستقره سقرا إذا آلمت دماغه، وقد سميت النار سقر لشدة

إيلامها، ومنه الصقر بالسين والصاد، لأن شدته في نفسه كشدة الألم في أذى صيده. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ ﴾

جملة تهويل، و(ما) الأولى نافية، و(ما) الثانية استفهامية، والخطاب في نفي الدراية لغير معين.

قال تعالى ﴿ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾

جملة تبيين للسؤال عن ماهية سقر، أي: تأتي نارها على كل شيء يلقى فيها، فلا تبقي منه شيئا إلا وأحرقته، ولا تذر أحدا يفلت من نيرانها.

قال تعالى ﴿ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ ﴾

أي: سقر لواحة للبشر، وصيغة (لواحة) مبالغة في التلويح، أي: أن حرارتها تغير ظاهر الجلد ـ وهو البشرة ـ إلى السواد أو الحمرة على ما قيل، ولفظ البشر جمع بشرة، سمي بها خصوص جلد الإنسان لأن على بشرة وجهه تظهر مشاعره من الرضى والغضب، ويمكن أن يكون (لواحة) مبالغة في الظهور فيراها كل راء يوم القيامة، نظير قوله تعالى (وبرزت الجحيم لمن يرى) [القصص: ٨]، وحينئذ يكون لفظ البشر مرادف الناس.

قال تعالى ﴿ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾

الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره: قائم عليها ملائكة عديدهم تسعة عشر، وهم خزنة النار، وتعمد ذكر هذا العدد ليكون حجة للنبوة ومصلحة للمكلفين كونه موافقا لما جاء في التوراة والإنجيل، بحسب ما ذكرته الآية اللاحقة.

قال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾

قوله (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) مضمون الكلام في الآية يؤيد سبب نزولها، فقد ذكر في استكبار قريش أنه لما نزلت الآية قال أبو جهل لهم: ثكلتكم أمهاتكم، أتسمعون ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الدهم الشجعان، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فقال أبو الأسد الجمحي: أنا أكفيكم سبعة عشر، عشرة على ظهري، وسبعة على بطني، فاكفوني أنتم اثنين. نقل في المجمع. انتهى.

فالآية رد من الله على جهل قريش، بأن أصحاب النار ويراد بهم خزنتها، مالك وأعوانه ليسوا رجالا يمكن هزيمتهم، بل هم ملائكة جهزهم الله بقوى

لا تدفع، وظيفتهم تعذيب الكافرين، قال تعالى (عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) [التحريم: ٦]، وأخبر عنهم أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: أعلمتم أن مالكا إذا غضب على النار حطم بعضها بعضا لغضبه، وإذا زجرها توثبت بين أبوابها جزعا من زجرته. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أي: وما أخبر بعدة أصحاب النار وهم تسعة عشر إلا لمحنة الكافرين والتشديد عليهم حتى يتفكروا بقدرة الله على ما أودع في خزنته بعدتهم البسيطة من قوى يعذب بهم خلائق الكافرين، قال الشيخ في المجمع: ولو راجع الكفار عقولهم لعلموا أن من سلط ملكا واحدا على كافة بني آدم، لقبض أرواحهم، فلا يغلبونه قادر على سوق بعضهم إلى النار، وجعلهم فيها بتسعة عشر من الملائك. انتهى.

قوله (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) اللام لتعليل جملة جعل العدة، والاستيقان مبالغة في وجدان اليقين، وحذف متعلقه لدلالة السياق عليه، أي: ليستيقن أهل الكتاب بصحة النبوة والكتاب، والإتيان باسم الموصول وصلته لإفادة توافق إخبار القرآن بالعدة لما عندهم من كتاب.

قوله (ويزداد الذين آمنوا إيمانا) علة ثانية للإخبار بعدة خزنة النار تسعة عشر، وفعل الزيادة استعارة لتقوية الإيمان، وصيغة المضارع للتجدد، وتقويته في نفوس المؤمنين بتصديق أهل الكتاب ذلك العدد وأنه موافق لما في كتبهم.

قوله (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) جملة النفي تقرير لجملة الإثبات المعللة في الاستيقان والزيادة، والارتياب الشك، والإتيان باسم الفاعل للمؤمنين دون أن يقال: ولا يرتاب الذين آمنوا، لإفادة ثبات الإيمان في نفوسهم.

قوله (وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) العطف لأن المعطوف علة ثالثة، واللام في (وليقول) لام العاقبة، وجملة الموصول كناية عن المنافقين، وجيء بها لبيان علة قولهم، والسؤال المحكي عنهم أرادوا به تحقير صفة ما ذكر من أن خزنة النار تسعة عشر، بهذه العدة القليلة تقوى على تعذيب أكثر الثقلين.

قوله (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) أي: كذلك الإضلال بالفتنة، ونسبته إلى الله نسبة مجازاة لا ابتداء، وترتب الإضلال والإهداء على مشيئة الله ترتب مصلحة وحكمة، قائمة على الاستعداد والقبول في العبد.

قوله (وما يعلم جنود ربك الا هو) أي: لا سبيل لأحد معرفة جنود ربك المؤتمرين بأمره ومنهم خزنة النار معرفة إجمال أو تفصيل إلا هو سبحانه، فهو الذي جهزهم بالقوى وأقدرهم وسلطهم، وليس لأحد استقلال عددهم أو الاستهزاء بقوتهم.

قوله (وما هي إلا ذكرى للبشر) ضمير التأنيث لخبر عدة خزنة النار، وكونهم ذكرى أي: عظة يتعظون بها حتى يجنبوا أنفسهم عذاب الآخرة، واللام المقترن بلفظ البشر للغاية أي: لأجل انتفاع البشر جميعهم، وبين لفظ البشر

في الآية وما قبلها أعني قوله (لواحة للبشر) محسن بديعي من نوع الجناس التام، ولاسيما إذا فسرت بظاهر الجلدة.

قال تعالى ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ ﴾

الحرف (كلا) ردع لمن أنكر سقر، ويحتمل أنه إنكار أن يكون للكافرين تذكر، والواو حرف يفيد القسم، ولفظ القمر مقسم به، للتنويه بآياته العجيبة في طلوعه وغروبه وتدرجه في الزيادة والنقصان.

قال تعالى ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ ﴾

قسم ثان بالليل وقت انجلائه، وجملة الظرف (إذ أدبر) قيد لليل، وإدباره كناية عن انقضاء وقته بظهور ضوء الصباح، ونسبة الفعل إليه نسبة مجازية عقلية للمبالغة.

قال تعالى ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ ﴾

قسم بعد قسم بتبدل الأوقات، لأنها ناشئة من تدبير الله تعالى في الحركة المنتظمة للأرض، والجملة تقابل التي قبلها، فالصبح يقابل الليل، والإسفار الانكشاف، كناية عن ظهور ضوء الصباح بعد خفائه.

قال تعالى ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ ﴾

جملة التحقيق جواب للقسم، وتعليل للردع في (كلا)، والضمير في (إنها) عائد إلى سقر، ولفظ (الكبر) جمع كبرى، صفة بمعنى: إن سقر لإحدى الدواهي الكبر، لا نظير لها، وقيل: في عود الضمير أقوال أخر.

قال تعالى ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ٣٦ ﴾

النصب على الحال بمعنى: إن سقر عظمت وكبرت حال كونها إنذارا للبشر، أي: منذرة، ولفظ النذير مصدر استعمل صفة للمبالغة.

قال تعالى ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ٣٧ ﴾

شبه الجملة (لمن شاء) بدل من لفظ البشر، و(من) في (منكم) ابتدائية، والتقدم مجاز في الإيمان بالله وطاعته، والتأخر مجاز في الكفر والإعراض عن الحق، فعل المشيئة غرضه التحضيض لا التخيير.

ومن مصاديق الآية ما جاء عن الإمام الرضا عليه السلام فيها: من تقدم إلى ولايتنا أخر عن سقر، ومن تأخر عن ولايتنا تقدم إلى سقر. ذكر في الكافي. انتهى.

قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٨ ﴾

لفظ الكل يفيد الشمول، تعميم لما قبلها، والباء في (بما) للسبب، و(ما) اسم موصول، وفعل الكسب يقال لمطلق العمل خيرا أو شرا، ولفظ الرهينة بمعنى المرهونة، أي: محبوسة عند بارئها حتى توفي دينها فإن كسبت خيرا بطاعة

ربها أطلقت وسرحت وجوزيت خيرا، وإن عصت وكفرت بقيت مرهونة محبوسة ولقيت جزاء عملها.

قال تعالى ﴿ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ ﴾

الاستثناء متصل من عموم النفوس المرهونة، وهم أصحاب اليمين، وهم الذين يؤتون كتابهم بيمينهم في يوم الحساب، فهؤلاء مفكوكة نفوسهم مطلقة من الرهن.

قال تعالى ﴿ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾

تفيد (في) التلبس الظرفي، وتنكير (جنات) للتعظيم، وشبه الجملة موقعها الحال، أي: مستقرين في جنات لا يقادر قدرها واصف، وجملة (يتساءلون) موقعها الحال، والتساؤل تشارك أي: يسأل جمعهم عن جمع المجرمين، ولفظ المجرمين تقال لمطلق فاعلي الإجرام.

قال تعالى ﴿ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ ﴾

جملة السؤال مقدرة بقول هو حال من (يتساءلون) أي: قائلين ما سلككم في سقر، والسؤال بـ (ما) بمعنى: أي شيء أدخلكم في سقر، وفعل السلوك الإدخال بتكلف، وفيه معنى الزج.

قال تعالى ﴿ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

أي: قال المجرمون مجيبين عن أسباب زجهم في سقر: لم نك من المصلين، أي: لم يكن شأننا التوجه لعبادة الله بالصلاة له.

قال تعالى ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

أي: ولم يكن شأننا الإنفاق لإطعام المساكين، فالمجرمون أقروا على أنفسهم بعدم مراعاة حق الله في الصلاة له، وبعدم مراعاة حق المجتمع في الإنفاق على فقرائه.

قال تعالى ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

أصل الخوض الشروع في المرور في الماء، استعير للغو الكلام، وأكثر استعماله في القرآن فيما يذم الشروع فيه، ومعية الخوض مع الخائضين مشعرة بعدم التثبت في إطلاق القول الباطل، كالاغتياب والافتراء.

قال تعالى ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ ﴾

أي: وكنا نكذب بيوم الجزاء، وتأخير هذا الجرم مع أنه أفظع إجرام المجرمين مشعر بتهويله، كأنهم قالوا: وكنا بعد ذلك الإجرام كله مكذبين بيوم الدين، وكذلك في تأخيره إفادة أن تكذيبهم مستمر إلى أن أتاهم اليقين أي: إلى أن هلكوا.

قال تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾

أي: إلى أن أتانا اليقين، كناية عن حلول الموت وقبض الروح عند انقضاء أجلهم، وسمي الموت يقينا لأنه مما لا ريب في حصوله.

قال تعالى ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾

الكلام متفرع على ما قبله، وفيه إياس للمجرمين من شفاعة شافع لهم عند الله، وفيه رد للوثنيين الذين يرون في أصنامهم الشفاعة لهم، وفيه أيضا دليل على أن الشفاعة تنفع المؤمنين في ذلك العالم.

قال تعالى ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

الفاء لتفريع استخلاص النتيجة على ما تقدم في الوعد والوعيد، والسؤال للاستعجاب من حال الكافرين، بمعنى: أي شيء دعاهم بعد تلك الموعظة إلى أن يكونوا في حال من الإعراض عن تذكرة القرآن.

و(ما) استفهامية، و(لهم) متعلق بمحذوف تقديره: فما كان لهم، وتقديم شبه الجملة (عن التذكرة) للاهتمام، واللفظ بمعنى الذكر، إشارة إلى القرآن لأنه الذي يذكر بالله، ونصب (معرضين) على الحال.

قال تعالى ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾

جملة (كأن) موقعها الحال من الضمير المستقر في (معرضين) أي: مشبهين، والتمثيل لحال إعراض المشركين عن التذكرة بحال الحمر المستنفرة التي فرت من قسورة، ووجه الشبه شدة النفرة.

والضمير المقترن بأداة التشبيه (كأن) هو المشبه الذي يراد بيانه، وما بعد الأداة هو المشبه به، ولفظ الحمر جمع حمار ويراد بها الحمر الوحشية، والاستنفار مبالغة في النفرة، والنفور، كالفزع، شدة الانزعاج عن الشيء إلى الشيء، والفرار الهرب، و(من) تفيد السبب، و(قسورة) من صفات الأسد، وقيل: يراد به الصائد.

قال تعالى ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ ﴾

تفيد (بل) معنى الإعراض عما سبق، وفعل الإرادة دال على شدة الرغبة، والمعنى: أن الكافرين لشدة استكبارهم على الله وتعاليهم لا يؤمنون برسول يبعث إليهم جميعا، بل يريد كل واحد منهم أن يأتيه الله كتابا سماويا خاصا به، والآية نظير قوله تعالى (لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله) [الأنعام: ١٢٤].

والصحف جمع صحيفة كناية عن الكتب السماوية، كصحف إبراهيم، ووصفها باسم المفعول (منشرة) أي مقروءة.

قال تعالى ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ ﴾

إجابة إرادة الكافرين بـ (كلا) لردع جرأتهم بنزول صحف منشرة عليهم، و(بل) للإضراب بمعنى: أن السبب الحقيقي لكفرهم وتكذيبهم بالدعوة أنهم لا يخافون بالآخرة، ولو آمنوا بها لما اقترحوا حجة بعد معجزة القرآن.

قال تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ ﴾

ردع ثان لإرادة الكافرين إنزال كتاب سماوي لكل منهم، والاستئناف لتحقيق مضمون الخبر، وهو إن القرآن تذكرة وموعظة عظيمة للمعتبرين.

قال تعالى ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ ﴾

الفاء للتفريع، وفعل المشيئة لأن الظرف ظرف اختيار، وإن كان في مضمونه الترغيب، والهاء في (ذكره) راجع إلى القرآن، والجملة مجاز للاتعاظ بمواعظه وآياته.

قال تعالى ﴿ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾

قوله (وما يذكرون إلا أن يشاء الله) لما ذكر للكافرين مشيئة اختيار ذكر القرآن، تحرز بأن ذلك الفعل ليس مستقلا عن إرادة الله تعالى، فلو شاء ألا يذكروا فعل، وإنما الأمر تعلق بحكمة الأسباب والمسببات التي اقتضتها مشيئته سبحانه.

قوله (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) جملة تعليل لقوله (وما يذكرون إلا أن يشاء الله)، لأن من إرادته النافذة أن يجعل من يشاء ذاكرا أو غير ذاكر، فهو سبحانه حقيق بأن يتقى فله الولاية المطلقة، وحقيق بأن يغفر لأنه الغفور الرحيم، وعن الصادق عليه السلام قوله في معنى الآية: : قال الله عز وجل: أنا أهل

ان أتقى ولا يشرك بي عبدي شيئا، وأنا أهل إن لم يشرك بي عبدي شيئا أن أدخله الجنة. ذكر في التوحيد. انتهى.

سورة القيامة

مكية، وهي أربعون آية

غرض السورة كما ينبئ عنه مفتتحها التأكيد على وقوع القيامة، فذكرت بعض أشراطها، وقسمت حال الناس فيها إلى حالين أصحاب وجوه نضرة ناعمة وأصحاب وجوه مكفهرة باسرة، وتوعدت أهل التكذيب بالقرآن بالعذاب الأليم، وفي أثناء السورة عرضت حال النبي ﷺ وقت تلقيه الوحي، واختتمت بالاحتجاج على كمال القدرة في الإعادة بكمال القدرة على الابتداء.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ ﴾

الافتتاح بتعظيم يوم القيامة بالقسم به دال على العناية بمضمون السورة، ونفي القسم بمعنى: أقسم، والقيامة سميت بذلك لأن فيها يقوم الناس من قبورهم أحياء، للحشر والوقوف بين يدي ربهم للحساب، فهو غرض الخلق، وهو الأمر الذي أنكره الوثنيون، ولهذا اشتد القرآن كثيرا في إثباته وتوعدهم على إنكاره.

قال تعالى ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾

قسم ثان، على طريقة الأول في الصياغة والتنويه، وقيل في معنى النفس اللوامة أقوال مختلفة منها أنها نفس المؤمن تلومه على قلة اكتساب الطاعة

يوم القيامة، وقيل هي نفس الكافر تلومه يوم القيامة على كفره، والسياق مطلق يؤيد كون المراد بها عموم النفس اللوامة للمؤمن والكافر.

ويحتمل أن تكون النفس اللوامة هي الضابطة والفطرة السليمة للإنسان في حياته الدنيا التي تلوم العاصي على معصيته لربه، وتلوم المؤمن على تقصيره في طاعته لربه، ولفظ (اللوامة) صيغة مبالغة من كثرة اللوم، واللوم ما يؤاخذ عليه الإنسان باللسان.

وجواب القسم محذوف للتفخيم، دل عليه معنى الآية بعده وهي إثبات المعاد، لذلك يقدر بمعانيها نحو: ليبعثن.

قال تعالى ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ ﴾

الاستفهام للإنكار والتوبيخ، وفعل الحسبان بمعنى الظن، ومضارعه للتجدد، ولفظ الإنسان يراد به جنس المنكرين للمعاد واليوم الآخر، وجملة النفي كناية عن إحياء الموتى بعد تلاشيهم في القبور، وإنما جيء بجمع العظام لبيان كمال العظمة الإلهية.

والإدغام في (ألن) لأنها من تقارب التقاء النون الساكنة في (أن) الناسخة المخففة من الثقيلة، واللام في (لن) النافية، واسم (أن) ضمير الشأن المحذوف بتقدير: أننا، وجملة النفي (لن نجمع عظامه) محلها الخبر، وجملة (أن) من اسمها وخبرها محلها النصب مفعول به لـ (يحسب).

قال تعالى ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ ﴾

(بلى): لجواب السؤال المبدوء بالنفي، لإثباته، ونصب (قادرين) على الحال من فاعل مدخول (بلى) بتقدير: بلى نجمعها، وذكر تسوية البنان مع أنه ذكر العظام، لبيان كمال القدرة في جمع ما هو أدنى، فالذي يقدر على جمع سلاميات الأصابع وتسوية بنانها قادر على جمع ما هو أكبر منها وإعادتها إنسانا سويا.

ومعنى تسوية البنان تصويرها على ما كانت عليه قبل الموت، وذكر البنان وهي أنامل الأصابع، لدقتها وانتظام خطوطها، وافتراق رأس كل أنملة عن الآخر، ولما لها من الوظائف العجيبة للإنسان في اللمس والأخذ وسائر الحركات اللطيفة.

وذكر العظام وتلاشيها في التراب من حجج المشركين في استبعاد إحياء المقبورين وبعثهم من جديد، قال تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) [يس: ٧٨- ٧٩].

قال تعالى ﴿ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ ﴾

حرف الإضراب (بل) للانتقال من توبيخ إلى آخر، بمعنى: إن الذي يحمله على إنكار البعث عناده وإرادته في الدوام على فجوره، في حاضره وفي مستقبله، مصرا على المعاصي لا ينزجر عنها.

وإظهار لفظ الإنسان في الآية وما بعدها في موضع الإضمار لزيادة التوبيخ، والفجور يراد به الكذب، ومنه اليمين الفاجرة أي الكاذبة، واللام المقترن بفعله مزيدة للتعليل، وتكثر مع فعل الأمر والإرادة، والفعل بعدها منصوب بـ (أن) مضمرة، والظرف (أمامه) كناية عن عما يقدم من أعمال يجد أثرها في يوم الحساب.

قال تعالى ﴿ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ ﴾

جملة تعليل وتفسير للفجور، وصيغة مضارع (يسأل) للاستمرار، والسؤال عن موعد يوم القيامة من المكذبين سؤال استهزاء واستبعاد، وقد كان ذلك ديدنهم حكاه القرآن في قوله تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) [يونس: ٤٨].

قال تعالى ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ ﴾

الفاء لتفريع التهديد على الإنكار، فقد عدلت الآية عن إجابة سؤال المستهزئين عن وقت قيام القيامة إلى تأكيد حدوثها بذكر أشراطها، وبرق البصر لمعانه وشخوصه كناية عن شدة حيرته، وقت قيام القيامة، وفي ذلك إدماج بين إثبات المعاد وبين التهديد للمنكرين.

قال تعالى ﴿ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ ﴾

خسوف القمر كناية عن ذهاب ضوئه، باختلال نظامه يوم القيامة.

قال تعالى ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ ﴾

جمع الشمس والقمر بمعنى أن يطلعهما الله من مطلع واحد هو المغرب، بعد أن كانا مختلفين في الطلوع والغروب، وفي ذلك إشارة إلى اختلال النظام السماوي.

قال تعالى ﴿ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ ﴾

الجملة جواب (إذا) الشرطية، أي: يقول الإنسان الكافر يوم إذ تقع هذه الأمور أين الفرار، وسؤاله عن المفر طلبا للنجاة سؤال يأس، أو من باب إظهار ما كان عليه الكافرون في حياتهم الدنيا، فقد كانوا إذا دهمهم الخطر قالوا: أين المفر، وبه يفسر ظهور كذبهم في أقسامهم كقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) [الأنعام: ٢٣]، وتبريهم من بعض طلبا للنجاة مع أن ذلك اليوم يوم انكشاف الحقائق وارتفاع الحجب.

قال تعالى ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ ﴾

الجملة من كلامه تعالى لا من كلام الإنسان، وكلا: ردع وزجر من الله عن تمني الإنسان المفر يوم القيامة، و(لا) لاستغراق النفي، ولفظ الوزر بمعنى الملجأ، واصله جانب الجبل الذي يلجأ إليه طلبا للسلامة من خطر ما، وجملة (لا وزر) تعليل للردع.

قال تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾

أي: لا ملجأ إلا إليه تعالى، والتقديم لشبه الجملة (إلى ربك) يفيد الحصر، والخطاب للرسول ﷺ خطاب عناية وتشريف، و(يومئذ) يوم القيامة، ولفظ (المستقر) مصدر ميمي بمعنى الاستقرار والثبات، استقرار في نعيم أو استقرار في شقاء، والكلام نظير قوله تعالى (إن إلى ربك الرجعى) [القلم: ٨].

قال تعالى ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ ﴾

تتضمن دلالة الإنباء الإخبار بالأحداث المهمة، وإبهام الفعل فيه لأن الغرض غير متعلق به في الكلام، واستعمال الإنباء في آيات القيامة كثير ويراد به المجاز، وهو ما يؤول إليه من الحساب والعقاب، كقوله (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) [المائدة: ١٤]، وقوله (إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) [الأنعام: ١٥٩]، وقوله (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) [المجادلة: ٧].

وتكرار لفظ الإنسان لزيادة التقرير والتوبيخ كما تقدم، والظرف المركب (يومئذ) للقيامة، والباء في (بما) متعلق بفعل الإنباء، و(ما) اسم موصول، وفي معنى المراد من التقديم والتأخير أقوال شتى، أقربها أن يكون المراد (بما قدم) من عمل في أول عمره و(بما أخر) في آخره، أو (بما قدم) من عمل في حياته، و(بما اخر) ما ترك بعد مماته من سنة حسنة.

قال تعالى ﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤ ﴾

الإضراب في (بل) نوع ترق بمعنى: ينبأ الإنسان يوم القيامة بأعماله بل هو عالم يومئذ بتفاصيل أحواله، وشبه الجملة (على نفسه) متعلق بقوله (بصيرة)، وتأنيث (بصيرة)، مع أن حقها التذكير باعتبار لفظ الإنسان، لأنها متضمنة معنى حجة أو شاهد، بدليل تعلق حرف الاستعلاء (على) بها.

والإنسان يوم القيامة شاهد على نفسه ذو بصيرة عليها، لأن الله ينطق جوارحه، فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده، وأطرافه، قال تعالى (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم) [يس: ٦٥]، وقال: (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) [الإسراء: ٣٦]، وقال (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) [السجدة: ٢٠].

قال تعالى ﴿ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥ ﴾

الجملة محلها الحال، أي: إن الإنسان ذو بصيرة على نفسه يوم القيامة حتى في حال كثرة جداله وتقديم أعذاره عما فعل في حياته الدنيا من سوء، فإن ذلك لا يغني عن العذاب شيئا.

وفعل الإلقاء استعارة من رمي الشيء وطرحه على الأرض، لتقديم الأعذار، ولفظ المعاذير جمع معذرة، وهي كما قال الشيخ الطوسي: ذكر موانع تقطع عن الفعل المطلوب. انتهى.

وقيل: إن المعاذير استعمل في حقيقته، جمع معذار وهي الستور على لغة الطائيين، وعلى أي قول فإن مما حكى القرآن من معاذيرهم كثرة تبريهم من بعض، كقوله (هؤلاء أضلونا) [الأعراف: ٣٨]، وإلقاء التبعة على الشيطان، كقوله (ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس) [فصلت: ٢٩]، وتمنيهم الرجوع إلى الدنيا، كقوله (رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت) [المؤمنون: ٩٩- ١٠٠]، ونفي أن يكون جاءهم بشير، كقوله (ما جاءنا من بشير) [المائدة: ١٩].

قال تعالى ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾

الآيات الأربع معترضة بين الآيات في السورة، تضمنت تعليما من الله لنبيه وقت تلقي الوحي، فأمرته بالإنصات حتى يفرغ الوحي من القراءة، قال ابن عباس: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه القرآن عجّل بتحريك لسانه، لحبه إياه وحرصه على أخذه وضبطه، مخافة أن ينساه، فنهاه الله عن ذلك. نقل في المجمع. انتهى. فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا نزل جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأ، وكان رسول الله ﷺ لا يعلم ختم سورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم.

ومضمون الآيات الأربع في معنى قوله تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) [طه: ١١٤].

قوله (لا تحرك به لسانك) التحريك كما في التبيان: تغيير الشيء من مكان إلى مكان، أو من جهة إلى جهة بفعل الحركة فيه، والحركة ما به يتحرك المتحرك، والمتحرك هو المنتقل من جهة إلى غيرها. انتهى.

واللسان آلة الكلام، فالنهي كناية عن عدم النطق، وضمير الهاء في (به) راجع إلى القرآن، وقد كان النبي ﷺ لشدة حرصه أول نزول الوحي عليه ينطق الآيات قبل أن ينتهي منا جبريل، ليحفظها بمبانيها ومعانيها، فأمره الله تعالى بألا يتعجل ـ كما تقدم ـ فقد تكفل بحفظها له وبيانها.

قوله (لتعجل به) اللام للعلة، والتعجيل إتيان الشيء قبل أوانه، والهاء في (به) للقرآن، أي القراءة، وقد أولت الآيات تأويلا آخر لا يخلو من بعد بعضها، أغمضنا عنها تجنبا للإطالة.

قال تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾

القطع لأن الجملة تعليل للنهي، أي: لأنه وجب علينا جمع القرآن وقراءته، وفي الكلام إشارة إلى أن القرآن نزل دفعيا غير نزوله تدريجا، وفي معنى حرف الاستعلاء في (علينا) الإيجاب، والنون فيه ـ وفيما بعده ـ من المجاز العقلي، للمبالغة في إيجاب التأني، لأن الله تعالى أنزله بواسطة جبريل.

قال تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾

الفاء للتفريع، أي: فإذا قرأه الوحي بأمر منا وأتمه، والفاء الثانية واقعة في الجزاء جواب (إذا) الشرطية، والأمر باتباع قرآنه بمعنى الأمر بالعمل بأحكام ما يقرأ من آيات القرآن.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾

تفيد (ثم) العطف المتراخي في الرتبة، أي: ثم إنه حق علينا بعد ذلك بيانه، أي كشفه وشرحه.

قال تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ ﴾

رجوع بالكلام إلى ما كانت عليه آيات السورة من ذم الإنسان الكافر، وحرف النفي (كلا) ردع عن قوله السابق (أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه)، ولا علاقة بالخطاب في (لا تحرك به لسانك) لأنها آيات معترضة بين سياق السورة كما توضح.

والإضراب في (بل) عن حسبان عدم الإحياء بعد الموت، لتأكيد حبهم الدنيا التي سماها (العاجلة)، فالتعريف للعهد، واللفظ اسم فاعل استعمل صفة وقامت مقام الموصوف لتمكنها، وسميت الدنيا عاجلة، لأنها تعجل لأهلها بالأعراض الدنيوية المؤقتة.

قال تعالى ﴿ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾

جملة مقابلة، والواو للحال، والفعل (تذرون) معناه تتركون بكراهة، ولفظ (الآخرة) أي الحياة الآخرة، وهي من التضاد المعنوي، لأن (العاجلة) متضمنة معنى الأولى، والمعنى: أن إنكارهم للمعاد لأنهم فضلوا الدنيا الفانية على الآخرة الباقية.

قال تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

الكلام في تقسيم حال الناس يوم القيامة، أي: وجوه كثيرة من المؤمنين يوم القيامة بهية متهللة يرى عليها نضرة النعيم، والكلام في معنى قوله تعالى (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) [المطففين: ٢٤].

وارتفع اللفظ (وجوه) على الابتداء، ودلالة الجمع الكثرة، وذكر الوجوه من المجاز ويراد بها أصحابها، ولفظ النضارة بمعنى النعومة والبهجة، نقيض العبوس والبسور.

قال تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

أي: إلى نعيم ربها منتظرة، وتقديم شبه الجملة (إلى ربها) للحصر، والهاء المقترن بلفظ الرب راجع إلى الوجوه، والنظر معناه الانتظار لا محالة، ولا يجوز أن يكون بمعنى النظر الحسي أي البصر العياني لأن ذلك مستحيل على الله تعالى، وقد جاء كثيرا هذا المعنى في لغة العرب، نحو قول الشاعر:

وجوه يوم بدر ناظرات   إلى الرحمن تنتظر الفلاحا

فلا اعتبار بأن تعدية الفعل بـ (إلى) موجبة أن يكون بمعنى النظر الحسي، لا معنى الانتظار، والتركيب جاء في قوله تعالى (وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة) [النمل: ٣٥]، أي: منتظرة، وبين (ناضرة وناظر) محسن بديعي اسمه الجناس المضارع.

قال تعالى ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

وهو القسيم الثاني لحال الناس يوم القيامة حيث لا قسمة ثالثة، وهم الأشقياء الكافرون المقابل للسعداء المؤمنين، أي: ويوم القيامة وجوه كثيرة من الكافرين عبوسة مكفهرة، ونسبة البسور إلى الوجوه نسبة مجاز عقلي يراد بها أصحاب الوجوه.

قال تعالى ﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

تعليل لبسر الوجوه، لأنها تعلم أن يفعل بها فاقرة، وفعل الظن مستعمل هنا بمعنى العلم واليقين، والفاقرة صفة للفعلة الشديدة التي تصيب فقار ظهر أصحاب الوجوه، أي: يقصم بها ظهره، وقيل: هو مأخوذ من فقرت البعير، إذا وسمت أنفه بالنار.

قال تعالى ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ ﴾

ردع عن الذين يؤثرون الحياة العاجلة على الحياة الآخرة، والمعنى: انزجروا وارتدعوا عن إيثاركم الدنيا على الآخرة، لأنها فانية وسيحل بكم الموت وتقبض أرواحكم وعندها لات حين مندم.

و(إذا) شرط في لما يستقبل من الزمان، وجملة (بلغت التراقي) فعل الشرط، وأما جوابه فمحذوف للتهويل، وتاء التأنيث في (بلغت) عائدة إلى النفس وإن لم تذكر، والبلوغ الوصول، والتراقي عظام الترقوة مقدم الحلق في أعلى الصدر، المكتنفة للنحر، والتركيب كناية عن وصول النفس إلى الحلقوم عند الاحتضار نظير قوله تعالى (فلولا إذا بلغت الحلقوم) [الواقعة: ٨٣].

قال تعالى ﴿ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ٢٧ ﴾

أبهم القائل لانتفاء تعلق المقصود به، و(من) اسم استفهام، و(راق) اسم فاعل، من الرقي، وهو ـ كما قال في المجمع: طالب الشفاء، ورقاه يرقيه رقية إذا طلب له شفاء بأسماء الله الشريفة. انتهى.

والمعنى: قال الحاضرون من أهل المحتضر وأخلائه سائلين سؤال يأس: من يرقيه ويشفيه مما هو فيه؟ وقيل: إن القائلين الملائكة يسأل بعضهم بعضا: من يرقى بروحه ؟ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟

قال تعالى ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ٢٨ ﴾

أي: وأيقن من بلغت روحه تراقيه وهو المحتضر أنه مفارق للعاجلة ونعمها التي آثرها على الآخرة، ولفظ الفراق بمعنى البعاد عن الأهل والأُلّاف، وصح

في الحديث المنقول عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن العبد ليعالج كرب الموت وسكراته، ومفاصله يسلم بعضها على بعض، يقول: عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة. ذكر في التبيان. انتهى.

وفي هذا المعنى قوله عليه السلام في نهج البلاغة: دهمته فجعات المنية في غبر جماحه، وسنن مراحه، فظل سادرا وبات ساهرا، في غمرات الآلام، وطوارق الأوجاع والأسقام، بين أخ شقيق ووالد شفيق، وداعية بالويل جزعا. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ ﴾

اللف أصله الضم، ومنه قوله تعالى (وجنات ألفافا) [النبأ: ١٦]، أي: ذات شجر كثيف ملتف بعضه ببعض، والالتفاف مبالغة في اللف والضم، والتفاف الساق بالساق من باب المجاز، كناية عن اشتداد الأمر، نظير قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) [القلم: ٤٢]، فالمعنى على هذا: التفاف البلية بالبلية، إشارة إلى توالي الشدائد، والعرب تقول: قامت الحرب على ساق، ومنه قول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: وذلك إذا قلصت حربكم، وشمرت عن ساق. وفيه عن التحذير من الدنيا: وقامت بأهلها على ساق. انتهى.

وقيل في التركيب أقوال شتى، أغمضنا عن ذكرها، لأن ما ذكرنا أقربها إلى لغة البيان القرآني، والله أعلم.

قال تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾

تقديم شبه الجملة (إلى ربك)، للحصر، على تقدير: إلى حكم ربك وحده، والظرف المبني (يومئذ) يوم القيامة، ولفظ المساق مصدر ميمي كالسوق، وهو قيادة الخلائق من الخلف مقهورين للحشر والحساب بين يدي ربهم، وبين لفظي (الساق والمساق) محسن بديعي اسمه الجناس الناقص.

قال تعالى ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ ﴾

الفاء للتفريع على الآيات السابقة المتضمنة معنى التهديد بالرجوع إلى الله وحده للحساب، وفاعل الأفعال الأربعة في الآية وما بعدها راجع إلى جنس الإنسان، ونفي التصديق بمعنى نفي الإيمان بدعوة التوحيد التي يأتي بها الأنبياء إليهم، ونفي التصلية بمعنى نفي التوجه العبادي إلى الله وركيزته الصلاة.

قال تعالى ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾

الاستدراك بـ (لكن) على جمل النفي، ثم الإتيان بفعل التكذيب والتولية من باب تأكيد الذم بما يشبه المدح، وفعل التضعيف (كذب) دال على كثرة تكذيبهم بآيات التوحيد، والتولية شدة الإعراض والإنكار.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ ﴾

العطف بـ (ثم) للتراخي الرتبي في الكلام، ولفظ الأهل تطلق على خاصة الرجل، كزوجه وأولاده، وجملة (يتمطى) محلها الحال، أي: ذهب في حال من التمطي، والتمطي مد الظهر وليه، استعارة للتبختر والخيلاء.

قال تعالى ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾

ظاهر الخطاب لجنس الإنسان الكافر كما تقدم، والمعنى: أولى لك فأولى لك ما أنت عليه من عدم التصديق بالله والصلاة له حتى تذوق عاقبة كفرك من العذاب الأليم يوم القيامة.

و(أولى) اسم تفضيل بمعنى: أجدر وأحرى، واللام في (لك) مزيدة للتأكيد، والتكرار لزيادة التقرير، وذكرت وجوه كثيرة ضعيفة لمعنى (أولى) أغمضنا عن ذكرها للاكتفاء بما ذكرنا، ويمكن مراجعتها في التفاسير.

وفي مناسبة الآية، روي في المجمع وغيره: أن رسول الله ﷺ أخذ بيد أبي جهل، ثم قال له (أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى)، فقال أبو جهل: بأي شيء تهددني، لا تستطيع أنت، ولا ربك أن تفعلا بي شيئا، وإني لأعز أهل هذا الوادي، فأنزل الله سبحانه كما قال له رسول الله ﷺ. انتهى.

قال تعالى ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾

الجملة نظير قوله السابق (أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه)، والاستفهام إنكاري يفيد التوبيخ، واللفظ (سدى) معناه الهمل، وهو منصوب على الحال من (يترك)، والمعنى: لا يظن الإنسان الكافر أن يترك مهملا في الحياة الدنيا

عن الأمر والنهي، فلا يبعث بعد الموت من جديد للحساب والعقاب، بل هو مخلوق بالحق يكلف في حياته الدنيا بالتكاليف ويبعث ويجازى عليها في يوم القيامة، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، روي أن رجلا قال لجعفر بن محمد عليه السلام: يا أبا عبد الله إنا خلقنا للعجب، قال: وما ذلك لله أنت؟ قال: خلقنا للفناء، فقال: يا بن أخ خلقنا للبقاء، وكيف يفنى جنة لا تبيد ونار لا تخمد؟ ولكن قل: إنما نتحول من دار إلى دار. ذكر في علل الشرائع. انتهى.

قال تعالى ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾

الاستئناف احتجاج لإبطال الحسبان، بذكر مبدأ الإنسان وتقلب أطوار خلقه لإثبات إمكان الإعادة، والاستفهام للتقرير، و(يك) أصلها: يكن، والنطفة كما قال الراغب: الماء الصافي ويعبر بها عن ماء الرجل. انتهى. وتنكير اللفظ للتحقير، و(من) بيانية، أو للتبعيض، والمني ماء الرجل، وشبه الجملة (من مني) محلها الصفة لـ (نطفة)، و(يمنى) بمعنى: يقدر، أو بمعنى: يصب في رحم المرأة.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾

العطف بـ (ثم) للتراخي الرتبي، والعلقة الدم الجامد، والفاء للترتيب الذكري، والمعنى: ثم بعد ذلك كان علقة فخلق الله خلقا في الرحم فأتقنه وسواه إنسانا ذا صورة كاملة في جوف أمه.

وإلى هذا المعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام في صفة خلق الإنسان: أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام، وشغف الأستار نطفة دهاقا وعلقة محاقا، وجنينا وراضعا، ووليدا ويافعا، ثم منحه قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا، ليفهم معتبرا، ويقصر مزدجرا، حتى إذا قام اعتداله واستوى مثاله، نفر مستكبرا وخبط سادرا. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قال تعالى ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾

أي: فجعل من الإنسان المخلوق الزوجين وهما الذكر والأنثى، والفاء في (فجعل) للتفريع، والجعل التصيير، وحرف الجر (من) في (منه) للتبيين والجنس، والهاء عائدة على الإنسان، ولفظ الزوج تقال للنوع المقرون بجنسه، ولفظ (الذكر والأنثى) بدل من (الزوجين) وإنما خصهما بالذكر لأنهما السبب الذي صيره الله لخلق الإنسان.

قال تعالى ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

الاستفهام للتقرير والتوبيخ، وهو من أدلة القياس العقلي، وذلك لأن من قدر على الابتداء قدر على الإعادة، واسم الإشارة للخلق المتقدم، والباء في (بقادر) مزيدة للتأكيد، والقدرة القوة، وفرقها عن الاستطاعة، أنها متضمنة للذات، وإحياء الموتى إعادة خلقهم من جديد للحشر والحساب، وروي أنه لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: سبحانك اللهم، وبلى، وهو المروي عن الصادقين عليهما السلام.

سورة الإنسان

مدنية، وهي إحدى وثلاثون آية

افتتحت السورة بالتذكير بخلق الإنسان، وأنه لم يكن شيئا مذكورا، وإنما الله أوجده وأودع فيه فطرة الهداية، وهو بعمله إما أن يكون شاكرا أو كفورا، وخلصت من هذا التقسيم إلى ذكر الكافرين وما أعدت لهم من عذاب أليم، وذكرت الأبرار وفصلت في ذكر مجازاتهم بألوان النعيم في ثماني عشرة آية دلالة على أنهم المقصود بالبيان، والآيات منطبقة على سبب نزولها في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فالسورة بحسب السياق مدنية إلا تمام تسع آيات في ذيلها فهو مكي، وتسمى السورة بسورة الدهر.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾

الاستفهام بـ (هل) للتقرير، ولذا خرج بعضهم حرف الاستفهام بمعنى: قد، والفعل (أتى) بمعنى: مر، ولذا تعدى بحرف الاستعلاء، وتعريف الإنسان للجنس، والظرف (حين) المدة من الزمان وقد يقع على القليل والكثير، و(من) للتبعيض، ولفظ الدهر معناه الزمن الممتد، وجمعه أدهر ودهور، قال في التبيان: والفرق بين الدهر والوقت أن الوقت مضمن بجعل جاعل، لأن الله جعل لكل صلاة مفروضة وقتا، وجعل للصيام وقتا معينا، وقد يجعل الإنسان لنفسه وقتا يدرس فيه ما يحتاج إلى درسه، ووقتا مخصوصا لغذائه. انتهى.

وجملة النفي أعني قوله (لم يكن شيئا مذكورا) محلها الحال، أو الصفة لـ (حين)، ومعناها: أي: لم يكن معدودا في المذكورات، فهو كان شيئا مقدورا في علم الله ولكن لم يكن موجودا، فهو في حكم المعدوم، قال الشيخ الطوسي: وفي الآية دلالة على أن المعدوم لا يسمى شيئا، وإنما سمى زلزلة الساعة شيئا مجازا، والمعنى إنها إذا وجدت كانت شيئا عظيما. انتهى.

ومحصل المعنى: قد أتى على الإنسان وقت قريب من الدهر الطويل لم يكن شيئا يذكر في المذكورات، وبجملة أخرى: إن الإنسان مخلوق محدث سبقه إلى الخلق موجودات أكثر قدما منه، كالشمس والأرض والبر والبحر ونحو ذلك، والمراد الاحتجاج بأن له صانع صنعه، ومحدث أحدثه هو الله تعالى.

قال تعالى ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ٢ ﴾

قوله (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) الاستئناف لزيادة التقرير، والمراد بالإنسان ولد آدم، و(من) ابتدائية، والنطفة الماء القليل، ووصفها بـ (أمشاج) أي ماء مختلط من الرجل والمرأة.

قوله (نبتليه) الجملة موقعها الحال من ضمير (خلقنا)، والابتلاء الانتقال من حال إلى حال على طريق الاستعارة، كابتلاء الذهب في البوتقة، وابتلاء الإنسان تنقله من طور إلى آخر، فقد خلقه الله من نطفة ثم جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما ثم أنشأه خلقا آخر.

قوله (فجعلناه سميعا بصيرا) تفريع على الابتلاء، والسميع البصير صيغتا مبالغة في كثرة السمع والبصر، إشارة إلى أن الله وهبه الإدراك الذي نوافذه السمع والبصر، بهما يميز الحق من الباطل، ويتدبر آيات الخلق من حوله، فيصل بها إلى الإيمان بالواحد الأحد.

قال تعالى ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾

قوله (إنا هديناه السبيل) استئناف تقريري مبيّن لقوله (فجعلناه سميعا بصيرا)، وأصل الإهداء الإرشاد، ولفظ السبيل معناه الطريق، وأكثر استعماله القرآني في معاني الخير، وتعريفه للعهد يراد به سبيل الحق، والمعنى: أن الله جهز الإنسان بالفطرة السليمة ابتداء، تدله على الحق، وتهديه إلى التوحيد، وإنما الذي يضعف هذه الملكة عناد الإنسان وطبيعة تنشئته الكفرية.

قوله (إما شاكرا وإما كفورا) الجملة موقعها الحال، أي: أقدرنا الإنسان ومكناه فإن كان شاكرا من المهتدين فبتوفيق منا، وفي حال كونه كفورا معرضا فبعناد منه وإعراض، وإلى هذا المعنى قوله ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة حتى يعبر عنه لسانه، فإذا عبر عنه لسانه إما شاكرا وإما كفورا. ذكر في الدر المنثور. انتهى.

وتفيد (إما) التقسيم والتفصيل، وصفة الشكر من مراتب المؤمنين العالية، لأن لازمه صحة الإيمان ويكون قولا باللسان أو عملا بالجوارح، وكلاهما

محمودان دالان على ثبات الاعتقاد، ولفظ الكفور صيغة مبالغة من شدة الكفر ويراد به الجحود.

قال تعالى ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ۝٤ ﴾

الإخبار وعيد للكافرين من أفراد الإنسان في يوم القيامة، تقدم ذكره على الأبرار مع أنه متأخر في الجمع بين أهل الشكر والكفر، لأهمية تقديم الإنذار والتخويف، ولإفادة ختم الكلام بذكر المؤمنين وذكرهم بتفصيل أكثر.

والاعتاد التهيئة، واللام في (للكافرين) بمعنى: لأجل، والتصريح بلفظهم لبيان علة الحكم، ولفظ السلاسل حلق متصل من حديد لأجل اقتيادهم، وصرفه لأجل تشاكل ما جاوره من رأس الآية، والأغلال لغرض تقييدهم، والسعير النار المشتعلة، وتنكير الألفاظ للنوعية، فكلها من وسائل التهيئة لعذاب الكافرين.

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ ﴾

استئناف مبين للقسيم الثاني وهم أهل الشكر، أخّره مع أنه تقدم لغرض التفصيل في صفته، ولفظ الأبرار جمع بَر بفتح الباء، وهو صفة مشبهة من كثرة عمل البِر بالكسر، وهو مطلق عمل الخير للآخرين، ومضمونه الإيمان بالله ورسوله لأنه جوهر البر والإحسان، والإتيان بلفظ الأبرار لبيان علة استحقاقهم.

وذكر حالة الشرب لبيان حال راحة المؤمنين ونعيمهم في الجنة، فهو مجاز من باب ذكر الجزء وإرادة الكل، و(من) ابتدائية، و(كأس) الإناء الذي يشرب به الخمر، وقد تطلق على نفس الخمر فتكون (من) حينئذ تبعيضية أو بيانية، وتنكير اللفظ لنوعيته، وجملة (كان) محلها الصفة للكأس، ولفظ المزاج أي الممزوج، والهاء فيه راجع إلى الكأس الذي فيه الشراب، والكافور نبت معروف طيب الرائحة، ومحصل المعنى: أن شراب الأبرار في الجنة ممزوج بطيب الكافور وبرودته.

وفي الكلام حسن تخلص إلى سبب نزول الآية، فقد أجمع أهل البيت عليهم السلام وموافقوهم، وكثير من مخالفيهم أن المراد بالأبرار علي، وفاطمة، والحسن والحسين عليهم السلام، والآية مع ما بعدها متعينة فيهم، وأيضا فقد انعقد الإجماع على أنهم كانوا أبرارا، وفي غيرهم خلاف. قاله صاحب المجمع. انتهى.

واستشهد الإمام علي ﷺ بالآية في إثبات حقه في الخلافة، ففي حديث قال فيه للقوم بعد موت عمر بن الخطاب: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نزل فيه وفي ولده (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) إلى آخر السورة غيري؟ قالوا: لا. ذكر في الاحتجاج. انتهى. أقول: ومثله في الخصال للصدوق.

قال تعالى ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ ﴾

قوله (عينا يشرب بها عباد الله) لفظ العين مجاز من فوران الماء وصفائه، ونصب اللفظ بنزع الخافض، أي: من عين، أو على الاختصاص بتقدير: أخص، أو البدل من محل (من كأس)، والباء في (بها) لتعدية فعل الشرب، والفعل يتعدى بنفسه أيضا، أو لتضمن (يشرب) معنى: يلتذ، والهاء راجع إلى العين، وعبر عن الأبرار بأنهم عباد الله لبيان الثناء عليهم بكمال عبوديتهم التي استحقوا بها هذا الجزاء، وقيل: إنها عين في دار النبي ﷺ يفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين. نقل في أمالي الصدوق. انتهى.

قوله (يفجرونها تفجيرا) أصل التفجير إحداث الشق في الأرض، وتضعيف الفعل للتكثير، وضمير النصب للعين، واشتقاق المصدر المفعول المطلق منه بقصد المبالغة في كثرة الشرب، وتفجيرهم للعين مجاز في نفاذ إرادتهم، لأن نِعَم تحقُّق نِعَم الجنة خاضعة لمشيئة أهلها.

قال تعالى ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ ﴾

قوله (يوفون بالنذر) الاستئناف لتعليل استحقاقهم النعيم، والإيفاء أصله إيتاء الشيء كاملا غير منقوص، والنذر كما قال الراغب: أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر. انتهى. واشترط في الوفاء بالنذر أن يكون صالحا لإمضائه، فقد صح عن النبي ﷺ قوله: لا نذر في معصية، وقال الشيخ الطوسي: فالوفاء بالنذر أن يفعل ما نذر عليه من عمل، فالوفاء إمضاء العقد على الأمر الذي يدعو إليه العقل. انتهى.

قوله (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) ونصب (يوما) لأنه مفعول (يخافون)، وهو يوم القيامة، وجملة (كان) محلها الصفة لليوم، وإضافة الشر إليه لما فيه من أهوال وشدائد، وكونه مستطيرا مبالغة في انتشار شره في الجهات فبلغ أقصى المبالغ، ولذا لفظ الاستطارة أبلغ في التأدية من: طار، ودلالة صيغة المضارع في (يوفون ويخافون) الاستمرار والتجدد إشارة إلى كون تلك المعاني من طبائعهم.

قال تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ ﴾

تعدية فعل الإطعام بحرف الاستعلاء (على) لتضمنه معنى الإيثار، كقوله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) [الحشر: ٩]، ولذلك الأوفق أن يكون عائد ضمير الهاء في (حبه) للطعام، أي: على توقهم للطعام وشدة احتياجهم له، وهو يؤيد ارتباط الكلام بمناسبة نزوله، ولذلك خص ذكر إطعام المسكين واليتيم والأسير، فتنكير الألفاظ لا يفيد الجنس بل التعيين، أما القول بعود الضمير إلى الله أو إلى الإطعام فيفكك السياق ويضعفه.

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾

قوله (إنما نطعمكم لوجه الله) الكلام مقول قول لحال مقدر بمعنى: قائلين، وفيه تعليل لإيثارهم إطعام المذكورين على أنفسهم، والابتداء بأداة الحصر لنفي أن يكون إطعامهم لسبب آخر غير إرادة وجه الله، و(وجه الله) مجاز

لما يستقبل من طلب مرضاة الله وجزائه، أي: إنهم يعملون ذلك حبا لله ولأجل الله.

قوله (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) جملة تقرير لما تقدمها، والخطاب في الآية للمسكين واليتيم والأسير لتطييب نفوسهم وأنهم بمأمن من المنّ والأذى على سبيل لسان الحال لا المقال، وإنما أخبر الله تعالى عنهم للثناء عليهم، ومعنى الجزاء العوض، ولفظ الشكور الشكر، جيء به ليناسب الفاصلة.

وفي الكشاف وغيره من كتب التفاسير والنقل: وعن ابن عباس أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم، ليفطروا، فوقف عليهم سائل وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صياما، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين، وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم، فانطلق معهم فرآى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت

عيناها، فساءه ذلك، فنزل جبريل وقال: خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة. انتهى. أقول: والقصة أشهر من أن تنكر.

قال تعالى ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠ ﴾

التقرير تعليل للقصر، وتأكيد بالحكاية لما أخبر عنهم في قوله (ويخافون يوما كان شره مستطيرا)، وتقدم شبه الجملة (من ربنا) للعناية، لأنهم إنما يخافون يوم القيامة لأنه كائن عن الله ومن الله، ووصفه بالعبوسة باعتبار ما يظهر من شدائده على الكافرين، ولفظ القمطرير وصف ثان له أي: الشديد الصعب.

قال تعالى ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ ﴾

قوله (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) الفاء لتفريع النتيجة على السبب، وأصل الوقاية الاتقاء، ويراد به الحفظ والمنع، والتصريح بلفظ الجلالة للتعظيم، أي: جنبهم الله شر ذلك اليوم وحفظهم منه.

قوله (ولقاهم نضرة وسرورا) أي: وأعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلب.

قال تعالى ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢ ﴾

أي: وكافأهم بسبب صبرهم في الحياة الدنيا على مشاق الطاعات واجتناب المحرمات وبذل الأموال بستانا عظيما يأكلون منه ولباسا حريرا يتزينون به، وتنكير اللفظين للتعظيم والنوعية.

قال تعالى ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ١٣ ﴾

قوله (متكئين فيها على الأرائك) النصب على الحال من الضمير (هم) في (جزاهم)، والكلام كناية عن شدة الراحة وطول جلسة الاستئناس باجتماع الأحباب، والاتكاء الاضطجاع، والهاء في (فيها) للجنة، والأرائك جمع أريكة وهو السرير العريض المرتفع عن الأرض.

قوله (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) الجملة موقعها الحال، كناية عن أن مناخ الجنة معتدل، وهواءها طيب مناسب لظرف طول الجلسة والاتكاء، لا حار ولا بارد، ولفظ الزمهرير معناه البارد، وبينه وبين لفظ الشمس طباق، وتنكيرهما للعموم.

قال تعالى ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ١٤ ﴾

قوله (ودانية عليهم ظلالها) الإدناء التقريب، والظلال للشجر يراد به أغصانها، ودنوها كناية عن انبساطها عليهم كأنها تظلهم.

قوله (وذللت قطوفها تذليلا) التذليل التسخير بحيث تكون القطوف طيعة خاضعة لمشيئتهم، والقطوف جمع قِطف وهي الثمرة المقطوفة، والنصب (تذليلا) على المفعولية المطلقة لإفادة النوعية.

قال تعالى ﴿ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ١٥ ﴾

الطواف الدوران، وتعديته بـ (على) لأن المطيفين وهم الولدان قائمون على المطاف بهم لخدمتهم، وهم يطاف عليهم لأنهم متقابلون في جلوسهم أشبه بالحلقة ليأنس بعضهم برؤية بعض، فلا رئيس ولا مرؤوس، والباء في (بآنية) للمصاحبة، والآنية جمع إناء، وهو الوعاء، و(من) بيانية، و(فضة) المعدن المعروف وشبهت الآنية بها لصفاء لونها، وليس المراد جنسها الحقيقي، والأكواب جمع كوب وهو الكوز الذي لا عروة له ولا أذن، وتنكير اللفظين للنوعية، وجملة (كانت قواريرا) صفة للأكواب، أي: كانت تلك الأكواب زجاجات كالقوارير، وهو من التشبيه البليغ، والقارورة زجاجة معروفة تتخذ للعطر ونحوه، وصرف (قوارير) مع أن حقه المنع لرعاية الفاصلة.

قال تعالى ﴿ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾

قوله (قوارير من فضة) بدل من لفظ (قوارير) التي قبلها، أي: الأكواب لصفائها كأنها من فضة، قال الصادق عليه السلام: ينفذ البصر في فضة الجنة كما ينفذ في الزجاج. نقل في المجمع. انتهى. أي: اجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير، فيرى من خارجها ما في داخلها.

قوله (قدروها تقديرا) ضمير الجمع للأبرار، كون السياق حول المطاف بهم، أي: قدروا ما يرويهم من الشراب في القوارير والأكواب، ويحتمل عود الضمير إلى الطائفين لبيان كمال الخدمة.

قال تعالى ﴿ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧ ﴾

أي: ويسقون في الجنة من كأس ممزوجة بما يشبه الزنجبيل في الطعم، ولفظ الكأس تقال للخمرة.

قال تعالى ﴿ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ١٨ ﴾

أي: ويسقون من كأس عين في الجنة تسمى سلسبيلا، أي: شراب لسهولة مساغه في الحلق سلسال سلسبيل، فهو بطعم الزنجبيل ولا لذعة فيه.

قال تعالى ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩ ﴾

قوله (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) أي: ويدور على المطاف بهم وهم الأبرار لخدمتهم غلمان مخلدون، أي: دائمون على ما هم عليه من البهاء والطراوة.

قوله (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) تمثيل لهيئة الولدان، وهي جمال صورتهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم، وتوصيفهم بالمنثور لانتثارهم في الخدمة وانعكاس أشعة بعضهم إلى بعض.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ٢٠ ﴾

قوله (وإذا رأيت ثم) بقطع العامل عن متعلقه لا يراد به تقدير ملفوظ المفعول، بل المراد: أينما وقع بصرك في الجنة رأيت نعيما وملكا كبيرا، لا يقادر بقدر

ولا يوصف بوصف، وسئل الصادق عليه السلام عن الآية: ما هذا الملك الذي كبره الله عز وجل حتى سماه كبيرا؟ قال: إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة أرسل رسولا إلى ولي من أوليائه فيجد الحجبة على بابه فتقول له: قف حتى نستأذن لك، فما يصل إليه رسول ربه إلا بإذن، فهو قوله عز وجل: (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا). نقل في معاني الأخبار للصدوق. انتهى.

قال تعالى ﴿ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١ ﴾

قوله (عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق) الكلام في صفة ثياب المطاف بهم، ونصب (عاليهم) على الحال من لفظ الأبرار، وإضافة (ثياب) إلى (سندس) من إضافة الموصوف إلى صفته، والسندس ما رق نسجه من الحرير، والخضر صفة ثياب أهل الجنة، ولفظ الإستبرق ـ على ما قيل ـ ما غلظ نسجه من الحرير.

قوله (وحلوا أساور من فضة) أي: وألبسوا الحلي، والأساور جمع سوار وهو ما يزين معصم اليد من حلي، و(من) بيانية، والفضة معدن معرف ببريقه وصفائه، وفضة الجنة شفافة يرى ما وراءها، وهي أفضل من الدر والياقوت.

قوله (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) نسبة السقي إليه تعالى بإسقاط وسائطه نوع ترق في كمال النعيم للأبرار في الجنة، لا يعدله تشريف وإنعام، وهو مجاز لكرامة المنزلة، كأنه سقي آخر يفوق النوعين السالفين، قال السيد في

الميزان: وهذا أفضل ما ذكره الله تعالى من النعيم الموهوب لهم في الجنة، ولعله من المزيد المذكور في قوله (لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد) [ق: ٣٥]. انتهى.

وروي أن عبدا حبشيا فاضت نفسه لمّا سمع من النبي ﷺ آيات السورة شوقا إلى الجنة، وهي ليست السبب في النزول بل موافقة له. ذكر في الدر المنثور. أه.

قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (إن هذا كان لكم جزاء) جملة الابتداء من حكاية الله لهم عند توفيتهم بالجزاء كأنه يقال لهم: إن هذا النعيم لأجلكم مكافاة على كمال الطاعة في دار التكليف.

قوله (وكان سعيكم مشكورا) ثناء من الله تعالى على قبول أعمالهم ورضاه عنها أنزلها منزلة الشكر لها.

ولم تذكر آيات النعيم شيئا لنساء الجنة وحورها، بل ذكرت مكانهم الولدان المخلدين رعاية لسبب النزول في الأبرار، كون منهم البتول وقرة عين الرسول ﷺ، ذكره الآلوسي في روح المعاني وأشار إليه صاحب الميزان. أه.

قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾

هذا الفصل من السورة مكي، أما ما سبقه فهو لا محالة مدني كما توضح من مضامينه، وكما هو معروف في نظم السور القرآنية، قد تفتتح السورة في مكة وينزل الوحي بما يكملها، وعن ابن عباس قال: كان إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما شاء. ذكر في الدر المنثور. انتهى.

وفي المجمع بإسناده عن الحاكم بإسناده عن سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: سألت النبي عن ثواب القرآن، فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء، فأول ما نزل عليه بمكة فاتحة الكتاب، ثم اقرأ باسم ربك، ثم ن - إلى أن قال - وأول ما نزل بالمدينة سورة البقرة، ثم الأنفال، ثم آل عمران، ثم الأحزاب، ثم الممتحنة، ثم النساء، ثم إذا زلزلت، ثم الحديد، ثم سورة محمد، ثم الرعد، ثم سورة الرحمن، ثم هل أتى. انتهى.

والابتداء بحرف النسخ وضمير الفصل والمفعول المطلق كلها تأكيدات لإثبات غيب القرآن، وأنه تنزيل مفرق منجم من رب العالمين، ليس فيه نفث شيطاني ولا دخل نفساني.

قال تعالى ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ ﴾

قوله (فاصبر لحكم ربك) تفريع على صحة تنزيل القرآن، والأمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، واللام في (لحكم) مزيدة للتأكيد، والحكم القضاء الفصل، والإتيان بالخطاب في (ربك) لإفادة تعليل الأمر، فإنه أيها النبي ربك الذي يتولاك ويعلم المصلحة في الأمر وعاقبته.

قوله (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) نهي بعد أمر لزيادة التقرير، أو هو من ذكر الخاص بعد العام، والنهي عن الإطاعة نهي عن الاتباع وقبول اقتراحاتهم، وتقديم (منهم) للاهتمام، و(من) للتبعيض، وضمير جمع الغائبين راجع إلى المشركين بدلالة السياق، ولفظ الآثم معناه فاعل الإثم، والكفور الكثير الكفر المصر عليه، والإتيان بالوصفين (الآثم والكفور) مشعر بعلية النهي عن إطاعتهما.

قال تعالى ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ ﴾

الأمر بالذكر، معناه الاستحضار الذهني ونفي الغفلة، و(اسم ربك) حقيقته الله، ويراد به المجاز، وهو الصلاة، من باب ذكر الجزء وإرادة الكل، لأن المراد دوام إقامتها في كل وقت غداة أو عشي، والبكرة أول النهار ويشمل صلاة الصبح، والأصيل آخره ويتضمن صلاتي الظهر والعصر، ونصب اللفظين على الحال، وبينهما محسن الطباق.

قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾

قوله (ومن الليل فاسجد له) أي: ومن بعض وقت الليل فاسجد لله، وتقديم شبه الجملة (ومن الليل) للعناية لما فيه من كلفة وخلوص، والفاء المقترن بفعل السجود لأن شبه الجملة إذا تقدمت عوملت معاملة الشرط.

قوله (وسبحه ليلا طويلا) التسبيح التهجد لله وتنزيهه، وفيه إشارة إلى صلاة الليل، ونصب (ليلا) على الظرفية، أي: سبحه قطعا من الليل طويلا، والآية

والتي قبلها في معنى قوله (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل) [هود: ١١٤].

قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧ ﴾

قوله (إن هؤلاء يحبون العاجلة) فصل الكلام لأنه تعليل للأمر والنهي، ولفظ الإشارة (هؤلاء) للآثم والكفور باعتبار معنى الجمع في (كل)، وحب العاجلة إرادة الدنيا والرغبة في لذائذها، وترك ما عداها.

قوله (ويذرون ورائهم يوما ثقيلا) في غالب استعمال الفعل (يذر) معناه ترك الشيء بكراهة، ولفظ الوراء من الأضداد يراد به الأمام، أو يحتمل معنى الإعراض، واليوم الثقيل هو يوم القيامة استعارة لما فيه من تحمل الشدائد.

قال تعالى ﴿ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ٢٨ ﴾

قوله (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) الاستئناف لبيان أن كفرهم ليس معجزا لله، وأنهم ليسوا فائتين الله، لأنه هو تعالى أوجدهم وأظهرهم إنسانا سويا كاملا، ولو شاء أفناهم وجاء بغيرهم.

وفعل الشد بمعنى الربط والإحكام، و(أسرهم) الأعضاء المختلفة للإنسان كالمفاصل والأعصاب، فالله ربطها وأحكمها حتى استوت إنسانا معتدلا.

قوله (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) جملة الشرط في تعلق المشيئة لبيان كمال القدرة، ومعنى (بدلنا أمثالهم) أي: بدلناهم أمثالهم، أي: أشباههم من الناس، فنذهب بقرن من الأحياء ونحيي آخرين بعدهم، والمفعول المطلق (تبديلا) لإفادة التأكيد والتمكين.

قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ ﴾

قوله (إن هذه تذكرة) أي: إن هذه السورة، أو الآيات القريبة ذكر وموعظة وهدي.

قوله (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) الفاء للتفريع، أي: هذه الآيات سبيل واضح آمن لمن يبتغي الإيمان بالله وطلب مرضاته، ودلالة الشرط الترغيب في اتخاذ السبيل، والتهديد لمن أعرض عنه، لأن التخيير ليس معناه القبول باتخاذ غير سبيل الله فهو من قبيل قوله تعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) [الكهف: ٢٩].

قال تعالى ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ ﴾

قوله (وما تشاؤن إلا أن يشاء الله) لما ذكر المشيئة للعبد في الجملة الشرطية السابقة دفع توهم أن تكون تلك المشيئة مستقلة عن مشيئة الله وإرادته، فأكد أن مجرد مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل من دون إرادة الله في تحقيق ذلك، وإنما للعبد الكسب، ولله الهداية والتأثير في الخلق، فكل شيء خاضع

لمشيئته ينتهي إليه وحده، لأن الوجود مرتبط به سبحانه لا يملك أن يستقل عنه، ومن هنا وجه العدول في الكلام من الغيبة إلى الخطاب في (تشاؤون)، وكذا الالتفات بعدها من الخطاب إلى الغيبة في قوله (إلا أن يشاء الله) فلم يقل: إلا أن أشاء، لبيان علة الحكم بإظهار لفظ الجلالة الذي منه المبدأ وإليه المنتهى.

قوله (إن الله كان عليما حكيما) تعليل للقصر، وهو أنه تعالى الموصوف بكثرة العلم والحكمة لما ينفع الخلق ويصلح شأنهم، وإظهار لفظ الله في موضع إضماره لإفادة استقلال الجملة وترسيخ معناها مثلا سائرا في الأذهان.

قال تعالى ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾

قوله (يدخل من يشاء في رحمته) الكلام تفسير لمشيئته المترتبة على العلم والحكمة، فهو سبحانه الذي يوفق العبد في عمل ما يؤهله في الدخول إلى رحمته وجنته، ولذا حذف مفعول (يشاء) لدلالة الكلام عليه وأصله: من يشاء دخوله، ولا يشاء إلا دخول من آمن واتقى، وأما أهل الإثم والكفر فبينه قوله (والظالمين أعد لهم عذابا أليما)، ولفظ الرحمة هنا يراد بها الجنة من باب المجاز بذكر الحال وإرادة المحل، ومثله ورد في القرآن أربع مرات غير هذه الآية، في [التوبة: ٩٩]، وفي [الشورى: ٨]، وفي [الجاثية: ٣٠]، وفي [الفتح: ٢٥].

قوله (والظالمين أعد لهم عذابا أليما) نصب لفظ (الظالمين) لأنه معطوف على مفعول الفعل (يدخل)، أي: يدخل من يشاء في رحمته، ويعذب الظالمين، وتعريفه للعهد الذكري قصد بهم أهل الإثم والكفر، وهم المشركون في أكثر الاستعمال القرآني في مثل هذا المقام، وجملة (أعد) تفسير لهذا المضمر، والإعداد الادخار والتهيئة، واللام في (لهم) بمعنى: لأجلهم، وتقديم الظرف للعناية بتعجيل المساءة، وتنكير (عذابا) ووصفه بالأليم للمبالغة فيما أعد لهم من عذاب متناه في الإيلام يوم القيامة.

سورة المرسلات

مكية، وهي خمسون آية

افتتحت السورة بالقسم بالملائكة ـ على أظهر الوجوه ـ قسم بعد قسم لتأكيد وقوع الوعد بيوم القيامة، وهو الغرض المقصود: التذكير بيوم الفصل، فتُذكِّر بأشراطه ودلائله، وتتوعد عليه المكذبين له بالعذاب، في أكثر من موضع لأنهم المقصودون بالإنذار، وتبشر المتقين بظلال وعيون، وتختم بوعيد المكذبين، والإياس من إيمانهم بالقرآن، والسورة مكية يؤيدها سياق آياتها.

وفي عظم السورة، جاء في الخصال عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: أسرع الشيب إليك يا رسول الله، قال ﷺ: شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون. انتهى.

وبالإسناد عن ابن مسعود قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه سورة والمرسلات عرفا، فإنه يتلوها وإني لألقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها، إذ وثبت عليه حية، فقال النبي ﷺ: اقتلوها فابتدرناها، فذهبت فقال النبي ﷺ: وقيتْ شركم، كما وقيتم شرها. ذكرت في أكثر التفاسير كالدر المنثور وغيره. انتهى.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ ﴾

الواو للقسم، لتأكيد جوابه، وهو المقسم عليه، وللتنويه بشأن المقسم به، وأصل القسم أن يكون بلفظ الله تعالى، فإن كان من مصنوعاته سبحانه فللدلالة على عظمة الصانع، والقرآن أقسم بأنواع الخلق كالكواكب والفاكهة، والأوقات والملائكة وغيرها.

ولفظ المرسلات جمع تأنيث، مفرده مرسلة، وهي التي وقع عليها الإرسال، صفة لموصوف محذوف تقديره: جماعات مرسلات، ونصب (عرفا) على الحال، والعرف بضم العين أصله الشعر النابت في عنق الفرس، أو في عنق الضبع ويستعمل مجازا للكثرة والتتابع، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام: فما راعني إلا والناس كعرف الضبع. ذكر في نهج البلاغة. انتهى. تشبيها لازدحامهم عليه.

وعلى هذا فأنسب تفسير أن يكون التركيب كناية عن الملائكة، فهي المرسلات إلى خلق الله وأوليائه بالرسالات، وهي المتتابعة الكثيرة التي تنطبق عليها صفة الكثرة، نظير قوله (والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) [الصافات: ١-٢-٣]، ويبدو أن الذي صرف الكلام إلى تفسيرها بالرياح الأخذ بظاهر الألفاظ التي أقرب ما تكون إلى صفات الرياح.

قال تعالى ﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ ﴾

الفاء للعطف الترتيبي، ولفظ العصف استعارة لسرعة حركة الملائكة في امتثال أوامر الله تعالى، فقد شبهت بعصف الرياح، والعصف صفة لشدة هبوبها، وتنوين النصب (عصفا) مفعول مطلق لإفادة التأكيد، وإن أريد بالعصف الرياح فالمراد حقيقة شدة هبوبها.

قال تعالى ﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ ﴾

الكلام قسم بعد قسم، والنشر البسط، وتنوين اللفظ على المفعولية المطلقة لإفادة النوعية والتمكين، وحذف المتعلقات لأسماء الفاعلين في الآيات يفيد إطلاق التصور للإرسال والعصف والنشر، وكذا ما بعدها في التفريق، وهو من بديع النظم الذي يجعل السامع يذهب كل مذهب في تصور تحديد جنس المقسم به، وأنه لا شك عظيم من الخلق بحيث يقسم به.

وحذف صلة النشر هنا من هذا الباب، فالملائكة تنشر الشرائع في تبليغ صحف الوحي لمتلقيها من الأنبياء، وهن ينشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين، أو على إيراد حقيقة النشر وهو بسط أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي، وإن اريد بالنشر الرياح فهي التي تنشر السحاب.

قال تعالى ﴿ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ ﴾

الفاء للعطف الترتيبي، والتفريق التمييز، والملائكة تنزل بالوحي الذي به يتميز الحق من الباطل ويفرق الهدى عن الضلال، وإن أريد بها الرياح فالمقصود تفريق السحب.

قال تعالى ﴿ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ ﴾

الإلقاء أصله طرح الشيء، وهو إشارة إلى تبليغ وحي الله إلى أنبيائه، ومنهم إلى أممهم، فهو نوع إلهام كما يقال: ألقى في روعه، ونصب (ذكرا) لأنه مفعول لاسم الفاعل (ملقيات)، والذكر آيات الله التي تذكر به وبوحدانيته، تطلق على القرآن، أو على مطلق الوحي النازل على الأنبياء المقروء عليهم، وتنكير اللفظ للتعظيم.

قال تعالى ﴿ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦ ﴾

النصب لأنه مفعول له، وسمى تبليغه عذرا للطفه تعالى، كأنه إعذار منه لخلقه في إلقاء الحجة عليهم، ولقطع معذرتهم في حال كفرهم وإنزال العذاب بهم، والترديد بحرف التخيير (أو) لأن غرض إلقاء الذكر إلى الأنبياء حصره بالإعذار، وهو إتمام الحجة على المكذبين، وبالإنذار، وهو تخويف غيرهم من عاقبة عبادة غيره تعالى.

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ ﴾

الاستئناف التحقيقي جواب القسم، والخطاب لكل مخاطب من عامة الناس، والذي يوعدون به حاصل كائن لا محالة، وهو إشارة إلى يوم القيامة وما فيه من جزاء، وعدهم به أنبياء الله عنه، والأقسام المرتبة فيما تقدم حجة لمضمون الخبر، وهو من تدبير الله تعالى الذي لا يتم إلا مع وجود التكليف الإلهي، كما قال السيد في الميزان: والتكليف لا يتم إلا مع تحتم وجود يوم معد للجزاء، يجازى فيه العاصي والمطيع من المكلفين. انتهى.

و(إنما) أصله (إن) الثقيلة، و(ما) اسم موصول، وليس هو من أداة الحصر، وإنما كتب كذلك على الرسم القرآني، بدليل دخول لام التأكيد على خبره، والإخبار عن وقوع الوعد لأنه أدل على الاستقرار والثبات من القول بأنه كائن، أو حاصل مثلا، ومنه قوله تعالى (إذا وقعت الواقعة) [الواقعة: ١].

قال تعالى ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ٨ ﴾

الفاء للتفريع، والكلام في الآية وما بعدها لبيان أشراط الساعة لمناسبة ذكر الوعد، ودلائلها اختلال النظام الدنيوي بانطماس النجوم وانشقاق الأرض واندكاك الجبال، وتحولها من نظام إلى آخر.

وجواب (إذا) محذوف بيّنه قوله فيما بعد (لأي يوم أجلت) وما بعده، ورأى الشيخ الطوسي وتبعه الطبرسي أن في الكلام تقديما وتأخيرا للمبالغة، فقد ذكر أن: العامل في الظرف محذوف يدل عليه قوله: (إنما توعدون لواقع) والتقدير: فإذا طمست النجوم، وفرجت السماء، ونسفت الجبال، وأقتت الرسل، وقعت القيامة. انتهى.

ولفظ النجوم لمطلق الكواكب السيارة في السماء، وطمسها يكون بانمحاء أثرها وزوال نورها، ونظيره قوله (وإذا النجوم انكدرت) [التكوير: ٢].

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩ ﴾

تكرار اسم الشرط (إذا) لإفادة استقلال حجة كل جملة، ولفظ السماء يقال لما علا الأرض نظام كواكبها السابحة في الفضاء، وانفراجها بمعنى تشققها، وانفطارها تشبيها لها بالشيء المبني لإفادة معنى التصدع والانهيار، نظير قوله تعالى (وإذا السماء انشقت) [الانشقاق: ١]، وقوله (إذا السماء انفطرت) [الانفطار: ١]، وتأنيث لفظ السماء، لأن الأصل فيه كذلك، وأحيانا تذكر على تأويل السقف كقوله (السماء منفطر به) [المزمل: ١٨]، وقد تقدم الكلام في ذلك.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠ ﴾

نسف الجبال اقتلاعها من مكانها وإزالتها على نحو من سرعة الجذب، قال تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) [طه: ١٠٥]، وذلك بإحداث حركة زلزالية شديدة لطبقات الأرض، يحدث بأثرها خسف وتفجير لها واندكاك شديد، مرة توصف بالكثيب المهيل كما تقدم في سورة [المزمل: ١٤]، ومرة لصفة سيرها وخفتها تمر مر السحاب كما في سورة [النمل: ٨٨].

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ١١ ﴾

أي: وإذا عين الله للرسل وقتا للشهادة على أممهم يوم الحساب، وفي الكلام في الآيات نوع تدرج في وقائع القيامة بدأه بذكر اختلال النظام الدنيوي المشهود، بطمس النجوم ونسف الجبال ثم توقيت الرسل، والتأقيت والتوقيت واحد، ونظير الآية قوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) [المائدة: ١٠٩].

قال تعالى ﴿ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ ﴾

اللام المقترن باسم الاستفهام (لأي يوم) بمعنى العلة، أي: لأجل، والسؤال لتهويل القيامة والتعجيب من حالها على تقدير حكاية القول أي: أن يسأل فيقال: لأي يوم أجلت، فيجاب عنه: ليوم الفصل.

ولفظ الأجل المدة المعينة للشيء، والتأجيل جعل الأجل للشيء، ولازمه التأخير، وتاء التأنيث في فعله المبني للمجهول عائد إلى الأمور المذكورة في انطماس النجوم وانفراج الأرض، وانتساف الجبال، وتأقيت الرسل، فيكون المعنى: لأي يوم أخرت يوم أخرت هذه الأمور، فيجاب عنه: ليوم الفصل.

قال تعالى ﴿ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ ﴾

جواب السؤال، وهو يوم الجزاء، حيث يفصل الله فيه بقضائه بين الحق والباطل، وبين المؤمنين والكافرين وبين الظالمين والمظلومين، فيحكم لهذا على هذا.

واللام في (ليوم) لام العلة، أي: لأجل يوم الفصل، وأصل الفصل التفريق، اتسع في الاستعمال للقضاء بين المختلفين، وإضافة لفظ اليوم إلى الفصل من إضافة الموصوف إلى صفته للمبالغة، واستعمل في القرآن في موضعين من هذه السورة، وفي ثلاثة مواضع من سور شتى: في سورة [الصافات: ٢١]، وفي سورة [الدخان: ٤٠]، وفي سورة [النبأ: ١٧].

قال تعالى ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤ ﴾

جملة النفي لتهويل يوم الفصل وتفظيع أمره، أي: أي شيء جعلك داريا ما هو، فـ (ما) الأولى للاستفهام، والخطاب في (أدراك) لغير معين، و(ما) الثانية للاستفهام معلقة للسؤال، والإظهار في مقام الإضمار للتهويل ولإفادة استقلال الجملة.

قال تعالى ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥ ﴾

الكلام دعاء بالهلاك على المكذبين في ذلك اليوم الفظيع، واللفظ (ويل) مصدر منصوب سد مسد فعله، قيل: عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه على المدعو عليه، والتركيب المبني (يومئذ) ظرفه أو صفته، وصرح بهم بصفة المكذبين باعتبار إنكارهم ليوم الفصل وتكذيبهم له حين

دعاهم إلى الإيمان به رسل الله إليهم، قال في المجمع: إنما خص الوعيد بمن جحدوا يوم القيامة، وكذبوا به، لأن التكذيب بذلك يتبعه خصال المعاصي كلها، وإن لم يذكر معه. انتهى.

قال تعالى ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ١٦ ﴾

الاستفهام للتقرير مسوق لإيراد الحجج الدالة على ربوبية الله التي تقضي بوجود يوم الفصل، وما أعد الله فيه من جزاء المكذبين به.

والإهلاك أريد به عذاب الاستئصال، ولفظ الأولين صفة للأمم الغابرة، كأمة نوح وعاد وثمود.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ١٧ ﴾

أي: ثم نتبع الأولين الآخرين السائرين مسلكهم في التكذيب بيوم الفصل، أي: يتبعهم في الإهلاك، والإتباع جعل الشيء إثر الشيء، وفي الكلام وعيد لأهل مكة بالعذاب.

ومنهم من قرأ (نتبعهم) بالجزم عطفا على (نهلك)، فيكون المراد بلفظ الآخرين الأمم المتأخرة في الهلاك من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى.

قال تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ١٨ ﴾

الفصل لتعليل الإهلاك، أي: كمثل ذلك الإهلاك نفعل بالمجرمين المكذبين من مشركي مكة، لأنها سنة إلهية جارية، وقد يكون الإهلاك بالإخفاء أو بالإماتة أو بإعدامه، ووضع لفظ المجرمين مكان المكذبين لإفادة تسجيل الإجرام عليهم، وتعليل الحكم.

قال تعالى ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٩ ﴾

ليس في الجملة تكرير، لأن الدعاء بالهلاك للمكذبين بآيات الله هنا ظرفه في الحياة الدنيا، حين إحلال العذاب فيهم، بينما الأول لعذاب الآخرة.

قال تعالى ﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٢٠ ﴾

استفهام بعد استفهام لتقرير الحجج على المخاطبين المكذبين بآيات الله، والمعنى: ألم نقدر خلقكم من نطفة قذرة موصوفة بالضعف، وقلة نفعه، وخلق الإنسان سويا ذا عقل مميز وفكر ونطق مبين من ذلك الماء الضعيف لأعظم الحجج وأبينها على دلالة الخالق الصانع، ولا ينكره من له أدنى مُسْكَةٍ من عقل.

و(من) ابتدائية، ولفظ الماء لنطفة الرجل، لأن أكثرها منه، وتنكيره للتحقير والقلة، وصيغة (مهين) للمبالغة في الضعف، فهو من الفعل (مهن) لا من الفعل: هان.

قال تعالى ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ٢١ ﴾

الفاء للتفريع، أي: فجعلنا ذلك الماء المهين مستقرا في رحم المرأة، وإنما كني عن الرحم بالقرار، لأن القرار المكان الذي يطول فيه مكث الشيء، وهي وظيفته في حفظ الجنين واستقراره في جوف المرأة، ووصفه بالمكين مبالغة في ثبات القرار، على طريقة المجاز العقلي، لأن الأصل: أن الحال في الرحم مكين ومستقر فيه.

قال تعالى ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

أي: إلى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة، لا زيادة فيه ولا نقصان.

قال تعالى ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

الفاء لتفريع القدر على الخلق، أي: فقدرنا خلقه كيف تكون هيأته وجنسه، وما سيجري عليه من الأحداث والأحوال، والفاء الثانية لتفريع الثناء على التقدير، والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه الكلام، أي: فنعم القادرون نحن.

قال تعالى ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

أي: ويل يومئذ للمكذبين بابتدائنا بالخلق وإعادتهم بإحيائهم بعد الموت.

قال تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ ﴾

الاستفهام لتقرير حجة أخرى على كمال الربوبية، وهي جعل الأرض ضامة جامعة للأحياء على ظهرها وللأموات في بطنها، على تفسير الكفات بالاسم للشيء الذي يكفت فيه، أي: يجمع ويضم.

وقيل: إن لفظ الكِفات جمع كفت، وهو الوعاء، والمعنى: ألم نجعل الأرض أوعية تضم الأحياء والأموات.

قال تعالى ﴿ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ ﴾

النصب على الحال لتضمن (كفاتا) معنى فعله، أي: يكفتهم أحياء وأمواتا، والتنكير للفظين يفيد التكثير، وفي ذكر الأموات إدماج، لأن المنة أكثر في ذكر الأحياء، وبين اللفظين طباق بديعي.

قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ ﴾

قوله (وجعلنا فيها رواسي شامخات) أي: وجعلنا في الأرض جبالا موصوفات بالثبات والعلو، ولفظ الرواسي جمع راس، والرسو الثبات، والشموخ العلو الشاهق، ووصف جمع المذكر بجمع التأنيث لغير العقلاء مطرد في اللغة، مثل: أشهر معلومات، والتنكير للتفخيم.

قوله (وأسقيناكم ماء فراتا) الواو للعطف، لأن ما قبلها كالتوطئة في إظهار المنة، لأن المياه العذبة تتفجر أنهرا وعيونا من الجبال، والماء الفرات يوصف به الماء العذب.

قال تعالى ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٢٨ ﴾

التكرار مع تقرير كل نعمة لا يعد تكرارا، ونظيره ما جاء في سورة الرحمن.

قال تعالى ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٩ ﴾

جملة الأمر حكاية عما يقال لهم يوم الفصل، والقائل خزنة النار، أو الله سبحانه، والانطلاق كما قال في التبيان: الانتقال من مكان إلى مكان من غير مكث. انتهى.

والإتيان بجملة الموصول وصلته كناية عن نار جهنم لإفادة تعليل الأمر، ولزيادة التنكيل بهم، فقد كان الكافرون ينكرون البعث والحساب في دار الدنيا.

قال تعالى ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠ ﴾

الجملة بيانية، فقد ذكر الموضع الذي أمرهم بالانطلاق إليه لتقريعهم، وهي نار جهنم التي ينقسم دخانها لشدته إلى ثلاث شعب كالذوائب محيطة بالكافرين من جهاتهم الثلاث من فوقهم ويمينهم وشمالهم، كقوله (وأحاط بهم سرادقها) [الكهف: ٢٩]، وتنكير لفظ الظل لتهويل سواده، نظير قوله (وظل من يحموم) [الواقعة: ٤٣].

قال تعالى ﴿ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ٣١ ﴾

جملة ذم وتهكم بهم، جيء بها لما أوهمه لفظ الظل، فلا ظليل في جهنم يمنع من الحر، ولا يدفع من لهبها شيئا، و(لا ظليل): صفة لـ (ظل)، فأداة النفي (لا) غير عاملة، لذلك تكررت.

قال تعالى ﴿ إِنَّهَا تَرۡمِى بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢ ﴾

الكلام تعليل للنفي، بطريق الاستئناف التحقيقي، والرمي الدفع بقوة، والشرر جمع شررة، وهو ما يتطاير من النار في الجهات المختلفة، والتشبيه بالقصر لعظمها، كأن كل شررة تتطاير على الكافرين بحجم القصر، وقيل: إن العرب تشبه الإبل بالقصور، أو بمعنى أصول الشجر العظام.

قال تعالى ﴿ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ٣٣ ﴾

الهاء في (كأنه) راجع إلى الشرر، والجمالة على ما قيل جمع جمل، والتاء فيه للمبالغة، وشبه اصفرار الشرر بالأينق السود لما يشوب سوادها من صفرة.

قال تعالى ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٤ ﴾

أي: ويل يومئذ للمكذبين بهذه النار الموصوفة.

قال تعالى ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥ ﴾

لفظ الإشارة إلى يوم الفصل، ونفي النطق، لأن في ذلك اليوم مواقف، في بعضها يختصمون ويتكلمون، وفي بعضها يختم على أفواههم ولا يتكلمون.

قال تعالى ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

أي: ولا يؤذن لهم في النطق فيعتذرون عما فعلوا من قبائح الأعمال في حياتهم الدنيا، والفاء لتفريع نفي الاعتذار على نفي الإذن، ولذلك ارتفع الفعل، أي: ولا يؤذن لهم فلا يعتذرون.

قال تعالى ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

أي: ويل يومئذ للمكذبين بهذا الخبر.

قال تعالى ﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

أي: هذا اليوم يوم الفصل بين الحق والباطل، والخطاب في (جمعناكم) لمشركي مكة، وأورد الفعل بصيغة المضي مع أنهم لم يجمعوا بعد لتنزيل الأمر منزلة المتحقق، والواو في (والأولين) للعطف، ولفظ الأولين صفة للأمم الكافرة السابقة، واللفظ طباق معنوي لتضمن ضمير الخطاب الجمعي معنى الآخرين كونهم آخر الأمم.

قال تعالى ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾

الفاء لتفريع الشرط التعجيزي للكافرين، والخطاب من الله تعالى، أي: فإن ملكتم أن تحتالوا على عذابي لدفعه فاحتالوا وتخلصوا منه، وفي الكلام عدول من نون التكلم الجمعي في (جمعناكم) إلى ضمير التكلم الإفرادي في (كيدوني)، قال العلامة الطباطبائي: والنكتة فيه أن متعلق هذا الامر التعجيزي إنما هو الكيد لمن له القوة والقدرة فحسب، وهو الله وحده، ولو قيل: فكيدونا فات الاشعار بالتوحد. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠ ﴾

ويل يومئذ للمكذبين بهذا الإنباء.

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ ﴾

استئناف تحقيقي للتنويه بجزاء المتقين، وفيما وراءه تقريع للمشركين، ولفظ المتقين مصطلح قرآني مستغن عن الصلة، في دلالته عمل بإيمان، و(في) للتلبس الظرفي، أي يفيد الاستقرار في الجنة، والظلال إشارة إلى كثافة الأشجار، ولفظ العيون لكثرة المياه العذبة، وتنكير اللفظين للتفخيم، وكلاهما من ترف النعيم لأهل الجنة.

قال تعالى ﴿ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢ ﴾

لفظ الفواكه جمع فاكهة، والتنكير للنوعية والتكثير، وجعله مما يشتهون لأنه لا يحصر بنوع.

قال تعالى ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

الأمر للإباحة، كأنه يقال لهم ذلك، والدعاء لهم بالهناء لطمأنتهم بخلو مطلق نعيم الجنة من الأكل والشرب عن كل ما ينغصه من علة أو غصة، ونصب اللفظ على الحال، أو على المفعولية المطلق لفعل مقدر منه.

قوله (بما كنتم تعملون) الباء للسبب، أي: بسبب ما كنتم تعملون من أعمال صالحة في الحياة الدنيا.

قال تعالى ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

الفصل للتعليل، أي: لأنا كذلك الجزاء نجزي المحسنين، الفاعلين للإحسان، وللطفه تعالى سمى عملهم الصالح إحسانا، والإحسان فعل الخير للغير.

قال تعالى ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

جملة تقرير لهلاك المكذبين، حيث نال المتقون جزاءهم الأوفى، وهم بقوا في العذاب مخلدين.

قال تعالى ﴿ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

الخطاب للمشركين، خطاب إياس من عدم انتفاعه بأكل وشرب، لأنهم في دنيا فانية، فالأمر بالأكل والتمتيع يفيد التهكم واليأس، وخص ذكرهما لأنهما

غاية آمال أهل الدنيا، ونصب (قليلا) لأنه صفة لموصوف تقديره: زمنا قليلا، إشارة إلى قصر الدنيا ولذاتها.

قوله (إنكم مجرمون) قطع الكلام لأنه تعليل للأمر، أي: لأنكم مجرمون حين كذبتم بيوم الفصل.

قال تعالى ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

الدعاء بهلاك المشركين يوم القيامة لزيادة تقريعهم، ولا يخلو من ارتباط بما بعده كما ذكر ذلك الزمخشري بتقدير: ويل يومئذ للمكذبين الذين إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

الشرط بمنزلة التعليل للدعاء على المشركين بالويل، وهو أنفتهم واستكبارهم على عبادة الله، وذكر الركوع كناية عن الصلاة والعبادة لله.

قال تعالى ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

دعاء بعد دعاء لتوبيخ المكذبين وتقريعهم.

قال تعالى ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

الفاء للتفريع، والسؤال إنكاري، ويفيد التأييس من إيمان المشركين بعد عدم إيمانهم بالقرآن، ذي البراهين الساطعة والحجج البينة.

سورة النبأ

مكية، وهي أربعون آية

سؤال الاستهلال في السورة عن النبأ العظيم دال على غرضها، وهو إثبات يوم الفصل والاحتجاج لأجله بذكر تدبيره تعالى في خلق العالم الدنيوي، وأن وراءه عالما آخر هو المقصود من الخلق، فأنذرت السورة الكافرين به وتوعدتهم بالعذاب الأليم، ووعدت المتقين وعدا جميلا بجنات ألفاف، على عادة القرآن في تعقيب الترهيب بالترغيب، والسورة مكية بشهادة سياقها، ولثقل معانيها أثر عن الرسول ﷺ قوله: شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ ﴾

أي: عن أي شيء يتساءل المشركون، إخبار من الله تعالى عن تساؤل المشركين المنكر بوقوع البعث والقيامة، المستهزئ به، فهو تساؤل فاقد القيمة لظهور دلائل ما يتساءلون عنه وهو يوم القيامة، ووضوح علائمه التي لا ينكرها إلا جاهل أو معاند.

و(عمّ) مكونة من حرف التجاوز (عن)، و(ما) الاستفهامية، التي خففت للنطق، ولدخول حرف الجر عليها، كما في: مم، وعلى م، والتساؤل تشارك في السؤال، أي يسأل بعضهم بعضا، ويسأل بعضهم بعد بعض وإن كان

المسؤول من غير جماعة السائلين، ودلالة المضارع الاستمرار، وفاعل (يتساءلون) هم مشركو مكة، وإن لم يذكروا، وسؤالهم عن البعث والمعاد سؤال إنكار واستهزاء، فقد كانت تلك شنشنتهم، التي توعدهم عليها القرآن كثيرا، وأثبت أحقية وقوع المعاد في مواضع كثيرة من سوره، ولاسيما المكية منها.

قال تعالى ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ﴾

جواب من الله عن التساؤل المحكي عن مشركي مكة، و(عن) متعلق بفعل التساؤل المقدر، كأنه قيل: عن أي شيء يتساءلون، هل أخبركم به؟ ثم قيل بطريق الجواب: عن النبأ العظيم، ونظيره قوله تعالى (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) [غافر: ١٦].

وإبهام يوم البعث بلفظ (النبأ العظيم) لتسجيل العظمة له، ولإفادة تأكيد سذاجة تساؤل السائلين وجهالتهم، ولفظ النبأ الخبر الذي له شأن وخطر.

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ ﴾

جملة الموصول محلها الصفة للنبأ، والإتيان بصلة الموصول جملة إسمية لبيان رسوخ الاختلاف في نفوسهم، وتقدم (فيه) على عامله للعناية ولرعاية الفاصلة، والهاء عائدة إلى النبأ العظيم، واختلاف المشركين في شأنه بسبب تفرق وحدة كلمتهم في كيفية إنكاره، فهم مجتمعون على نفيه ولكن مختلفون في طريقة إنكاره، فمنهم من يقول باستحالة وقوعه كما حكي عنهم في قوله

تعالى (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) [الإسراء: ٤٩]، ومنهم الشاكون، نحو قوله تعالى (ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين) [الجاثية: ٣٢]، ومنهم المعاندون، كما قوله (بل لجوا في عتو ونفور) [الملك: ٢١].

قال تعالى ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾

ردع لتساؤل المشركين الجاحد لوقوع البعث، وجملة (سيعلمون) للتهديد والوعيد، أي: سيعلمون حقيقة البعث حين وقوعه، فلا ينفعهم العلم أو الإنكار حينئذ.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ ﴾

العطف بـ (ثم) آكد للردع والتهديد السابقين، لما فيها من تراخ لا يؤديه حرف آخر في مثل هذا السياق، نظير قوله (كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون) [التكاثر: ٣- ٤]، واستعمل أمثال هذه الجمل كثيرا في مواضع مختلفة من السور، كقوله (ثم أتبع سببا) [الكهف: ٩٢]، وقوله (ثم ارجع البصر) [الملك: ٤]، وقوله (ثم أولى لك فأولى) [القيامة: ٣٥]، وقوله (ثم ما أدراك ما يوم الدين) [الانفطار: ١٨].

قال تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ ﴾

الاستفهام في الآية وما بعدها من تقريرات لسوق الحجج في إثبات الربوبية في تدبير الخلق، وأن له غاية ينتهي إليها هي البعث والحساب الذي هو النبأ العظيم، وأن القادر على البدء قادر على الإعادة بطريق القياس، لذا ليس على المشركين الاختلاف في يوم البعث بالتساؤل عنه وإنكاره، لأنه واقع لا محالة.

وفعل الجعل كما قيل: بمعنى الإنشاء والإبداع كالخلق خلا أنه مختص بالإنشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية، وتشبيه الأرض بالمهاد من التشبيه البليغ، بجامع البسط والصلاحية، فالمهاد هو الفراش الذي يوطأ، ويضطجع عليه لاستوائه وصلاحه لذلك، وجعل الله تعالى الأرض مهيأة لأسباب العيش، فجهزها بما يصلح لسكن الإنسان وعيشه، من المناخ والهواء والجذب، والأكل والشرب والسير، ونحو ذلك مما يدرك ولا يدرك.

قال تعالى ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ ﴾

أي: وجعل الجبال شبيهة بالأوتاد في الأرض، ولفظ الأوتاد جمع وتد وهو مسمار من خشب يدق في الأرض وتعقد عليه الحبال في إقامة الخيمة وتثبيتها، وقد ثبت أن للجبال وظائف كثيرة في تثبيت سطح تربة الأرض وتنظيم حركتها، وإلى هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها، وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها، فسكنت من الميدان، لرسوب الجبال في قطع أديمها. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

وعلق شارح النهج على رأي الإمام عليه السلام في أن للجبال أثرا في تسكين الأرض فقال: إن هذا القول يخالف قول الحكماء، لأن سكون الأرض عند الحكماء لم يكن لذلك، بل لأنها تطلب المركز، وهي حاصلة في حيزها الطبيعي، لكنا وإن كان مخالفا لقول الحكماء، فإنا نعتقده دينا ومذهبا، ونعدل عن قول الحكماء، لأن اتباع قوله عليه السلام أولى من اتباع أقوالهم. انتهى. أقول: يعني بالحكماء الجغرافيين والفلكيين.

قال تعالى ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ ﴾

العدول من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التبكيت، ولفظ الأزواج جمع زوج وهو النوع المقترن بغيره، أي: أوجدكم نوعين من التقاء ذكر وأنثى، لضمان التناسل وبقاء النوع، ونظيره قوله (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) [النجم: ٤٥].

قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ ﴾

النوم حالة قهرية تمنع النائم من التصرف بجسده، ومن هنا أشبه الموت، ولفظ السبات معناه الراحة والسكون، ولا ريب في أن قطع تصرف النفس بالبدن في حال النوم لإراحة قواه الحيوانية وتجديد نشاطها، لما يصيبها في اليقظة من التعب بواسطة تصرفات النفس فيها.

قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ ﴾

تشبيه الليل باللباس بجامع الستر، فكما يستر اللباس الملبوس البدن يستر الليل بظلمته الأشياء، حتى يكون سببا للخلود إلى الراحة فيه من تعب النهار.

قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾

النهار ضد الليل، سمي بذلك لاتساع ضوء الشمس فيه، كما قيل للنهر نهر لسعته، ولفظ المعاش مصدر ميمي كالعيش، مجاز لما يكون، أي: يطلب فيه الرزق الذي هو أساس الحياة والعيش.

قال تعالى ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ ﴾

فعل البناء مجاز لإقامة الشيء شاخصا مشاهدا، وإسناده إلى نون الله على سبيل المجاز العقلي، بطريق المسببية، لأنه هو الذي هيأ الأسباب، والظرف (فوقكم) كناية عن العلو والارتفاع، محله النصب على الحال، وتقديمه وضمير الخطاب فيه لبيان الامتنان، لأن فيه عود انتفاع لأهل الأرض، كاختلاف الليل والنهار، واختلاف الأوقات ونحوها، ولفظ السبع صفة للسموات ووصفها (شدادا) لقوة بنائها، وتنكير اللفظين للتفخيم.

قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ ﴾

أي: وجعلنا الشمس سراجا وهاجا للعالم، وخصها بالذكر لشدة ارتباط الأرض بها، وقيام الحياة بنظامها، ولفظ السراج الشعلة التي يستضاء فيها ويستدفأ، ولفظ الوهاج الشديد النور والحرارة.

قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ ﴾

الإنزال سقوط الشيء من علو، والمراد سقوط المطر من السحائب، و(من) ابتدائية، ولفظ المعصرات جمع معصرة، والعصر الضغط، وأعصرت السحابة إذا تجهزت للإمطار وشارفت عليه، كما يقال: أجز العشب إذا آن قطعه.

وتنكير (ماء) للتكثير، وتوصيفه (ثجاجا) مبالغة في كثرة صب الماء، وثج الماء إذا سال بكثرة.

قال تعالى ﴿ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ ﴾

الجملة علة للإنزال، وهي إنبات النبات من الأرض، والإخراج إظهار الشيء المستور، والباء في (به) للسبب، والهاء راجع إلى الماء، والحب هو ثمرة الزرع ذي الأكمام كالحنطة والشعير والذرة، والنبات أعم منه يدخل فيه الحب وغيره من سائر النبات، وكلاهما يتغذى به الإنسان والحيوان.

قال تعالى ﴿ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾

أي: ويخرج بالماء بساتين كثيفة الأشجار، ملتفة على بعضها لكثرتها، بسبب دوام الماء، ولفظ الجنات جمع جنة سميت بذلك لأنها لكثرة أشجارها كأنها تجن ما تحتها، وتنكيرها للتفخيم، والألفاف جمع لف، ككن وأكنان، وهي

المضمومة أغصانها إلى أمثالها، وقيل: إنه جمع لا واحد له مثل: أخياف، وأوزاع.

وسلكت الآيات فيما تقدم لإثبات صحة البعث ثلاث سبل: الأول: من باب قياس القدرة في ابتداء الخلق للوصول بها إلى رفع المانع من الإعادة عقلا، والثاني: باعتبار العلم والحكمة فإن من أبدع هذا العالم يستحيل أن يكون عبثا من دون غاية، والثالث: من طريق المخلوق نفسه، كاليقظة بعد النوم، وإخراج الحب والنبات من الأرض الموات، ومن بديع النظم في سوق الأدلة إدماج الحجة بالامتنان في الرد على الإنكار.

قال تعالى ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ ﴾

استئناف تحقيقي لبيان صفة النبأ العظيم، وماهيته، وما يكون لأهله فيه من سعادة أو شقاء، فهو يوم الفصل الذي تنكشف فيه الحقائق وتتميز، حيث الحق حق والباطل باطل، فيقضى فيه لهؤلاء على هؤلاء، وكونه ميقاتا أي: موعدا مضروبا لهم من الله تعالى لا يتغير ولا يتبدل، ولفظ الميقات كالميعاد: منتهى ما يعين من وقت لحدوث أمر ما.

قال تعالى ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾

الجملة بدل تفسير لـ (يوم الفصل)، والنفخ في الصور إشارة إلى إعلان يوم القيامة، وبدء الحشر، وتعريف الصور للعهد، صور إسرافيل، والفاء في (فتأتون) للتعقيب، وهي النفخة الثانية التي يبعث فيها الموتى من قبورهم،

والخطاب في فعل الإتيان مجاز مرسل باعتبار مآلهم إلى الموت والتراب، والإسناد فيه على سبيل المجاز العقلي لأن إتيانهم لا يكون منهم بل بالقهر، وهذا من نادر النظم أن يأتي في الفعل هذان المجازان، ونصب (أفواجا) على الحال، أي: تأتون مسرعين ممتثلين لأمر الله في الحشر، والأفواج جمع فوج وهي الجماعة المارة المسرعة، والآية نظير قوله (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) [الزمر: ٦٨].

وفي الحديث عن البراء بن عازب قال: كان معاذ بن جبل جالسا قريبا من رسول ﷺ في منزل أبي أيوب الأنصاري، فقال معاذ: يا رسول الله، أرأيت قول الله تعالى: (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) الآيات، فقال: يا معاذ، سألت عن عظيم من الأمر، ثم أرسل عينيه، ثم قال: يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتا، قد ميزهم الله من المسلمين، وبدل صورهم بعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكسون أرجلهم من فوق، ووجوههم من تحت، ثم يسحبون عليها، وبعضهم عمي يترددون، وبعضهم صم بكم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم، فيسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار، وبعضهم أشد نتنا من الجيف، وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران، لازقة بجلودهم، فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت، وأما المنكسون على رؤوسهم فأكلة الربا، والعمي: الجائرون في الحكم، والصم والبكم: المعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين

خالف أعمالهم أقوالهم، والمقطعة أيديهم وأرجلهم: الذين يؤذون الجيران، والمصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان، والذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات، ويمنعون حق الله في أموالهم، والذين يلبسون الجباب فأهل الفخر والخيلاء. نقل في المجمع وغيره. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ ﴾

الكلام كناية عن اتصال العالم العلوي بالعالم الإنساني، فإنّ في ذلك اليوم ارتفاعا للحجب، وانكشافا للحقائق، فيقهر الإنسان على علم ما لم يكن يعلم من عالم الملائكة، والفاء في (فكانت) للتفريع، والمعنى: فكانت السماء ذات أبواب، مجاز في كثرة أبوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد حتى كأن السماء كلها أبواب، والتشبيه من التشبيه البليغ.

قال تعالى ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠ ﴾

قوله (وسيرت الجبال) التسيير الحمل على السير، مجاز استعاري في قلع الجبال واندكاكها يوم القيامة وتصييرها كثيبا مهيلا بفعل اختلال نظام الدنيا، وحدوث الخسف والزلازل والانفجارات في الأرض، نظير قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) [النمل: ٨٨]، ومرور السحاب يكون بفعل تسيير الرياح لها، ففي الكلام دمج، وهي لا تكون بهذا الوصف إلا إذا تفرقت أجزاؤها وأصبحت كالعهن المنفوش.

قوله (فكانت سرابا) تفريع على التسيير، والتشبيه بليغ للمبالغة في زوال الجبال، أي: كأنها سراب، أي: لا يبقى منها سوى ما كان يتراءى للرائي منها، ولا وجود لها على الحقيقة، ولفظ السراب وهم صورة لا حقيقة لها يقع للرائي.

قال تعالى ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ ﴾

الاستئناف شروع لبيان أحكام يوم الفصل بعد بيان هوله، والابتداء بذكر حال الكفار لمناسبته لمقام الإنذار في مخاطبة المشركين.

والمرصاد اسم مكان، كأنها جعلت موضعا لخزنة النار يرقبون الكفار ليعذبوهم فيها.

قال تعالى ﴿ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ ﴾

تقديم (للطاغين) بدافع العناية ورعاية الفاصلة، ولفظ الطاغين جمع طاغ، وهو المتجاوز حده في الظلم والاعتداء، ونصب (مآبا) على الحال، والمآب اسم مكان من الأوب وهو الرجوع، والمعنى: أن جهنم للطاغين المجاوزين حدودهم في الظلم والمعصية مرجعا يرجعون إليه يوم الفصل.

قال تعالى ﴿ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾

اللبث طول المكث والبقاء في الشيء، والنصب على الحال، و(فيها) أي: في جهنم، دالة على الاستقرار الظرفي، ونصب (أحقابا) حال من (لابثين)، أي:

خالدين، لأن جمع الأحقاب الأزمنة الكثيرة التي لا تنتهي، واختلف في ضبط واحده فقيل: إنه حقب بضم فسكون، أو بضمتين، وقيل: من الحقب بكسر الحاء، واختلف في تحديد زمانه فأقله أربعون سنة وأكثره ثمانون، وروي عن العياشي بإسناده عن حمران قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية فقال: هذه في الذين يخرجون من النار. ذكره صاحب الدر. انتهى.

قال تعالى ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ ﴾

جملة النفي محلها الحال من الضمير في (لابثين)، أو صفة لـ (أحقابا)، ونفي الذوق نفي مطلق النيل والمس، والهاء في (فيها) عائد إلى جهنم، ولفظ البرد أصله ضد الحر، وقد يأتي بمعنى النوم باعتبار أثره فإن النائم يبرد جلده، ولفظ الشراب تقال لكل مائع، ماء أو غيره، وتنكيرهما للعموم، والمقابلة بينهما بمعنى: لا يذوقون في جهنم أي برد وروح يخفف حرها، ولا أي شراب يمنع عطشها.

قال تعالى ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ ﴾

الذم الذي يسبق الاستثناء ثم الإتيان بذم آخر، من أسلوب الذم بما يشبه المدح، والحميم الماء المغلي، والغساق صديد البدن في النار.

قال تعالى ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾

النصب على المفعولية المطلقة، أي: يجزون جزاء، ولفظ الجزاء المكافاة على العمل في الدنيا، ولفظ الوفاق الجاري على المقدار، ووصف الجزاء بالوفاق باعتبار انطباق الجزاء على جنس العمل، فهو جار على مقدار الأعمال في الاستحقاق، وأصله أن يكون بتقدير: جزاء ذا وفاق.

وفي الكلام دلالة كمال العدل، لأن ما يفعله الإنسان يجد ما يطابقه في الجزاء يوم القيامة، فلا زيادة على عقاب ولا نقصان من حق، نظير قوله تعالى (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون) [التحريم: ٧].

قال تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ ﴾

جملة تعليل لموافقة الجزاء لأعمالهم بطريق الاستئناف التحقيقي، ودلالة المضي في (كانوا) رسوخ صفة إنكار البعث والحساب، ونفي الرجاء بمعنى اليأس من إيمانهم بالبعث والحساب، فلا يخافونه، ونصب (حسابا) على الحال، والتنكير للعموم، أي: أي حساب يوم القيامة، والحساب مصدر يراد به المحاسبة على الأعمال يوم القيامة.

قال تعالى ﴿ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ ﴾

العطف على ما قبله لإفادة إتمام التعليل، وهو تكذيبهم بآيات الله الصريحة بتوحيده تكذيبا مفرطا غايته الإصرار على الكفر.

وتضعيف فعل الكذب للتكثير والمبالغة، وتعديته بالباء لتضمنه معنى الجحود، لأنه يجوز أن يتعدى بنفسه، وآيات الله دلائله الناطقة بتوحيده،

وإسنادها إلى نون الله للتعظيم، ونصب (كذابا) على المفعولية المطلقة، والعدول عن الإتيان بالمصدر: تكذيبا، إلى الإتيان بالمصدر المكسور الفاء: فعال بقصد المبالغة، قال الشيخ الطوسي في التبيان: وإنما جاء المصدر على فِعال للمبالغة مع إجرائه على نظيره الذي يطرد قبل آخره ألف نحو الانطلاق والاقتدار والاستخراج والقتال والكرام، والمصدر الجاري على فعل التفعيل نحو التكذيب والتحسين والتقديم، وقد خرج التفعيل عن النظير لما تضمن من معنى التكثير، كما خرج التفاعل والمفاعلة للزيادة على أقل الفعل، فإنه من اثنين، ومثل كذاب حملته حِمالا وحرقته حِراقا. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ﴿٢٩﴾ ﴾

الكلام متمم لمعنى التعليل السابق في موافقة الجزاء العمل، والعموم في (وكل شيء) أي: وكل شيء من الأعمال للمكلف في دار النشأة، وإحصاؤه بمعنى حفظه وضبطه، ونصب (كتابا) على الحال، أي: إحصاؤه بتوثيقه مكتوبا في صحائف الأعمال ينشر يوم القيامة.

قال تعالى ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾

الفاء للتفريع على الإحصاء، وفعل الإذاقة لمطلق المس، والخطاب للكافرين من الله أو من ملائكة الحشر، على سبيل الالتفات لإفادة التشديد في التهديد، والفاء الثانية تفريع بعد تفريع، وجملة (لن) النافية لإفادة تأييس الكافرين من أي إراحة من العذاب، والاستثناء من باب تأكيد الذم بما يشبه المدح، فمعنى

زيادة العذاب: فلن نزيدكم إلا عذابا فوق عذاب، فلا تزالون في تجديد منه، ومعنى المبالغة واضح في الكلام، ولذا أثر عن النبي ﷺ قوله بـ: أن هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار.

قال تعالى ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ﴾

استئناف بطريق التحقيق في ذكر جزاء المتقين للترغيب فيهم، بعد ذكر جزاء الكافرين للترهيب بهم، والمتقون المؤمنون العاملون بالتقوى، وتقديم شبه الجملة للعناية، واللام فيه للاستحقاق، ونصب (مفازا) لأنه اسم (إن) المتأخر، وهو مصدر ميمي بمعنى الفوز أو اسم مكان كلاهما جائز، والفوز النجاة والظفر بالخير، ومنه يقال للصحراء مفازة على أمل النجاة من مخاطرها فإن القفر مهلكة، وتنكير اللفظ للتعظيم، أي: إن فوزا عظيما للمتقين يوم القيامة، ويفسره ما بعده من آيات، وعن الباقر عليه السلام في معنى المفاز قال: هي الكرامات. ذكر في تفسير القمي. انتهى.

قال تعالى ﴿ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ ﴾

بدل تفسير من (مفازا)، بدل البعض من كل، أي: جنات ذات حدائق وأعناب، ولفظ الحدائق جمع حديقة، وهي البستان المسور، ومنه الحدقة لإحاطة الجفن بها، ولفظ الأعناب جمع عنب، وهي ثمر شجرة الكرم أو الكرم نفسه، وخص بالذكر لما له من انتشار فروعه بشكل عروش، وكثرة حباته، وتنكير اللفظين للتفخيم.

قال تعالى ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ ﴾

العطف لدخول اللفظ في استحقاق المتقين، والكواعب صفة لموصوف مؤنث محذوف لغلبة الصفة عليه، أي: جوار كواعب، ومفرده كاعب، وهي التي بلغت واستدار صدرها، ونظيره النواهد، ولفظ الأتراب صفة ثانية، مفردها التِرْب وهي اللدات القريبات في السن، قال في المفردات: تشبيها في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر، أو لوقوعهن معا على الأرض، وقيل: لأنهن في حال الصبا يلعبن بالتراب معا. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ ﴾

الكأس يقال للقدح الذي فيه شراب، وصفته (دهاقا) مصدر مستعمل بمعنى المفعول، أي: مُدهَقة، وهي المملوءة المترعة، وأصل الدهق شدة الضغط.

قال تعالى ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ ﴾

الجملة موقعها الصفة للكأس، وضمير الجمع في فعل السمع راجع إلى المتقين، و(فيها) بمعنى: بسبب الكأس، فإن حرف الجر هنا بمعنى السبب، واللغو باطل القول، والكذاب مبالغة من فعل الكذب، أو من: كاذبه مكاذبة، وتنكيرهما للعموم، وخصا بالذكر للإشارة إلى أن كأس الجنة ليس فيها أي لغو وكذب، بخلاف كأس الدنيا التي يكون منها ذلك، نظير قوله (لا فيها غول) [الصافات: ٤٥]، وقوله (وكأس من معين، لا يصدعون عنها ولا

ينزفون) [الواقعة: ١٨]، وقوله (يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم) [الطور: ٢٣]، على أنه يمكن إرادة عود الضمير في (فيها) إلى الجنة.

قال تعالى ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾

نصب (جزاء) على الحال، أو على المفعولية من فعل مقدر: جازاهم جزاء، وإظهار نسبة الجزاء بأنه (من ربك) للإشارة إلى صدور الخير منه سبحانه، بخلاف جزاء الطاغين فإنه جزاء شرور أنفسهم، لذلك لم يظهره، والخطاب في (ربك) خطاب تشريف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ونصب (عطاء) لأنه بدل من لفظ الجزاء، أو حال ثانية، أو مفعول مطلق لتضمن لفظ الجزاء معنى فعل العطاء، والعطاء التفضل والإحسان من الله إذ لا يجب عليه شيء، وتنكيره للتكثير، ونصب (حسابا) لأنه صفة للعطاء، أي: عطاء كافيا، قال في المجمع: أحسبت فلانا، أي: أعطيته ما يكفيه حتى قال: حسبي. انتهى.

قال تعالى ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾

قوله (رب السماوات والأرض وما بينهما) جر (رب) لأنه بدل من (ربك)، لإفادة توحيد الربوبية فيه تعالى، فهو الله تعالى رب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ورب كل شيء خلقه في العالم المشهود، لا كما يزعم الوثنيون بتعددها، فيزعمون أنه

تعالى رب الأرباب، وذكر ربوبيته تعالى للسموات والأرض ولما بينهما بمعنى تدبيره لها وفيه أيضا إيذان بتعليل الجزاء المذكور في قوله الآنف.

قوله (الرحمن) صفة للرب، صيغة مبالغة في كثرة رحمته تعالى، لا تنفك عن ربوبيته تعالى، وعلى حد تعبير السيد الطباطبائي: لا يحرم منها شيء إلا أن يمتنع منها شيء بنفسه، لقصوره وسوء اختياره، فمن شقوة هؤلاء الطاغين أنهم حرموها على أنفسهم بالخروج عن طور العبودية. انتهى.

قوله (لا يملكون منه خطابا) ضمير الواو في (يملكون) عائد إلى مجموع الخلق يوم الفصل من الملائكة والروح والإنس والجن، فكلهم لا يملكون خطابا يومئذ منه تعالى إلا بإذنه، ولفظ الخطاب هو الكلام الحاضر الموجه إلى مدرك بصيغة كاشفة عن المراد بخلاف صيغة الغائب عن الإدراك، واللفظ إشارة إلى الشفاعة، وتنكيره للعموم، كما قال (لا يشفعون إلا لمن ارتضى) [الأنبياء: ٢٨].

قال تعالى ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨ ﴾

قوله (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) الظرف متعلق بـ (لا يملكون)، وهو يوم الفصل، حيث يقوم الروح والملائكة جميعا مصطفين، والإخبار لإظهار عظمته سبحانه، وبيان تهويل البعث، الذي هو موضوع السورة وغرضها منذ مطلعها.

وفعل القيام أصله النهوض من قعود، كناية عن الاستعداد والثبات، ولفظ الروح على ما قيل: خلق أعظم من الملائكة، وأقربهم إليه سبحانه.

قوله (لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) جملة النفي والاستثناء لبيان كمال الملك فيه تعالى يوم القيامة، فإذا كان ما تقرر في ذكر المقربين منه تعالى وهم الروح والملائكة لا يملكون الكلام من دون إذنه، فكيف بأعدائه سبحانه والكافرين به، وفي خصوص ذكر الرحمن إشعار بعلية الكلام المأذون وهو رحمته تعالى في تجويز الشفاعة في بعض عباده المستحقين لها، والعطف في (وقال صوابا) تقييد للإذن، بمعنى: لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ولا يأذن إلا لمن قال صوابا، وهو نظير قوله تعالى (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) [الزخرف: ٨٦]، وهذا التحليل بحسب النظر إلى أصل الخطاب والتكلم، وأما بالنظر إلى المتكلم فيه فيحتمل أن يكون الضمير في (قال) عائد إلى المتكلم فيه لا المتكلم، وفعل القول بمعنى اعتقد ورأى، كما يقال: فلال يقول بكذا، أي: يؤمن به، ولفظ الصواب بمعنى الحق، وهو دين التوحيد، وتنكيره للتعظيم وهو صفة لموصوف محذوف، فيكون الاستثناء بمعنى: لا يتكلمون إلا في شخص أذن له الرحمن وقال صوابا، أي: اعتقد بدين التوحيد في دار النشأة.

ومن مصاديق الآية ما روي في المجمع عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله الصادق ﵇ قال: سئل عن هذه الآية، فقال: نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون، قال: جعلت فداك ما تقولون؟ قال: نمجد ربنا، ونصلي على نبينا ﷺ ، ونشفع لشيعتنا، فلا يردنا ربنا. انتهى.

قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩ ﴾

قوله (ذلك اليوم الحق) لفظ الإشارة بالبعد إلى يوم الفصل المفتتح به السورة، للإشعار بعلو درجته وتهويل منزلته التي يقوم فيها الروح والملائكة صفا، والإخبار عنه باليوم الحق لأنه الثابت الذي لا ريب في قيامه وحصوله.

قوله (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا) الفاء للتفريع بمعنى: فإذا كان الأمر كما ذكر من تحقق اليوم الموصوف بالحق لا محالة فمن رغب باتخاذ سبيل للرجوع إلى ثواب ربه فعل ذلك بالإيمان بالله وفعل الطاعات.

وفعل المشيئة يراد به معنى الترغيب في اتخاذ السبيل إلى الله، لا معنى السماح بصحة الاختيار بغير ذلك، بدليل علة الإتيان بلفظ الرب إلى ضمير الهاء العائد في (من)، ولفظ المآب مصدر ميمي كالأوب وهو الرجوع.

قال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابًا قَرِيبًا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠ ﴾

قوله (إنا أنذرناكم عذابا قريبا) استئناف تحقيقي بمنزلة استخلاص النتيجة مما تقدم، والإنذار التخويف من عاقبة أمر مذموم، ويراد به الكفر بالله، والخطاب لغير معين من الكافرين، وتنكير (عذابا) للنوعية والتهويل، وهو عذاب الآخرة، ووصفه بالقرب لأنه آت لا محالة، وكل آت محتوم قريب سواء بعد زمان قدومه أو قرب.

قوله (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) الظرف متعلق بـ (عذابا)، لأنه بمعنى التعذيب، وفعل النظر للعيان لأنه يوم انكشاف الحقائق وظهور الأعمال، لأنها مثبتة في الصحف، نظير قوله تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء) [آل عمران: ٣٠].

ويمكن أن يكون (ينظر) بمعنى: ينتظر جزاء عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ولفظ المرء للعموم، والإبهام في اسم الموصول (ما) وصلته كناية عن الأعمال في دار التكليف فإنها هي التي يقدمها المرء فتسبقه للجزاء في يوم الحساب، والتركيب أعني: تقديم ما بين الأيدي، كناية عن الأمام والسبق.

قوله (ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) أي: يتمنى لو كان ترابا لا يعاد فيبعث من جديد للحساب ليتخلص من عذاب ذلك اليوم، وإظهار لفظ الكافر لتسجيل الذم عليه ولبيان علة تمنيه، وإنما تمنى ذلك ليقينه بالهلاك فاليوم الذي هو فيه يوم جزاء ولا عمل.

سورة النازعات

مكية، وهي ست وأربعون آية

غرض السورة إنذار المشركين من عاقبة إنكار البعث والقيامة، فاحتجت على إثبات البعث بذكر كمال تدبير الله في ربوبيته لخلق السماوات والأرض وإرساء الجبال وإخراج المرعى، وفي السورة تسلية للرسول ﷺ من استهزاء قومه بالقيامة، فذكرت لذلك حديث موسى عليه السلام مع فرعون، وكيف أهلكه الله تعالى، وذكرت أحوال الناس يومئذ بين طاغين مؤثرين الحياة الدنيا وقررت أن مأواهم جهنم، وبين المتقين ربهم الناهين النفس عن الهوى، وأكدت أن مأواهم الجنة، واختتمت بقرب موعد القيامة التي يسأل عنها المشركون مستهزئين.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥ ﴾

الواو للقسم، والمقسم به دال على أهميته وعظم شأنه، والنزع جذب الشيء بشدة، وجمع التأنيث على تقدير الجماعة، ولفظ الغرق والإغراق في معنى واحد، يراد به التشديد في النزع، ونصبه على الحال.

وأبهمت الآيات الخمس اسم الموصوف، مكتفية بذكر الصفات لتمكنها من موصوفها، ولذا اختلف في المراد بها كثيرا، فقد قيل: المراد بها ملائكة الموت تنزع أرواح الكافرين نزعا بالغا شديدا، وقيل: سائر الملائكة، وقيل: النجوم تنزع من أفق وتغيب في آخر، وقيل: القسم بقسي المجاهدين، تنزع بالسهم أي يجذب بقوة لتكون الرمية أشد، وقيل: يراد بها الوحش تنزع إلى الكلأ.

والأقسام في الآيات أقرب انطباقا على أوصاف الملائكة، شأنها شأن سورة الصافات والمرسلات، فالقسم بالملائكة تكرر كثيرا، وأن النزع والنشط والسبح والسبق تكاد تكون مرادفات في معاني الجد والإسراع في الامتثال إلى أوامر الله في تدبير العالم الدنيوي، والآيات متصلة السياق تتعلق بموصوف واحد، فهي لأنها نازعات ناشطات سابحات تفرع عليها السبق والتدبير، فالأقسام نوع ثناء على هذا الخلق الكريم وتعظيم، حقيقته ثناء على نظام تدبيره تعالى للعالم المشهود، ليتخلص به إلى بيان حجة إمكان البعث، لذلك يقدر المقسم عليه بمعنى: لتبعثن.

وانتصاب المصادر أعني نشطا وسبحا وسبقا على المفعولية المطلقة، وتنكيرها للتهويل، ولفظ النشط جذب بيسر، بينما النزع جذب بشدة، والسبح حركة سريعة بلين مأخوذة من السبح في الماء، والسبق التقدمة وهو سرعة البادرة في الفعل، وكلها تشير إلى معنى المبالغة في الإسراع في امتثال تلقي الأوامر الإلهية، وعلى رأي الرازي أن صفات النزع والنشط تعريف بصفاتهم السلبية، أي: إن جوهرهم الروحي منزوع عن الأحوال الذميمة

كالشهوة والمرض والهرم والغضب، وأن صفات السبق والتدبير تعريف بصفاتهم الإضافية، التي تشير إلى قوتهم العاقلة، وأن صفة التدبير شرح لقوتهم العاملة، لذلك تأخر التدبير، لأنه لا يتم إلا بعد العلم. أه.

وعلى هذا فلفظ المدبرات اسم فاعل يراد به مطلق الملائكة الذين يدبرون أمر الله في أهل الأرض فهم أسبابه ووسائطه، ومعموله (أمرا)، والتدبير التفكير في دبر الأمور، أي في عواقبها، والإفراد في (أمرا) على سبيل الجنس يراد به العموم، نظير قوله (فالمقسمات أمرا) [الذاريات: ٤].

قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ ﴾

الظرف متعلق بالمقسم عليه المحذوف، أي: لتبعثن يوم ترجف الراجفة، والرجف الاضطراب الشديد، وفسرت الراجفة بالصيحة الشديدة وهي النفخة الأولى والرادفة النفخة الثانية باعتبار لازمها وهو الحركة الشديدة التي تزلزل الأرض والجبال زلزالا عظيما، وقيل: هي صفة للأرض والجبال نظير قوله تعالى (يوم ترجف الأرض والجبال) [المزمل: ١٤]، أي: تتزلزل زلزالا عظيما، وإسناد الرجف إليها على سبيل المجاز العقلي للمبالغة، وفي الحق كلا الرأيين متقاربان.

وفي اشتقاق الراجفة من فعلها محسن بديعي يسمى الجناس الاشتقاقي، نظير قوله (وقعت الواقعة).

قال تعالى ﴿ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ ﴾

أي: تعقب الراجفة الرادفة، أي تجيء بعدها، وقيل: هي النفخة الثانية التي يبعث فيها الخلائق، والرادف الذي يلي الراكب، وارتدف الراكب إذا اتخذ رديفا، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام في صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ويركب الحمار العاري ويردف خلفه. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قال تعالى ﴿ قُلُوبٌ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ ﴾

تنكير (قلوب) للتكثير، واللفظ مجاز مرسل من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم، والمعنى: قلوب كثيرة لأهل الحشر يومئذ واجفة، ووجيف القلوب اضطرابها نتيجة خوفها الشديد، ومنه ايجاف الدابة ازعاجها وإخافتها لتستوفز في سيرها وتشتد، وإسناد (واجفة) إلى القلوب على سبيل المجاز العقلي يراد به النفوس كما تكرر مثل ذلك مرارا.

قال تعالى ﴿ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩ ﴾

الضمير في (أبصارها) راجعة إلى لازم لفظ القلوب، أي: أبصار أصحاب القلوب خاشعة، وخشوعها كناية عن ذلتها من هول ذلك اليوم، لأن الخاشع يخفض بصره إلى الأرض، نظير قوله تعالى (خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة) [القلم: ٤٣، المعارج: ٤٤]، وقوله (خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر) [القمر: ٧].

قال تعالى ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ ﴾

الكلام حكاية عما كان يقوله الكافرون المنكرون للبعث في الدنيا، والاستفهام للإنكار والاستبعاد، أي: يقولون مستبعدين أن يردوا على حالتهم الأولى وهي الحياة بعد موتهم، واللام في (لمردودون) واقعة في خبر (إن)، والرد الرجوع، والحافرة بمعنى المحفورة، مأخوذ من الأرض المحفورة من أثر المشي، قال ابن فارس في مقاييس اللغة: ويقال الحافرة من قولهم رجع فلان على حافرته، إذا رجع على الطريق الذي أخذ فيه، ورجع الشيخ على حافرته إذا هرم وخرف. انتهى.

قال تعالى ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ ﴾

استبعاد آخر من الكافرين لإمكان بعثهم بطريق الاستفهام الإنكاري، والعامل في (إذا) محذوف تقديره: نرد ونبعث، وتنكير (عظاما) للتكثير، و(نخرة) صفة لها، أي: جوفاء بالية مفتتة، وخصت العظام النخرة بالذكر لبيان علة حجتهم في استبعاد إمكان إعادة خلقهم بعد الموت وذهاب أجسادهم في الأرض مخلوطة بالتراب.

قال تعالى ﴿ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴿١٢﴾ ﴾

حكاية كفر آخر عن المنكرين للبعث، وتوسيط (قالوا) بين كفرين، لإفادة أنه نوع آخر غير ما عرف عنهم من استبعاد الإحياء بعد الموت الذي حكي عنهم بصيغة المضارع، أورد بطريق الاستهزاء، أي: تلك الرجعة بعد الموت على تلك الهيأة من العظام النخرة رجعة متلبسة بالخسران.

والإشارة بـ (تلك) للردة، و(إذن): حرف جواب للكلام المتقدم، أي: إذن تلك كرة خاسرة، وتقدم لفظ الإشارة للعناية به، والكرة العودة، ووصفها بالخاسرة على سبيل فرض عودتها استخفافا منهم، وهي عودة خاسرة لتكذيبهم بها في الحياة الدنيا، ونسبة الخسران إلى الكرة نسبة مجازية عقلية، لأن أصحابها الخاسرون على وجه الحقيقة.

قال تعالى ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾

الفاء لتفريع تأكيد البعث على استبعاده، و(إنما) للحصر، والضمير (هي) عائد إلى الكرة أو الرادفة التي هي الصيحة أو النفخة الثانية لإسرافيل التي يكون فيها إحياء الموتى، نظير قوله تعالى (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق) [ص: ١٥].

وسماها (زجرة) لأنه إعلان بصوت النفخة الثانية، وانتقال من القبور موتى إلى الحشر أحياء، ولفظ الزجر أصله طرد بصوت وصياح، مصدر لاسم المرة، وتوصيف الزجرة بالوحدة لبيان يسر البعث على الله تعالى بالصيحة، بحيث لا يحتاج إلى تثنيتها.

قال تعالى ﴿ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾

الفاء للتعقيب الذكري، والحرف (إذا) حرف فجاءة لسرعة ظهورهم أحياء على وجه الأرض بعدما كانوا مقبورين فيها، والضمير (هم) للمبعوثين المزجورين، والباء لتلبس الظهور المضمن في لفظ الساهرة، والساهرة

بمعنى الأرض المستوية البيضاء الظاهرة التي لا نبات على ظهرها، والعرب تسميها بذلك، لأن سالكها لا ينام خوفا من الهلكة، فهي ذات سهر، أو لأنهم لهلعهم في ذلك اليوم يطير النوم من أعينهم، وربما كانت أرض الآخرة حين ينقلون أفواجا، والله أعلم، وقيل غير ذلك لمن يشاء الاطلاع.

قال تعالى ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾

الكلام المستأنف في الآية إلى تمام اثنتي عشرة آية يراد به أخذ العظة من ذكر قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وإنذار المشركين من أنهم سينالهم ما ناله إن أصروا على الكفر، وفيه كذلك تسلية لنفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن شدة إعراض قومه لدعوته، وباتصال الآيات بما سبقها فيها كذلك حجة على إمكان البعث، لما فيه من تأييد لأحقية رسالة نبيه إلى الناس وتأكيد ربوبيته تعالى لهم.

والسؤال في (هل أتاك) سؤال تشويق وترغيب في استماع حديث موسى عليه السلام، والخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والحديث يراد به الآيات النازلة في بيان قصة موسى عليه السلام، ونسبة فعل الإتيان إليه نسبة مجازية عقلية على سبيل المبالغة.

وليس المقصود بالسؤال الاستفهام عن إتيان حديث موسى عليه السلام، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عرفه من السور النازلة قبل النازعات كسورة المزمل والأعراف، وإنما السؤال لتوجيه نظر السامع إلى الحديث ليتسلى به وليكون إنذارا لأمته.

قال تعالى ﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ﴾

الظرف متعلق بـ (حديث) لا الإتيان، وفعل النداء أصله رفع الصوت، ويراد به أول وحي الله تعالى لموسى عليه السلام، وبعثه بالنبوة والرسالة، والوادي الأرض المنخفضة بين جبلين، وحذف الياء للتخفيف، وتلزم اللفظ إذا ثني أو أضيف فيقال: واديان، واديك، والتقديس التطهير، وصف به الوادي، لتشرفه بنزول الوحي وتبركه بذلك اللقاء، و(طوى) اسم لذلك الوادي، وجبله الطور ونظير الكلام قوله تعالى (وناديناه من جانب الطور الأيمن) [مريم: ٥٢].

قال تعالى ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله (اذهب إلى فرعون) الاستئناف تفسير لجملة النداء، وهو بعثه بالرسالة إلى فرعون، طاغية عصره.

قوله (إنه طغى) تعليل للأمر بطريق الاستئناف التحقيقي بحرف الابتداء، والطغيان تجاوز الحد في الظلم.

قال تعالى ﴿ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾

الفاء للتفريع، والأمر في (قل) لتلقين السؤال المناسب في مخاطبة الملوك وهو سؤال عرض وتلطف بدلا من الأمر، لاستنزال فرعون من عتوّه، وحرف الجر (إلى) متعلق بمحذوف تقديره: هل لك رغبة إلى أن تزكى، أي: تتزكى، بمعنى: تتطهر من دنس طغيانك، والكلام في الآية كأنه تبيين لقوله في موضع آخر (اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولا لينا) [طه:٤٣-٤٤]، ولا تنافي بين التثنية في (اذهبا) وبين الإفراد في الآية التي نحن فيها،

لأن التثنية بعد سؤال موسى عليه السلام ربه أن يبعث أخاه هارون معه، وأما الإفراد فباعتبار أول الوحي.

وفي الآية دليل على أن الدعوة إلى الله لا تتم بمخاشنة الناس ومعاملتهم بقهر واستعلاء، بل بالرفق واللين وترك الغلظة، ولهذا امتدح الله تعالى خلق نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) [آل عمران: ١٥٩].

قال تعالى ﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾

قوله (وأهديك إلى ربك) نصب الفعل (أهديك) لأنه معطوف على (تزكى) بتقدير: وأن أهديك، والهداية الإرشاد، أي: يُعرِّف موسى عليه السلام فرعون السبيل إلى عبادة ربه ويرشده إليه، والخطاب في (ربك) لتنبيهه إلى مربوبيته لله وفيه رد على ادعاء فرعون بالربوبية.

قوله (فتخشى) الفاء لتفريع الخشية على الهداية، أي: ليحصل لك بهذه الهداية والمعرفة بالله ما يردع طغيانك وهو الخشية الإيمانية من الله تعالى التي ينعكس أثرها في الجوارح، فإنها تعقب المعرفة، نحو قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) [فاطر: ٢٨].

قال تعالى ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾

الفاء فصيحة تفصح عن جمل كثيرة طويت لأجل الايجاز تعويلا على ذكر تفصيلها في السور الأخرى، كتأييده بالمعجزات وذهابه إلى فرعون وحواره

معه، ثم إراءته الآية الكبرى، وفعل الإراءة للبصر، والآية العلامة المؤيدة لصحة إرساله، ووصفها بالكبرى لعظم شأنها، وهي آية قلب العصا حية.

قال تعالى ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾

الفاء للتفريع، وفعل التضعيف للمبالغة في الكذب، وصلة الفعل بتقدير: فكذب فرعون بموسى وجحد رسالته، وكان من أثر تكذيبه أن سماه ساحرا، وعصاه بأن خالفه في فيما أمره به، أو عصى الله بإظهار التمرد.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (ثم أدبر) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، لتأكيد إصرار فرعون على تكذيب موسى عليه السلام، وفعل الإدبار كناية عن توليه عن موسى وإعراضه عنه لا ليتركه بل ليدبر له مكيدة يبطل بها رسالته.

قوله (يسعى) الجملة محلها الحال من (أدبر)، والسعي إشارة إلى اجتهاده في إبطال ما سماه سحرا وذلك بجمع السحرة حاشرين.

قال تعالى ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾

الفاء للتفريع، والحشر يراد جمع الناس على نحو من الإزعاج، والفاء المقترن بفعل النداء تفريع بعد تفريع، والنداء الإعلان عن شيء برفع الصوت، وإسناد الفعلين إلى فرعون على سبيل المجاز العقلي باعتبار أنه السبب في إصدار

الأمر لغيره، ولا مسوغ إلى صرف فعل الحشر إلى حشر السحرة فحسب، وإن كان ممكنا.

قال تعالى ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾

الجملة بدل مطابق بإعادة حرف العطف للتأكيد، والخطاب لأهل مملكته جميعا، وضع نفسه موضع ربهم الأعلى، أي: رب أربابهم، لأنهم قوم وثنيون يؤمنون بتعدد الآلهة.

قال تعالى ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾

الفاء لتفريع الأثر على الادعاء، أي: فأهلكه الله وعذبه عذاب الآخرة والأولى، أما عذاب الأولى فقد أغرقه وجعله عبرة لمن بعده، وأما عذاب الآخرة فهو عذاب البرزخ بعد الموت، والآية من شواهد العذاب في عالم الانتظار.

والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم، وأصله من الامتناع، ويراد به التعذيب الذي ينكل من رآه أو سمعه، ويمنعه من تعاطي ما يفضي إليه، ونصبه على نزع الخافض، أي: أخذه بنكال الآخرة والأولى، ويجوز أن يكون على المفعولية لأن الأخذ بمعنى النكل، أي: نكل الله به نكال الآخرة والأولى، أو على تقدير: لأجل.

قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾

الاستئناف لاستخلاص النتيجة مما سبق، ولفظ الإشارة للبعيد لتفخيم ما ذكر من حديث موسى عليه السلام في السورة، وما جرى على فرعون وقومه من هلاك وإغراق، والعبرة الموعظة وتنكيرها لتعظيمها.

قوله (لمن يخشى) متعلقة بلفظ العبرة، واللام في (لمن) لشبه الملك، والخشية تأثر قلبي، وصلتها محذوفة تقديرها: لمن يخشى الله، وخص العبرة بها لأنه الأجدر بالاتعاظ بها، وتجنب ما يسخط الله.

قال تعالى ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ ﴾

الخطاب لمشركي مكة المنكرين للبعث والحساب، والاستفهام إنكاري يفيد توبيخهم ورفع استصعابهم للإحياء بعد الموت، ولفظ الأشد بمعنى الأعقد والأصعب بالقياس إلى مفهوم المشركين لا بالنسبة إليه تعالى، وهو قياس عقلائي مقنع لمن يطلب الحقيقة، وقد خوطبوا بنظيره نحو قوله تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) [غافر: ٥٧]، وقوله (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) [يس: ٨١].

ونصب (خلقا) على التمييز، و(أم) معادلة، بمعنى: أم أشد خلقا السماء، أي: الأجرام السماوية، وجملة (بناها) تفصيل لخلق السماء وتأكيد لكونها أشد خلقا، وفعل البناء مجاز لقوة ثبات أجرامها في نظامها الجاري من غير اختلال فيه، وفي طي ذكر فاعل البناء وفيما بعده من الأفعال المعطوفة تفخيم لشأنه تعالى ليس بخاف.

قال تعالى ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ ﴾

جملة بدل للبناء، وفعل الرفع مجاز لعلو أجرام السماء وارتفاعها بالنسبة لأهل الأرض، والسمك كما قال في المجمع: الارتفاع وهو مقابل العمق والمسموكات السموات لارتفاعها، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام: يا داعم المسموكات. انتهى.

والفاء في (فسواها) للتفريع، والتسوية التعديل في ترتيب أجزائها وتركيبها في وضع كل جزء منها في موضعه الذي اقتضته الحكمة الإلهية.

قال تعالى ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾

الإغطاش الإظلام، والأغطش الذي في عينيه شبه العمش فلا يتبين الأشياء، وضمير الهاء في الظرفين الليل والنهار راجع إلى السماء، باعتبار أنها السبب في منشئهما، لأن الظلام والضياء في الأرض يكون بطلوع الشمس وغروبها، بتدبير الله تعالى. وبين الجملتين تقابل بديعي، والمعنى: أظلم ليلها وأظهر نهارها، ففعل الإخراج للإظهار، تشبيها لضوء النهار بشيء مستتر تحت ظلام الليل، والضحى أول وقت النهار، وخص بالذكر لأنه أكمل الأوقات.

قال تعالى ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾

أي: والأرض بسطها ومدها بعد بناء السماء وإغطاش ليلها وإخراج ضحاها، وفعل الدحو للأرض جعلها سابحة في الفضاء بشكل بيضوي لا كروي منتظم، فالدحو دحرجة أي حركة بتكلف دالة على حركة دورانية مستديرة، وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام: اللهم داحي المدحوات. انتهى. أي: باسط المبسوطات، وأراد منها الأرضين.

وقال الرازي: وقيل: أصل الدحو الإزالة للشيء من مكان إلى مكان، ومنه يقال: إن الصبي يدحو بالكرة أي يقذفها على وجه الأرض، وأدحى النعامة موضعه الذي يكون فيه أي بسطته وأزلت ما فيه من حصى، حتى يتمهد له، وهذا يدل على أن معنى الدحو يرجع إلى الإزالة والتمهيد. انتهى.

قال تعالى ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ ﴾

جملة تفسير لمعنى دحو الأرض وتهيئتها لصلاح السكنى والمعاش للإنسان، موقعه الحال من فاعله، وفعل الإخراج لإظهار ما استتر وخفي في الأرض، وإخراج الماء منها يراد به تفجير العيون وإجراء الأنهار عليها، وإخراج مرعاها إنبات مطلق النبات منها مما يتغذى به الإنسان والحيوان، ولفظ المرعى مصدر ميمي كالرعي أو اسم موضع الرعي، وهو وإن كان في الأصل حفظ الحيوان بتأمين غذائه الحافظ لحياته غير أنه يستعمل للإنسان بنحو الاتساع بدليل الآية بعده: متاعا لكم ولأنعامكم.

قال تعالى ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ ﴾

رسو الجبال ثباتها في الأرض، وهي من جملة تدبيره سبحانه، في تهيئة الأرض للإنسان، فللجبال وظائف في ذلك، كتثبيت حركة الأرض من أن تميد بأهلها، وكارتباطها بالماء وتفجر العيون، وارتباطها بتثبيت التربة، وصد الرياح وتعديلها، وغير ذلك.

قال تعالى ﴿ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣ ﴾

نصب (متاعا) لأنه مفعول له، أي: فعل ذلك تمتيعا لكم ولأنعامكم، لأن فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد وإخراج المرعى وإرساء الجبال واصلة إليهم وإلى أنعامهم، ويجوز ان ينصب لفظ المتاع على المصدرية أي: متعكم بذلك متاعا.

واللام في (لكم) بمعنى العلة، أي: لأجل انتفاعكم، والخطاب لغير معين دال على الامتنان، والأنعام كما هو معروف الدواب المفيدة للإنسان في تغذيته، كالإبل والبقر والشياه والضأن والماعز.

قال تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤ ﴾

الكلام شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان أحوال معاشهم، والفاء للتفريع على ما تقدم، لأن مضمون الجملة وهو قيام القيامة من لوازم التدبير الإلهي في خلق السماوات والأرض، وهو غرضه المقصود.

وفعل مجيء الطامة مجاز عقلي من حلول يوم القيامة، لأنها لا تجيء من ذاتها بل من أمر الله تعالى، والكناية عنها بالطامة لأنها داهية عظمى تطم

سائر الطامات وتعلوها وتغلبها، وهي النفخة الثانية التي يعلن فيها بعث الخلائق ويحشرون قهرا للحساب، والطم كما قال ابن فارس: دل على تغطية الشيء للشيء حتى يسويه به الأرض أو غيرها، من ذلك قولهم: طم البئر بالتراب، ملأها وسواها، ثم يحمل على ذلك فيقال: للبحر الطم، كأنه طم الماء ذلك القرار، ويقولون له الطم والرم، فالطم البحر والرم الثرى، ومن ذلك قولهم: طم الأمر إذا علا وغلب، ولذلك سميت القيامة الطامة. انتهى. ومن هنا وصفت بالكبرى لشدتها.

قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾

الظرف (يوم) متعلق بمجيء الطامة، والتذكر الحضور الذهني للشيء المغفول عنه، ويراد به حضور الأعمال يوم القيامة صالحها وطالحها لأن الإنسان سيجدها مكتوبة في صحائف أعماله، وإن نسيها لهول المطلع وطول الأمد، و(ما) مصدرية، أي يتذكر سعيه، والسعي ما اجتهد لأجله من عمل في دار الدنيا.

قال تعالى ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾

أي: وأظهرت الجحيم لمن له بصر يرى، ودلالة فعل التبريز المبني للمجهول أن جهنم مخلوقة قبل القيامة، وإنما أظهرها الله بأن كشف الغطاء عنها في يوم انجلاء الحجب نظير قوله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) [ق: ٢٢].

واللام في (لمن) لشبه الملك، وخص إظهار الجحيم بمن يرى، أي: لمن له بصر، لأن الإنسان كان شديد الإنكار لها في عالم الدنيا حين كان له بصر، لا يرى به أبعد من أنفه.

قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ ﴾

الفاء لتفريع أحوال الناس يوم القيامة بعد ذكر الطامة وإظهار الجحيم، أقيمت جمل تفصيلها مقام الإجمال في جواب (إذا) الشرطية، بتقدير: فإذا جاءت الطامة انقسم الناس كذا، وبدأ بذكر اهل الجحيم لأن الكلام موجه إلى المشركين.

وتفيد (أما) الشرط التفصيلي، و(من) اسم موصول، والطغيان تجاوز الحد في الظلم، وليس مثل الكفر بالله ظلما لحق الله في الربوبية، وفي ظلم النفس بتعريضها للعذاب.

قال تعالى ﴿ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ ﴾

أي: وفضل اختيار الحياة الدنيا على الحياة الآخرة، فلم يؤمن بالله وبالمعاد، وهو من لوازم طغيان الكافرين، مترتب عليه، ووصف الحياة بالدنيا لتسجيل جهالة الإيثار لأنها حياة قريبة عُجِّلت لذائذها، مؤقتة فانية.

قال تعالى ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ ﴾

الفاء واقعة في جواب (أما) الشرطية، وإيراد جواب الشرط بصيغة الجملة الإسمية المؤكدة بقصد ثبات الحكم، ولفظ الجحيم ـ كما تقدم مرارا ـ وصف لقعر النار غلب على الاسم لتمكن صفته، وتعريفه للعهد، وضمير الفصل (هي) للقصر، كما أن ال المأوى قصر ثان، ولفظ المأوى مكان الثواء والإيواء والاستقرار، ولا يخلو من تهكم بالطاغين.

قال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

الآية تقابل التي قبلها في المعاني والمباني، وهم أصحاب الجنة، القسيم الثاني لأحوال الناس يوم القيامة، ومن بديع النظم القرآني في الآيات المتقابلة لأصحاب الجحيم وأصحاب الجنة أنهم عُرِّفوا بصفاتهم، لتكون أدل في رسوخ الصورة في الأذهان، وأبلغ في إيصال الجزاء، فقابل الطغيان وما ترتب عليه من إيثار الدنيا على الآخرة، بسبب هوى النفس، بالخوف من الله، وما ترتب عليه من نهي للنفس عن الهوى ورفض الإخلاد إلى دنيا.

والخوف عموم التأثر الذي تضطرب له النفس وتخاف وتحذر، ولفظ المقام اسم مكان لإقامة الشخص، وهو هنا مستعمل مجازا للمنزلة وتعظيم صفات الربوبية وحضورها القلبي للإنسان حضورا يحمله على ردع نفسه من ارتكاب الآثام، ولذلك عطف عليه النهي عن الهوى، فهو مترتب على ذلك، فربما همّ المرء بارتكاب المعصية فنهاه عنها خوفه من ربه، فكأن مضمون جملة الخوف التقوى، وفي مضمون جملة النهي العمل والمجاهدة، ويؤيد ذلك ما روي عن الصادق عليه السلام في قوله الله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان)،

قال: من علم أن الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعمله من خير أو شر، فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. نقل في أصول الكافي. انتهى.

ومن هذا المعنى قوله عليه السلام في نهج البلاغة: أيها الناس، إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: اتباع الهوى وطول الامل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الامل فيُنسي الآخرة. انتهى.

ولفظ الهوى يراد به الرغبات الباطلة للنفس، وفي استعمال فعل النهي مزيد تأكيد لردع النفس عن الإخلاد إلى رغباتها وأهوائها المحرمة.

قال تعالى ﴿ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾

جملة جواب الشرط، قابلت قوله الآنف في الطاغين (فإن جهنم هي المأوى)، وتعريف الجنة للعهد أي الجنة التي وعدها الله للمتقين في دار الدنيا.

قال تعالى ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ ﴾

بعد الفراغ من بيان أحوال الناس يوم القيامة، وهو إخبار غيبي في مضمونه الرد على منكريها، انتقلت الآيات بالكلام إلى ذكر مفسدة من مفاسد المشركين وهي إلحاحهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السؤال عن توقيت حصولها مستهزئين بها.

وفعل مضارع السؤال دال على استمرار مراجعتهم للنبي ﷺ في السؤال عن وقت حصول القيامة، ولفظ الساعة أحد أسمائها، سميت بذلك لأنها تحدث ببرهة من الزمن لا تتوقع، والسؤال بـ (أيان) سؤال عن زمن حدوثها، ولفظ المرسى مصدر ميمي مضموم العين لإفادة النوعية، والرسو الاستقرار والثبات، أي: متى يكون وقت إقامة القيامة وإثباتها.

قال تعالى ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَآ ﴿٤٣﴾ ﴾

استفهام إنكاري، والمعنى: في أي شيء أنت - أيها النبي - من كثرة ذكر الساعة، أي: لا يحصل لك العلم بكثرة السؤال عن ذكر الساعة.

و(فيم) مكونة من (في) الظرفية، و(ما) الاستفهامية التي حذف ألفها باقتران حرف الجر بها نظير: بم، على م، وضمير الفصل (أنت) خوطب به النبي ﷺ، و(من) ابتدائية، و(ذكراها) أي: ذكرى الساعة، يريد وقت حدوثها، ولفظ الذكرى مبالغة في كثرة الذكر.

قال تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ ﴿٤٤﴾ ﴾

الفصل لتعليل النفي المتضمن في الاستفهام السابق، بمعنى: أنت لا تعلم بموعد الساعة لأن انتهاء العلم بها من مختصات ربك، فليس للمشركين أن يسألوك عنها ولا تملك أن تجيب عنها.

وتقديم شبه الجملة (إلى ربك) يفيد الحصر، وكاف الخطاب في (ربك) للعناية من الله تعالى بإخبار نبيه ﷺ وتشريفه، ولفظ المنتهى موضع بلوغ الشيء.

قال تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ ﴾

جملة تقرير لمضمون ما سبق من اختصاص الله وحده بعلم الساعة، أي: إنما بعثناك لإنذار من يخشى الساعة لا تعيين وقت قيامها، حتى تسأل عنها.

والأداة (إنما) للحصر، تنفي ما قبلها وتؤكد ما بعدها، أي: لم نكلفك بإخبارهم بالساعة، إنما كلفناك بإنذار من يخشاها ويحسب لها حسابها.

وفي تخصيص الإنذار بمن يخشى الساعة وعيد شديد لمنكريها، لأن فيه إعراضا عنهم وتأييسا من إيمان المشركين بها.

قال تعالى ﴿ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾

الآية تمثيل لقرب وقت قيام القيامة، بذكر حالة بعث المشركين من قبورهم، ففيها إدماج لتأكيد حدوثها من حيث أنكروا إحياءهم بعد موتهم.

والرؤية المقصودة رؤية اليقين العياني بحصول القيامة، واللبث الإقامة وأريد به موتهم مقبورين في الأرض لحين بعثهم، والتمثيل بمعنى: إن مثل قرب الساعة من حياتهم مثل استقلال مدة مكثهم في القبور حين تقوم القيامة، والظرف المنصوب (عشية أو ضحاها) بمعنى: قدر نهار وأوله نظير قوله (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) [الأحقاف: ٣٥].

سورة عبس

مكية، وهي اثنتان وأربعون آية

غرض السورة عتاب من يقبل على الأغنياء الكافرين فيقدمهم على الضعفاء المؤمنين، فيرفع أهل الدنيا ويضع أهل الآخرة، ومنه انسحب الكلام إلى ذكر خلق الإنسان وشدة حاجته إلى تدبير أمره وهو مع ذلك كافر جاحد بنعم ربه، وتنتهي السورة بذكر البعث والجزاء.

وافتتحت السورة بحادثة العبوس بوجه الأعمى وهو عبد الله بن شريح المعروف بابن أم مكتوم، حين دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يطلب حاجة في دينه، وعنده رؤساء قريش يناجيهم في الدعوة إلى دينه، ومع أن الآيات لم تصرح بأن العابس المتولي هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوردته خبرا منكرا، إلا أن أغلب روايات المفسرين أخذت بذلك، الأمر الذي يتعارض مع خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته كما سيتضح في البحث.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ ﴾

العبوس أصله تقطيب الوجه، وهو أثر لحالة غضب وانزعاج من أمر ما، والتولي يراد به الإعراض والانصراف، وإسناد الفاعل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من فعل الرواة ولا يمت إلى خلقه صلى الله عليه وآله وسلم بشيء، فقد ذكروا كما في المجمع وغيره أن الآيات: نزلت في قصة ابن أم مكتوم الأعمى حين دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وعنده قوم من صناديد قريش يناجيهم في أمر الإسلام، فجعل يناديه ويكرر النداء، ولا يدري أنه مشتغل مقبل على غيره، حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والعبيد، فأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فنزلت الآيات. انتهى. وفيه: وكان رسول الله بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال: مرحبا بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له: هل لك من حاجة؟ واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين، وقال أنس بن مالك: فرأيته يوم القادسية، وعليه درع، ومعه راية سوداء. انتهى.

وقد رد السيد المرتضى علم الهدى، في تنزيه الأنبياء بما لا يدع مزيدا لدارس، فقال: أما ظاهر الآية فغير دال على توجهها إلى النبي ﷺ ولا فيها ما يدل على أنه خطاب له، بل هي خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه، وفيها ما يدل عند التأمل على أن المعني بها غير النبي ﷺ لأنه وصفه بالعبوس، وليس هذا من صفات النبي ﷺ في قرآن ولا خبر مع الأعداء المنابذين، فضلا عن المؤمنين المسترشدين، ثم وصفه بأنه يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء، وهذا مما لا يوصف به نبينا عليه السلام من يعرفه، فليس هذا مشبها مع أخلاقه الواسعة وتحننه على قومه وتعطفه، وكيف يقول له (وما عليك ألاّ يزكى) وهو صلى الله عليه وآله مبعوث للدعاء والتنبيه، وكيف لا يكون ذلك عليه، وكان هذا القول اغراء بترك الحرص على ايمان قومه. انتهى.

وأضاف السيد المرتضى فيه: وقد قيل إن هذه السورة نزلت في رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان منه هذا الفعل المنعوت فيها، ونحن وان شككنا في عين من نزلت فيه فلا ينبغي ان نشك إلى أنها لم يعن بها النبي، وأيّ تنفير أبلغ من العبوس في وجوه المؤمنين والتلهي عنهم والإقبال على الأغنياء الكافرين والتصدي لهم، وقد نزه الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عما هو دون هذا في التنفير بكثير. انتهى.

على أنه روي في المجمع، عن الصادق عليه السلام أنها: نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فجاء ابن أم مكتوم، فلما رآه تقذر منه، وجمع نفسه وعبس، وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه. انتهى.

أقول: ويبدو أن هذا الرجل الذي أبهم اسمه فعُرِّف بأنه من بني أمية، وأنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو عثمان بن عفان، كما نقل عن القمي في تفسيره، ومقاتل بن عطية (ت ٥٠٥ هـ) في مؤتمر علماء بغداد.

قال تعالى﴿ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ ﴾

جملة تعليل للعبوس، ولفظ الأعمى معناه ـ كما هو معروف ـ فاقد آلة البصر، وتعريفه للعهد، لأن الكلام مرتبط بسبب النزول، فالجائي معروف كما قيل هو ابن أم مكتوم، وإنما عبر عنه بلفظ الأعمى لتشديد العتاب، وأن الأولى أن يرحم ويعتنى به لا أن يعرض عنه ولاسيما هو جاء لحاجة تخص دينه كما قيل.

قال تعالى ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾

الخطاب في الجملة للنبي ﷺ على تقدير: قل يا محمد، ويبدو إن إسناد العبوس إلى النبي ﷺ لتوهم الخطاب في (يدريك)، فظن أن العتب واقع على النبي ﷺ.

و(ما) نافية، ونفي الدراية نفي العلم، وفعل الرجاء (لعل) بالنسبة للمخاطب لا بالنسبة لله فإن الله عالم بالشيء قبل أن يكون وبعد أن كان، والتزكّي التطهُّر، وأصله قبل التخفيف: يتزكى، مستعمل مجازا لإفادة العمل الصالح، لأنه سبب في تطهير النفس وتقريبها إلى رضى الله.

قال تعالى ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ ﴾

الحرف (أو) للترديد، لبيان أن الجائي بين حالين كلاهما جدير بالاعتناء بالإقبال عليه، وبناء (يذّكّر) مثل (يزكى)، أصله: يتذكر، حذفت التاء وعوضت عنها الذال المضعفة، والتذكر حضور المعنى في الذهن، والفاء في (فتنفعه) لتفريع المسبب على السبب، والفعل معطوف على جواب (لعل)، ويراد به الاتعاظ والاعتبار لزيادة الإيمان، ولفظ الذكر مبالغة في الذكر.

وفي الآيتين الأخيرتين التفات من الغيبة إلى الخطاب، دال على شدة التوبيخ، فحين كان سياق الغيبة في الأوليين إعراض عن المشافهة تشديدا على الإنكار، عدل عنه في الأخريين إلى خطاب المواجهة وزيادة التقريع.

قال تعالى ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ ﴾

الآية إلى تمام ست آيات تفسير للعبوس، ملخصه العتاب على تجاهل الأعمى والإقبال على من استغنى واستكبر عن الإيمان بالله واتباع الحق.

و(أما) حرف شرط وتفصيل، وفعل الاستغناء مبالغة في التلبس بالغنى، ولازم المستغني الشريف في قومه العظيم المكانة في الرئاسة والسلطة والثراء.

قال تعالى ﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ ﴾

جملة الجزاء، وتقديم (له) للعناية، والفعل (تصدى) مخفف التاء أصله: تتصدى، أي: تقبل عليه بوجهك وتعتني به.

قال تعالى ﴿ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ ﴾

أي: ليس عليك شيء إن لم يسلم ذلك المستغني، ولم يتطهر من الكفر، فلا تبال بشأنه ولا تكترث بكفره، والجملة على تقدير: قل له يا محمد: وما عليك ألا يزكى.

و(ما) استفهامية تفيد الإنكار، و(ألا) مكونة من (أن) الناصبة غير العاملة لتوسط (لا) النافية بينها وبين الفعل، و(يزكى): يتزكى.

قال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ ﴾

والجائي هو الأعمى ابن أم مكتوم، لأن المناسبة فيه، وجملة (يسعى) محلها الحال من فاعل (جاءك)، وأصل السعي المشي السريع، ويراد به الاهتمام بما يسعى إليه، وهو التزكي والتطهر في معرفة الدين.

قال تعالى ﴿ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ ﴾

الجملة حال بعد حال من فاعل (يسعى)، ومفعول يخشى معلوم من السياق وهو الله، لأنه آية التذكر قال تعالى (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى) [طه:٢- ٣]، وقال (سيذكر من يخشى) [الأعلى: ١٠].

قال تعالى ﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾

الفاء واقعة في جواب (أما) الشرطية، وتكرار (أنت) لتقرير العتاب، وتقديم (عنه) للعناية ورعاية الفاصلة، والفعل (تلهى) بمعنى: تتلهى، أي: تتشاغل عنه.

قال تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ ﴾

كلا: حرف نفي وردع عن الاعتناء بالأغنياء الكافرين، والآيات تأمر بعدم المبالاة بكفر الأغنياء الكافرين فما ينبغي تقديمهم في الاعتناء على غيرهم من المؤمنين الفقراء.

وجملة (إنها تذكرة) استئناف تحقيقي، بمنزلة التعليل للردع، والهاء راجعة إلى الآيات، وهي تذكرة، لأنها تذكر من يستمع إليها بالله، فتزيده إيمانا

وموعظة، وقال الشيخ الطوسي: والفرق بين التذكرة والمعرفة أن التذكرة ضد الغفلة والمعرفة تضاد الجهل والسهو، فكلاهما يتعاقبان على حال الذكر دون السهو، كتعاقب العلم وأضداده على حال الذكر دون السهو، والذكر معظم، لأنه طريق إلى العلم بالحق من الباطل والصحيح من الفاسد. انتهى.

ومحصل التعليل: إن القرآن تذكرة يذكر من يبلغه بآيات الله ويدعوه إلى توحيده فمن شاء ذكره، فلا إجبار ولا قهر، ومن يؤمن فلنفسه ومن يكفر فعليه وزر كفره.

قال تعالى ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ ﴾

الفاء للتفريع، والمشيئة بمعنى إعطاء الاختيار على أساس الاقتناع من دون إجبار، حتى تتم عدالة المحاسبة بعد ذلك على مسؤولية الاختيار، والهاء في (ذكره) عائدة إلى القرآن.

قال تعالى ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾

الجملة خبر بعد خبر لـ (إن)، أي: الآيات مكتوبة في صحف مكرمة، ولفظ الصحف جمع صحيفة، دالة على أنها كثيرة، وتنكيرها للتعظيم، ووصفها بأنها مكرمة، أي: معظمة نازلة من عند الله تعالى بوسائط الوحي.

قال تعالى ﴿ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ ﴾

صفات للصحف، أي: مرفوعة القدر، منزهة عن كل نقص، ولفظ الرفع يقال للأعيان وأصله رفع الشيء الثقيل من الأرض، واستعمل استعارة لمنزلة الآيات القرآنية، وتعظيم قدرها، والتطهير التنزيه، أي: إنها كاملة في مبناها ومعناها، ليس فيها شائبة الشك أو النقص أو اللغو.

قال تعالى ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ ﴾

شبه الجملة (بأيدي) محلها الصفة للصحف، والباء في (بأيدي) متعلقة بـ (مطهرة)، إشارة إلى أنه لم يمسها غير الملائكة، ولفظ الأيدي مجاز عن تأكيد تنزيل الصحف على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولفظ السفرة، مفرده سفير، ويراد بهم رسل الله ملائكة الوحي وأعوان جبريل، وتنكير اللفظ لتعظيم شأنهم.

قال تعالى ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦ ﴾

صفة للسفرة، والكرام جمع كريم، صفة للذات، وهو كما في التبيان: الذي من شأنه أن يأتي بالخير من جهته مهنا من غير شائب يكدره، وهي صفة مدح ومنه أخذت الكرمة لشرف ثمرتها، والكرم يتعاظم فالنبي أكرم ممن ليس بنبي، والمؤمن أكرم ممن ليس بمؤمن. انتهى.

ولفظ البررة جمع بر، كما إن الأبرار جمع بار، وهو فاعل البر والإحسان، وأصل مادته الاتساع، وسمي فعل الخير بالبر لاتساع النفع به، والملائكة ممحضون لفعل البر والخير، والكلام في معنى قوله تعالى (عباد مكرمون

لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) [الأنبياء: ٢٦- ٢٧]، وقوله (ويفعلون ما يؤمرون) [النحل: ٥٠].

قال تعالى ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله (قتل الإنسان) دعاء على الإنسان الكافر بأشنع الدعوات وهو القتل، لما فيه من إزهاق للروح.

قوله (ما أكفره) صيغة تعجب من كفران الإنسان، وتعليل للدعاء عليه، لأنه كفر معاند بعد تبيان الدلائل العجيبة التي نزل بها القرآن فيستغني عنها ويستكبر عليها.

وذكر في مناسبة الآية، أنها: نزلت في عتبة بن أبي لهب، حين قال: كفرت برب النجم إذا هوى فدعا عليه النبي ﷺ فأخذه الأسد بطريق الشام. ذكر في الدر المنثور وغيره. انتهى.

قال تعالى ﴿ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾

استفهام يفيد تأكيد التعجيب السابق من كفران الإنسان، أي: من أي مادة خلق الله الإنسان حتى يطغى ويستعلي هذا الاستعلاء على آيات الله ويجحدها، وحذف الفاعل من الآيات لأنه معلوم غير منكر من المشركين، فهم مقرون بان الخالق الله.

والاستفهام عن داعي التعجيب من كفران الإنسان دال على أن الأصل ألا يطغى الإنسان ويكفر، لأنه مخلوق من شيء لا يحمله على الكفران والاستكبار، فالاستفهام تمهيد لما في الآية بعده.

قال تعالى ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾

جملة جواب للسؤال المتقدم، وتقديم (من نطفة) للعناية بالمتقدم، و(من) ابتدائية، وتنكير النطفة للتحقير، والفعل (خلقه) بمعنى: ابتدأه، وتعقيب الخلق بالتقدير، أي: فعين له القدر المعلوم في جميع أطواره وصفاته وأحواله من هيأة ورزق وعمر.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ﴾

تفيد (ثم) التراخي الرتبي في الكلام، وتعريف السبيل للعهد، أي: سبيل الحق والخير، وتيسيره تسهيل الاهتداء إليه بالفطرة التي فطر الله عليها الإنسان، فعرفه طريق الشر وأمره باجتنابه وأرشده إلى سبيل الخير وأمره باتباعه، قال تعالى (وهديناه النجدين) [البلد: ١٠].

ففي الكلام دفع توهم أن يكون الكفران مما قدر الله على الإنسان، فأجيب بأن الخلق والتقدير من الله لا يعنيان سلب حرية اختيار الإنسان، فالله تعالى يسر له معرفة السبيل الموصل إلى الخير والسعادة، وجهزه بالعقل وأمره بتدبر الآيات، فكل ميسر لما خلق، ولكن الإنسان باختياره يؤثر العناد في الإعراض

عن الحق، والمكابرة في الإصرار على الباطل، قال تعالى (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) [الإنسان: ٣].

قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ﴾

العطف المتراخي في (ثم) لإفادة تأكيد دلائل تدبيره تعالى في ربوبيته للإنسان وبيان قدرته، والإماتة إيقاع الموت على الإنسان، والإقبار الدفن في باطن الأرض، قال في المجمع: وأقبره: جعل له قبرا، فالإقبار جعل القبر لدفن الميت فيه، ويقال: أقبِرْني فلانا، أي: اجعلني أقبره، والقابر الدافن للميت بيده. انتهى.

وإسناد فعل الإقبار إليه تعالى على سبيل المجاز العقلي باعتبار أنه السبب الذي ألهم الإنسان فعل ذلك.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ ﴾

النشر أصله البسط نقيض الطي، والإنشار كما في التبيان: الإحياء للتصرف بعد الموت، كنشر الثوب بعد الطي، أنشر الله الموتى فنشروا كقولهم: أحياهم فحيوا. انتهى. وتعليق الإنشار بالمشيئة للدلالة على أنها من مختصاته تعالى يحدثها بغتة.

قال تعالى ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ ﴾

الحرف (كلا) لردع الإنسان عما هو عليه من الإفراط في الكفران والجحود، والجملة بعد الحرف لبيان سبب الردع، بمعنى: لم يقض الإنسان الموصوف بإفراطه بالكفر ما أمره الله به من إخلاص عبادته، ولم يؤد حق الله تعالى مع كثرة نعمه، بل كفر وعصى، و(لما) حرف جزم بمعنى: لم، وفعل القضاء مجزوم بمعنى التأدية والإتيان.

قال تعالى ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ ﴾

الفاء لتفريع تفصيل مننه تعالى على عموم ما ذكر من إجمال خلق الإنسان، والأمر بالنظر يراد به النظر الموصل إلى الاعتبار والموعظة، فهو نظر التدبير والتفكر، وتعريف الإنسان للعموم، ولا يراد به الإنسان المتقدم ذكره في الآيات السابقة المبالغ في الكفر والجحود، ولذلك أظهر لفظه ولم يضمره كما قيل.

وخص أمر النظر بالطعام لأنه حاضر دائما بين يديه، يتغذى به لأجل بقائه وربما اعتاده فغفل عن التدبر في الكيفية التي دبرها الله له، ولو أمعن في الأسباب المتعلقة ببقائه وصلاح حاله لأيقن في مسببها وآمن أن وراءها صانعا حكيما لا يمكن إنكاره، وأنها غرفة من بحار رحمته وتدبيره.

قال تعالى ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ﴾

جملة بدل اشتمال تفصيل لتدبير الطعام، وصب الماء إنزاله من علو السماء بإمطار السحائب، ومنها تفجير العيون وإجراء الأنهار فإنها من غيث السماء،

وبدأ بذكر الماء لأنه السبب في حدوث الطعام من النبات أو الحيوان، وإسناد الفعل إلى نون العظمة على سبيل المجاز العقلي من إسناد الفعل إلى سببه، وكذا ما بعده في الآيات (شققنا، وأنبتنا)، وتنكير (صبا) على المفعولية المطلقة المؤكدة للنوعية، أي: صببناه صبا عجيبا.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ ﴾

العطف بـ (ثم) للتراخي الرتبي، والشق أصله فصل الشيء إلى قسمين لإظهار ما بداخله، واستعمل فعله كناية عن خروج النبات من الأرض بعد صب الماء، ونصب (شقا) لأنه مفعول مطلق يفيد النوعية، أي: شقا بديعا عجيبا، وقريب من معناه قوله تعالى (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) [الحج: ٥].

قال تعالى ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ ﴾

الفاء لتفريع أصناف النبات على إخراجها، وعد منها ثمانية، والهاء في (فيها) للأرض، وتنكير (حبا) للتكثير والنوعية، وهو اسم جنس لما يحصد ويتغذى به الإنسان كالحنطة والشعير ونحوهما، وقدم لأنه الأصل في التغذية.

قال تعالى ﴿ وَعِنَبًا وَقَضۡبًا ﴿٢٨﴾ ﴾

والعنب ثمر شجر الكرم، خص بالذكر لأنه غذاء وفاكهة، ولفظ القضب أصله القطع، وهو على ما قيل: الرطبة اليابسة التي تسمى القت، أو الغض الرطب

من البقول الذي يأكله الإنسان يقطع مرة بعد مرة، وقيل: ما يقطع من النبات وتعلف به علف الدواب.

قال تعالى ﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ ﴾

النصب على العطف، وثمر الزيتون معروف معلوم، والنخل اسم جنس يقال للمفرد والجمع، وثمره الرطب ومنافعه كثيرة.

قال تعالى ﴿ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ ﴾

لفظ الحدائق جمع حديقة وهي البستان المحوط، وتنكيرها للتفخيم، والغلب جمع غلباء للمؤنث، وللمذكر أغلب، مستعار من الرقاب الغليظة، ويقال: أسد أغلب، ولذا يقع وصفا للرجال الأشداء، ووصفا للحدائق ويراد بها الأشجار العظام الغلاظ، أو الشجر الملتف المكتظ الأغصان.

قال تعالى ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾

خص ذكر الفاكهة لإفادة سائر أنواع الفواكه من غير ما تقدم، وتنكيرها للنوعية والتكثير، ولفظ الأب على ما قيل: هو المرعى والكلأ الذي لم يزرعه الناس مما تأكله الأنعام، قال الراغب: الأب المرعى المتهيئ للرعي والجز، من قولهم أب لكذا، أي: تهيأ أبا وإبابة وإبابا، وأب إلى وطنه إذا نزع إلى وطنه نزوعا تهيأ لقصده، وكذا أب لسيفه إذا تهيأ لسله، وإبان ذلك فعلان منه وهو الزمان المهيأ لفعله ومجيئه. انتهى.

قال تعالى ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾

نصب (متاعا) لأنه مفعول له، أي: أنبتنا ما أنبتنا متاعا لكم ولأنعامكم، ولفظ المتاع أصله اللذائذ المؤقتة، مشعر بزوال النعم واضمحلالها، ولذلك استعمل، واللام في (لكم) لام العلة، أي: لأجل انتفاعكم، والالتفات من الغيبة إلى الخطاب لإفادة تقرير الامتنان فإن الآيات في مقام ذكر الإنعام والتدبير للتوصل به إلى دلائل التوحيد في الربوبية والألوهية.

والأنعام، كما قيل: الماشية بنعمة المشي من الإبل والبقر والغنم، بخلاف الحافرة بشدة وطئه من الخيل والبغال والحمير.

ويبدو أن لفظ الأب شغل معناه كبار الصحابة، فقد نقل عن عجز أبي بكر وعمر عن معرفة معناه، ففي الدر المنثور وغيره: سئل أبو بكر الصديق عن قوله (وأبا) فقال: أيّ سماء تظلني وأيّ أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم. وفيه: بإسناده أن عمر قرأ على المنبر (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا - إلى قوله – وأبا) قال: كل هذا قد عرفناه فما الأبّ؟ ثم رفض عصا كانت في يده فقال: هذا لعمرُ الله هو التكلف، فما عليك ألاّ تدري ما الأبّ؟ اتبعوا ما بُيّن لكم هُداه من الكتاب، فاعملوا به وما لم تعرفوه فكِلوه إلى ربّه. انتهى.

وذُكِر أن أمير المؤمنين عليه السلام بلغه مقال أبي بكر فقال: سبحان الله، أما علم أن الأب هو الكلأ والمرعى؟ وأن قوله تعالى: (وفاكهة وأبا) اعتداد من الله بإنعامه على خلقه فيما غذّاهم به وخلقه لهم ولأنعامهم مما تحيى به أنفسهم وتقوم به أجسادهم. ذكر في الإرشاد. انتهى.

قال تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ ﴾

الفاء لتفريع النتيجة على ما تقدم من ذكر النعم، دال على أنها الغاية المقصودة من ذكر ما سبق، والعامل في (إذا) الشرطية قوله (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه)، ولفظ الصاخة بمعنى الصاكة صفة ليوم القيامة، وهي صيحة إسرافيل ونفخته التي تصم لها الآذان من شدة وقعها.

وإسناد فعل المجيء إلى الصاخة على سبيل المجاز العقلي، لأنها تكون بإذن من الله تعالى، لا من نفسها.

قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾

الجملة ظرف لمجيء الصاخة، وبدل تفسير منها، لتهويل موقف القيامة، بحيث أن أقرب الناس للإنسان وهم محل أمنه وإيوائه وهم الأم والأب والزوجة الصاحبة والأبناء يفر منهم يوم القيامة لشدة ما يشغله من مصيبة هول المطلع وما ينتظره من عذاب أليم، إذ لا ريب في أن المراد بالمرء جنس الكافرين.

قال تعالى ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾

قطع الكلام لأنه تعليل للفرار، وهو أن لكل واحد ممن ذكر من الأخ والأم والأب والزوجة والأبناء وهم أصناف الناس يومئذ شغلا بنفسه يمنعه من

الاهتمام بغيره، وقد بين الرسول ﷺ هذا الشغل والشأن لهم بقوله فيما روي عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: يبعث الناس حفاة عراة غرلا [أي: غير مختونين]، يلجمهم العرق ويبلغ شحمة الأذن قالت: قلت: يا رسول الله، واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض إذا جاء؟ قال: شُغِل الناس عن ذلك، وتلا رسول الله ﷺ: (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه). ذكر في المجمع. انتهى.

ولفظ (امريء) على سبيل اسم الجنس يدخل فيه الذكر والمؤنث، وإن كان مؤنثه المرأة، والضمير في (منهم) عائد على مجموع من ذكر من الأقارب، ولفظ الشأن يقال للأمر العظيم، ولذلك نُكّر، ومعنى (يغنيه): يكفيه ما هو فيه من زيادة عليه، فلم يعد فيه فضل لغيره، لما أصابه من هول المصيبة.

قال تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

الكلام تقسيم لأحوال الناس يومئذ بين سعداء وأشقياء، ولفظ الوجوه مجاز بمعنى: أصحاب الوجوه وهم السعداء، وجمعها وتنكيرها للكثرة، والظرف المبني (يومئذ) يوم القيامة، ولفظ الإسفار أصله الكشف، يقال: أسفر الصبح إذا أضاء، وسفرت المرأة إذا كشفت وجهها، وإسفار الوجوه كناية عن صباحتها وطلاقتها وسعادتها الظاهرة عليها، ونسبتها إلى الوجوه من باب المجاز العقلي للمبالغة باعتبار أنها مسببة من سعادة صاحبها، فالوجوه مرآة القلب، وهي سيماء الفرح أو الغم، كما قال تعالى (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) [المطففين: ٢٤].

قال تعالى ﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

صفة للوجوه، والضحك أصله لأصحاب الوجوه أسند إلى الوجوه على سبيل المجاز العقلي، وكذا الاستبشار، وكلاهما كناية عن السرور والسعادة لما يتوقع صاحبها من ثواب عظيم أعد له.

قال تعالى ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

وهو المقابل النوعي لما سبق، في المعنى والمبنى، وتقديم (عليها) على عامله للعناية، وحرف الجر مجاز بمعنى: يعلوها، والغبار ما يبقى من التراب المثار، واشتق منه الغبرة وهي ما يعلق بالشيء منه وما كان على لونه، ومنه آثار تعب المسافر يوم كانت آلة السفر البر، فتعلو وجهه غبرة الطريق، ولذا استعمل للكناية عن الكآبة والهم.

قال تعالى ﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ ﴾

أي: تعلوها قترة، وهي ظلمة الدخان وسواده، ومنه القتار: ريح الشواء، لأنها كالدخان، وتنكيرها للتهويل، والجمع بين الغبرة والقترة للوجوه لزيادة التبشيع، قال الرازي: ولا يرى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه، كما ترى وجوه الزنوج إذا اغبرت، وكأن الله تعالى جمع في وجوههم بين السواد والغبرة، كما جمعوا بين الكفر والفجور. انتهى.

وتكرر تقسيم الوجوه يوم القيامة بين سعداء وأشقياء في الآيات نظير قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة، ووجوه يومئذ باسرة) [القيامة:٢٢- ٢٣-٢٤]، وقوله (وجوه يومئذ خاشعة - إلى قوله - وجوه يومئذ ناعمة) [الغاشية: ٢- ٨]، وقوله في تقسيم آخر (يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه) [آل عمران: ١٠٦].

قال تعالى ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝٤٢ ﴾

لفظ الإشارة لجمع الأشقياء الذين ذكروا بسيماء وجوههم، وضمير الفصل (هم) للقصر، وكذا أل الكفرة، أي: هم لا غيرهم الكفار الفجار، ولفظ الفجر أصله الشق، كأنهم شقوا ستر الديانة، أو هم كالفساق خرجوا من زي العبودية، والإتيان بصفاتهم لزيادة تقرير سبب شقائهم.

سورة التكوير

مكية، وهي تسع وعشرون آية

غرض السورة تأكيد قيام القيامة من طريق تهويل ذكر أشراطها وعلاماتها، فذكرت أشراطا من عالم الدنيا كتكوير الشمس وانكدار النجوم وتسيير الجبال وتعطيل العشار وحشر الوحوش وتسجير البحار، وأشراطا من عالم الآخرة كسؤال الموؤدة ونشر الصحف، وتسعير جهنم وإزلاف الجنة، وبتحقيق هذه الأمور تعلم كل نفس ما عملت في دار الدنيا، وعرضت السورة عصمة الوحي والنبي ﷺ من أي مس، بل هو قرآن مصون وذكر للعالمين، والسورة من عتائق السور المكية النازلة أوائل البعثة.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ ﴾

الآيات تؤكد قيام القيامة بذكر أشراطها وعلاماتها، بأسلوب الشرط الذي يزيد السامع تشويقا لمعرفة جوابه، وارتفاع الاسم بعد (إذا) لزيادة التهويل، وهو أدل من تقدير إضمار الفعل بعده، ولهذا تكرر الأسلوب بالصيغة نفسها اثنتي عشرة مرة، في إطناب مقصود لإفادة استقلال كل جملة بذاتها لتقرير تهويل علامات الساعة، وأما إيراد الجمل بفعل المضي فلإفادة إنزال المستقبل منزلة المتحقق للإشارة إلى لزوم وقوعه وحتمية حدوثه.

والعامل في (إذا) وفي الظروف الشرطية بعده واحد هو قوله تعالى (علمت نفس ما أحضرت).

والتكوير لف الشيء بإدارته وضم بعضه إلى بعض، مثل تكوير العمامة، ولازمه الإزالة والرفع، فتكوير الثوب طيه ليرفع، وتكوير الشمس مجاز استعاري في انطماس ضوئها وإزالتها.

وذكر الشمس أولا لأنها الأصل في مجرتها، والنجوم تبع لها، تنتظم حولها، وترتبط بها بنحو من الطرد والجذب، فإذا كورت الشمس سقط تبعها واختل النظام الدنيوي بأكمله.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ ﴾

لفظ النجوم يراد به مطلق الكواكب السيارة في الفضاء، وانكدارها تساقطها في الفضاء وانتثارها كما ينكدر الطائر من الهواء بانقضاضه إلى الأرض، وقال في المجمع: الانكدار انقلاب الشيء حتى يصير أعلاه أسفله بما لو كان ماء لتكدر، وأصله الانصباب. انتهى.

والآية في معنى قوله (وإذا الكواكب انتثرت) [الانفطار: ٢]، أو يحتمل أن يكون الانكدار من الكدورة أي التغير بانمحاء ضوئها، ونسبة الفعل إلى النجوم على سبيل المجاز العقلي، لأن ذلك لا يكون من نفسه وإنما يوقعه الله عليها بأن يرفع عنها أسباب نظامها.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ ﴾

تسيير الجبال باندكاكها في الأرض بسبب ما يضربها من زلازل شديدة فتصير كثيبا مهيلا تمر مر السحاب.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ ﴾

لفظ العشار جمع، مفرده عشراء، صفة للناقة الحامل التي مضت عليها عشرة أشهر حتى تضع حملها، وربما سميت عشراء من بعد الوضع، وتعدها العرب من نفائس الإبل، وتعطيلها بمعنى إهمالها من دون راع حافظ لها، كناية عن الانشغال بالنفس يوم القيامة عن كل مهم ونفيس كان الناس يتنافسون فيه قبل ذلك.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ ﴾

تطلق الوحوش على مطلق الحيوان البري الذي لا أنس له بالإنسان، كالسباع ونحوها، وأغلبها مفترسات، وحشرها يوم القيامة بمعنى جمعها بإخراجها من أوكارها وأكنانها، جعلت علامة لقيام الساعة، أما ما يجري بعد ذلك الحشر وما يؤول إليه أمرها فقد سكتت عنه الآيات ولا يعلم من الأخبار سوى ما قيل: إن الله يأمر يومئذ بعد الاقتصاص لها أن تصير ترابا.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ ﴾

السجر أصله تهييج النار، والتسجير مصدر الفعل المضعف مبالغة في السجر، والبحار جمع بحر، وهو مجتمع الماء العظيم، وعد إضرام النار في

البحار من علامات الساعة، لما فيه من جمع المضادات، وفسر التسجير بامتلاء البحار حتى يكون بحرا واحدا.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ ﴾

أي: تزويج نفوس المؤمنين السعداء بنساء الجنة إثابة من الله تعالى لهم، فتعريف النفوس على هذا للعهد أي النفوس الموصوفة بالإيمان بالله وطاعته جازاها الله بحور عين قال تعالى (وزوجناهم بحور عين) [الدخان: ٥٤]، وأما نفوس الكفار الأشقياء فقد قرنت بشياطينها، قال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) [الزخرف: ٣٦]، وهو المروي عن الباقر عليه السلام.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ ﴾

الوأد دفن البنت في التراب حية، وهو من أسخف مفاسد الجاهلية وأبشعها، إذ كان بعض العرب يئد ابنته المولودة خوف العار، وقد سجلها القرآن عليهم في قوله تعالى (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) [النحل: ٥٨- ٥٩]، وروي في التبيان: جاء قيس بن عاصم التميمي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إني وأدت ثماني بنات في الجاهلية، فقال: فأعتق عن كل واحدة رقبة، قال: إني صاحب إبل، قال: فاهد إلى من شئت عن كل واحدة بدنة. انتهى.

وعرف عن صعصعة بن ناجية جد الفرزدق أنه كان يفتدي الموؤدات في الجاهلية من أهلهن، وقد سجل الفرزدق افتخاره بذلك كقوله:

ومنا الذي منع الوائدات فأحيا الوئيد فلم توأد

وسؤال الموؤدة من باب المجاز العقلي، لأن قاتلها المسؤول، وإنما هي المقتولة مسؤول عنها، فهو مجاز لإفادة توبيخ وائدها، وأنه لا يستحق الخطاب، أي: تسأل عن قاتلها للانتصاف لها، وأسلوبه نظير سؤال الله تعالى لعيسى عليه السلام في قوله (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) [المائدة: ١١٦]، ويعضده ما روي في المجمع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: يجئ المقتول ظلما يوم القيامة، وأوداجه تشخب دما، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، متعلقا بقاتله يقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني. انتهى.

قال تعالى ﴿ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝٩ ﴾

بيان للسؤال عن سبب قتلها بالدفن في التراب، لإفادة التعريض بالقاتل وإظهار كمال الغيظ منه قبل الاقتصاص منه، وجيء بالسؤال بطريق الإخبار عنه لا بطريق الحكاية لما خوطبت به، ولذلك لم يؤت بفعل القتل بصيغة الخطاب، فقيل: قتلتْ بالإخبار، ولم يقل: قتلتِ بالخطاب، أو بصيغة الحكاية عن نفسها فيقال: قتلتُ، وذلك أوفق في رعاية الفاصلة المنتهية بتاء التأنيث الساكنة.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠ ﴾

وهي صحف الأعمال التي كتبها الملائكة الكاتبون في دار التكليف على العبد، تنشر وتكشف يوم القيامة فيحملها كل أحد يومئذ، فالسعداء الذين يحملونها في أيديهم اليمين والأشقياء الذين يحملونها في الشمال.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١ ﴾

يراد بالسماء كما في غير مرة مجموعة الأجرام العلوية السابحة في الفضاء، والكشط إزالة الشيء من الشيء الملتصق به بعناية، ككشط الإهاب عن الذبيحة، والفعل استعير للسماء للإزالة والقطع عن الشيء المستور وطيه، قال العلامة الطباطبائي: فينطبق على طيها كما في قوله: (والسماوات مطويات بيمينه) [الزمر: ٦٧]، وقوله: (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) [الفرقان: ٢٥].

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢ ﴾

تعريف الجحيم للعهد، وهي نار العذاب، وتسعيرها تهييج نارها وتأجيجها، وتشديد الفعل للتكثير، والكلام كناية عن تهيئتها للكافرين.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣ ﴾

أي: الجنة المعهودة في الذهن التي كان قد وعد بها المتقون في الدنيا، وإزلافها تقريبها لهم وإدناؤها منهم تعجيلا بالبشارة لدخولها يوم القيامة وطمأنتهم، نظير قوله (وأزلفت الجنة للمتقين) [الشعراء: ٩٠].

قال تعالى ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤ ﴾

الجملة جواب للظروف الشرطية كلها، أي: إذا حدثت هذه الأمور كلها التي تكون يوم القيامة علمت كل نفس ما وجدت حاضرا من عملها، لأنه كان غافلا عنه، وهو كقوله سبحانه (أحصاه الله ونسوه) [المجادلة: ٦].

وفعل العلم بمعنى الوجدان، وتنكير (نفس) للعموم، واسم الموصول وصلته فعل الإحضار مجاز عن عملها في الدنيا، وجيء به لبيان علة علمها، ولتسجيل الحجة عليها، والكلام في الآية في معنى قوله تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء) [آل عمران: ٣٠].

قال تعالى ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ﴾

الفاء لتفريع تأكيد ما تقدم بالقسم، بطريق نفيه، كونه مسلما به، أو كما قيل: إن (لا) زائدة والمعنى: فأقسم، ولفظ الخنس جمع لخانس، وهو المستتر، ومنه يقال للشيطان خناس لأنه إذا ذكر الله ذهب واستتر، واللفظ صفة للكواكب بدلالة القرائن بعده، والقسم بها لعظم خلقها نظير القسم بالشمس والقمر.

قال تعالى ﴿ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ ﴾

لفظ (الجوارِ) جمع جارية، وهي الماشية بسرعة، حذفت الياء وعوض عنها بالكسر للتخفيف، ولفظ الكنس جمع كانس، وكناس الطير والوحش بيته الذي يستتر فيه ويختفي، فتكون الصفتان للكواكب ذاهبة وآيبة حتى تستتر في بروجها كالظباء تدخل في كناسها، وهي على ما قيل: خمسة أنجم: زحل والمشتري والمريخ وعطارد والزهرة، وهو المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقيل: معناه أنها تخنس بالنهار فتختفي ولا ترى، وتكنس في وقت غروبها، فهذا خنوسها وكنوسها.

قال تعالى ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ ﴾

الواو للعطف على الخنس، والظرف (إذا عسعس) قيد لليل بمعنى: إذا أظلم، ولفظ العسعسة يقال لطرفي الليل في أوله ومنتهاه، فهو من الأضداد فيكون معنى الآية وما بعدها بوزان قوله تعالى (والليل إذ أدبر، والصبح إذا أسفر) [المدثر: ٣٣- ٣٤].

قال تعالى ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ ﴾

الواو للعطف على الخنس، والجملة في مقابلة التي قبلها في المعنى والمبنى، ولفظ الصبح أول النهار، والشرط الظرفي (إذا تنفس) قيد له، وتنفسه استعارة تشخيصية لتشبيهه بكائن حي جثم عليه الليل وثقل، حتى إذا بان ضوء الفجر وانبسط انبعث من جديد فتنفس باسترواح ويقظة.

قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ﴾

الجملة الإسمية المؤكدة جواب القسم، والهاء في حرف النسخ عائد إلى القرآن، ولفظ الرسول يراد به جبريل، كبير ملائكة الوحي، وعد القرآن قولا منسوبا للرسول لما أنه رسول مرسل من الله إلى نبيه ﷺ بالآيات، ففيه دلالة ضمنية أن القول لله سبحانه، وتنكير اللفظ لتعظيم شأنه، وتوصيفه بالكريم ثناء ثان من الله عليه، أي: ذي كرامة وعزة عند الله، كما أن الصفات بعده ثناء بعد ثناء.

قال تعالى ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ ﴾

أي: ذي شدة بالغة وقدرة فائقة، والظرف (عند) ليست ظرفا للمكان بل عندية القرب والتشريف، والإتيان بذي العرش عن الله تعالى لبيان عظم سلطانه تعالى بعد وصف جبريل بالقوة، ومعنى (مكين) أي: صاحب مكانة عظيمة عند ربه.

قال تعالى ﴿ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ ﴾

تنكير (مطاع) للتعظيم، وفيه دلالة على أن له أعوانا من الملائكة يأتمرون بأمره ويطيعونه، والحرف (ثم) اسم مبني أشير به إلى المكان المجازي في الظرف (عند)، والمكان المشار للظرفية المجازية (عند)، أي: عند ربه مطاع في ملائكته، ومدحه بالأمانة لأنه لا يخون ما يوحي إليه من ربه، بل يبلغه أنبياء ربه بحفظ من غير تصرف فيه، لأن الله عصمه من الزلل والخيانة،

وإلى هذا المعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام في الملائكة: جعلهم فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه، وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه، وعصمهم من ريب الشبهات، فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته، وأمدهم بفوائد المعونة. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

وقيل: إن لفظ الرسول في الآية وما أعقبه من صفات يراد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، غير ان ما بعده من آيات يبعد هذا القول.

قال تعالى ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

الخطاب رد من الله تعالى على مشركي مكة، ودفاع عن نبيه لقدحهم برسالته عن طريق رميه بالجنون، فجاء بلفظ (صاحبكم) للإشارة إلى كونه ملازما لهم لابثا بينهم عرفوه برزانة العقل وصدق القول، فكيف يرمونه بالجنون، ونحوه قوله (ما ضل صاحبكم وما غوى) [النجم: ٢].

والغريب أن ينقل الرازي الرأي بتفضيل جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم محتجا لذلك بما وصف به جبريل في الآيات السابقة قبال ما أخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من دون أن يرد على عادته، والحال أن امتداح جبريل لتعظيم القرآن النازل من طريق معصوم من الخيانة والخلط وهو الوحي إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾

القسم والتحقيق في (ولقد) للعناية بمضمون الكلام الذي ينكره الذين اتهموا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجنون، وهو تأكيد لرسالته الحقة، وفعل الرؤية للعيان اليقيني،

وفاعله النبي ﷺ في لفظ (صاحبكم)، وضمير النصب لجبريل، والأفق ناحية السماء، والمبين الواضح الذي لا شبهة فيه، وهو إشارة إلى أفق العالم العلوي عالم الملائكة، حيث ارتفاع الحجب عن النبي ﷺ ولقائه بجبريل.

قال تعالى ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

أي: النبي ﷺ حريص على تبليغ أحكام الآيات النازلة بالوحي إلى الأمة، فلا يبخل بشيء على الناس مما علمه الله، بل يوصله إليهم من غير تبديل أو تنقيص.

و(ما) نافية، والضمير (هو) راجع إلى النبي ﷺ، وتقديم (على الغيب) للعناية، ولفظ الغيب أريد به آيات القرآن النازلة من غيب الله بالوحي، والتعريف للعهد، والباء في (بضنين) مزيدة للتأكيد، والضنين البخيل.

قال تعالى ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

أي: القرآن معصوم من أي مس من شياطين الجن، فهو وحي مصون ليس بتسويل من إبليس وجنوده ولا بإلقاء من بعض أشرار الجن، بل نزل به الروح الأمين الموصوف بالقوة والطاعة على قلب النبي ﷺ.

وتنكير لفظ الشيطان للعموم يراد به إبليس وذريته، والرجيم فعيل بمعنى المفعول، أي: المرجوم وهو المطرود الملعون.

قال تعالى ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

الفاء للتفريع على ما تقدم، والخطاب للعرب المشركين من أهل مكة، والاستفهام للإنكار والتوبيخ، أي: فبعد ما تقدم من تأكيد الوحي والرسالة أين تذهبون وأي طريق تسلكون وتتركون الحق وراءكم، فهو سؤال على سبيل تأكيد ضلالهم، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام: فأين تذهبون، وأنى تؤفكون، والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قال تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

الكلام نتيجة مستخلصة لتعريف القرآن، أي: وما القرآن إلا تذكرة للناس جميعهم، يتعظون بآياته، ويصلون به إلى توحيد ربهم.

قال تعالى ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾

الجملة بدل من قوله (للعالمين)، أي: القرآن تذكرة للذي استعد أن يتلبس بالاستقامة والثبات على اتباع الحق وطاعة الله، نظير قوله تعالى (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب) [يس: ١١].

وفعل المشيئة دال على مسؤولية الاختيار، وفعل الاستقامة استعارة لاتباع السبيل الموصل إلى الحق وهو عبادة التوحيد.

قال تعالى ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

لما ذكرت مشيئة المخاطبين في الاختيار جاءت الآية بأسلوب القصر لتؤكد أن هذه المشيئة في الاختيار ليست مستقلة عن إرادة الله أو معجزة له، فلو شاء الله لقهرهم على الإيمان، ولكنه تعالى اقتضت حكمته أن يكون الجزاء على الاختيار من غير قهر، والإتيان بلفظ الله وتعقيبه بصفة ربوبيته للعالمين لتعليل مشيئته سبحانه التي فوق كل مشيئة.

سورة الانفطار

مكية، وهي تسع عشرة آية

غرض السورة تأكيد حدوث يوم القيامة، لذلك عرفته بذكر بعض أشراطه الكونية في السماء والأرض، وفيها يومئذ يعلم الإنسان ما قدم وأخر من أعمال، فقد سجلها عليه الحفظة الكاتبون، ولأجل الأعمال والإثابة عليها قسم الناس نوعين بين أبرار مآلهم في نعيم، وبين فجار مصيرهم إلى جحيم، فالأمر يومئذ لله وحده لا يملكه أحد سواه، والسورة مكية يؤيد ذلك سياقها.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ ﴾

افتتحت السورة بنفس أسلوب سورة التكوير، غير أن ذكر العلامات المشروطة للقيامة والحشر أقل، وهي أربعة اثنان منها تتعلق بالسماء، وأخريان تتعلق بالأرض، وكلها مؤذنة بانتهاء العالم وزواله، كأنه شبه بدار فبدأ بتخريب سقفه ثم ثنى بتخريب بنائه وأرضه.

وانفطار السماء تصدع بنيانها وتشققه، وهو استعمال مجازي يراد به معنى اختلال نظامها إيذانا بانتهاء العالم الدنيوي، وزيادة الهمزة والنون في الفعل للمبالغة نظير قوله تعالى (والسماء منفطر به) [المزمل: ١٨]، ونحوه قوله (إذا السماء انشقت) [الانشقاق: ١].

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ ﴾

عطف انتثار الكواكب على انفطار السماء من عطف النتيجة على السبب، والانتثار مبالغة في التفرق والتشتت والسقوط، تشبيها بالكواكب السيارة المعلقة في السماء بانفراط حبات اللؤلؤ.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ ﴾

وهي العلامة الأرضية الأولى، والتفجير كما في المجمع: خرق بعض مواضع الماء إلى بعض على التكثير، ومنه الفجور لانخراق صاحبه بالخروج إلى كثير من الذنوب، ومنه الفجر لانفجاره بالضياء. انتهى. ومن استعمال الفعل قوله عليه السلام في نهج البلاغة: وبنا انفجرتم عن السرار. انتهى.

وتفجير البحار مصدر الفعل المضعف (فجر) مبالغة في علو مائها على يابسة الأرض، بارتفاع الحاجز بينها واختلاط أمواهها العذبة والمالحة، فتصير بحرا واحدا، وذلك يكون نتيجة تصدع الأرض وتزلزل طبقاتها.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ ﴾

وهي العلامة الثانية للأرض، وبعثرة القبور قلب عاليها سافلها، كناية عن إخراج الموتى للحشر، نظير قوله تعالى (وأخرجت الأرض أثقالها) [الزلزلة: ٢].

ويبدو أن الراء في لفظ البعثرة مزيدة لإفادة تكثير المعنى، قال الرازي: فاعلم أن بعثر وبحثر بمعنى واحد، ومركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة إليهما. انتهى.

قال تعالى ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ ﴾

الجملة جواب لـ (إذا) الشرطية، تتنازعها جملها، وعلم كل نفس بما قدمت من أعمال وأخرت يكون عند نشر الصحف يوم البعث، والآية في معنى قوله تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) [القيامة: ١٣].

ولا ريب في أن المراد بالتقديم والتأخير العمل، فإنه هو الذي يسبق الإنسان إلى آخرته فيثاب ويعاقب لأجله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، والتقديم تقديم كل عمل خير أو شر، والتأخير ما أخرته من سنة حسنة استن بها بعده، ويؤيد هذا المعنى ـ كما نقل في المجمع ـ ما جاء في الحديث: إن سائلا قام على عهد النبي ﷺ فسأل فسكت القوم، ثم إن رجلا أعطاه فأعطاه القوم، فقال النبي ﷺ: من استن خيرا فاستن به، فله أجره، ومثل أجور من اتبعه من غير منتقص من أجورهم، ومن استن شرا فاستن به، فعليه وزره ومثل أوزار من اتبعه، غير منتقص من أوزارهم، قال: فتلا حذيفة بن اليمان: (علمت نفس ما قدمت وأخرت). انتهى.

ويرى السيد الطباطبائي أن علم كل نفس هو العلم التفصيلي غير ما يحصل لها من العلم بنشر كتاب اعمالها، مستندا إلى ظاهر قوله تعالى (بل الإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره) [القيامة: ١٤- ١٥]، وقوله: (يوم يتذكر

الإنسان ما سعى) [النازعات: ٣٥]، وقوله: (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء) [آل عمران: ٣٠]. انتهى.

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ﴾

الخطاب لخصوص الإنسان المكذب بيوم الدين خطاب توبيخ وعتاب، والمعنى: أي شيء جعلك مغرورا مخدوعا بربك الكريم فتتمادى بالكفر به وعصيانه وتأمن عقابه، بوزان قوله تعالى (ولا يغرنكم بالله الغرور) [لقمان: ٣٣].

و(ما) استفهامية إنكارية، والغرور معناه: ظهور أمر يتوهم به جهلا الأمان من المحذور، والإتيان بصفة الربوبية مضافة إلى كاف الخطاب مع الوصف بلفظ الكريم لإفادة تعليل نهي اغترار الإنسان المنكر ليوم الدين وتسجيل الحجة عليه، فهو مربوب لمولاه الذي حقه أن يُطاع ويُعبد لا أن يعصى وتجحد نعمه، وألاّ يحمل كرم ربه في تأخير العقاب عنه بأنه مرضي عنده وأنه لا دار بعد دار الدنيا، وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تجعلن ذرب لسانك على من أنطقك، وبلاغة قولك على من سددك. وقال: كم مغرور بالستر عليه، ومستدرج بالإحسان إليه. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

وأما القول بأن الإتيان بصفة الكريم تلقين من الله لعبده بالمعذرة يوم القيامة فيجانبه سياق الوعيد للمخالفين المعاندين، وقيل: إنه لما تلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: قال غره جهله، ذكر في المجمع والدر. اه.

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ ﴾

جملة الموصول نعت ثان لـ (ربك) بعد وصفه بالكريم، وهي محققة للربوبية والكرم مبينة لها، لأن الإيجاد والتدبير من شؤونه تعالى وحده، فمن قدرة ألوهيته الخلق، ومن حسن إتقان تدبير ما خلق أن يوجده في أتم خلقة، في ترتيب أجزاء أعضائه سليمة قوية، بحيث يستوي الإنسان مخلوقا معتدلا سويا، وفي عدل بعضها ببعض، بحيث يبدو جانباه متناظرين، أو من العدل بمعنى تقوية عضو بعضو في الاحتياج والتكامل والتعادل.

والتسوية التساوي في الترتيب والاعتدال، مجاز في إتيان الشيء وفعله من دون زيادة أو نقصان، والفاءان تفريع بعد تفريع، لأن المعنيين حاصلان في وقت واحد، وإظهار ضمير الكاف المخاطب في الأفعال مرة بعد مرة لتقرير الامتنان.

قال تعالى ﴿ فِىٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾

الجملة بيان لقوله (عدلك)، وأصل الاستفهام بـ (أي) غالبا الكناية عن التعجيب لما وصل إليه كمال الشيء، و(في) للتلبس الظرفي، ولفظ الصورة الهيأة والشكل، و(ما) مزيدة للتأكيد، وفعل المشيئة محلها الصفة لـ (صورة)، والمشيئة للدلالة على كمال العلم بمصلحة المخلوق في تركيب صورته ذكرا أو أنثى دميما أو وسيما، أبيض أو أسود ونحو ذلك، والتركيب جمع الأجزاء

مركبة مضموم بعضها إلى بعض، والكلام في معنى قوله (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) [آل عمران: ٦].

ومحصل معنى الآية مع الآيتين قبلها محصل معنى قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) إلى قوله (فما يكذبك بعد بالدين) [التين: ٤- ٧].

قال تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ ﴾

كلا: حرف زجر وردع عن اغترار الإنسان بكرم ربه فيحمله ذلك على الكفر به، ومضمونه: لا تغتروا، و(بل) إضراب عما يفهم من اغترار الإنسان واعتذاره به، لتأكيد إنكارهم بيوم الدين والجزاء.

قال تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ ﴾

الجملة موقعها الحال المفيد للتعجيب من ضمير (تكذبون)، أي: تكذبون بالجزاء والحال إن عليكم من قبلنا ملائكة حافظين لأعمالكم ستحاسبون عليها.

ويفيد حرف الجر في (عليكم) المجاز الاستعلائي والتمكين، وتقديمه للاهتمام، واللام في (لحافظين) لام الخبر للتأكيد، والحافظ الراعي المراقب.

قال تعالى ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ ﴾

صفة ثانية وثالثة للملائكة الحافظين، وهم كرام لمنزلتهم عند ربهم وأنهم معصومون من الخطأ، حيث لا لذة لهم غير طاعة الله وإنفاذ إرادته قال تعالى

(بل عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، وإلى هذا المعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام في صفة الملائكة: ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره، قد ذاقوا حلاوة معرفته، وشربوا بالكأس الروية من محبته. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

وهم بعد كاتبون، لأنهم يسجلون على العبد كل شيء في سجل أعماله، وذلك أبلغ في المحاسبة يوم القيامة.

قال تعالى ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

أي: لا يخفى عليهم فعلكم، فهم مطلعون اضطرارا أو استدلالا على فعل العبد وقوله، ولا يخطئون في تشخيص الخير والشر من ذلك، وتمييز الحسنة من السيئة.

وفي الآيات الثلاث ثناء عظيم من الله على الملائكة الكاتبين، وفي تعظيمهم كما قيل: تعظيم لأمر الجزاء، ومن المعلوم من الآيات والأخبار أن الله وكل بكل عبد ملكين يسجلان عليه ما يفعل، وإن لم تذكر الآية عدتهم إلا أنهما ذكرا في قوله تعالى (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) [ق: ١٧]، وقال السيد ابن طاووس في معناهما: اعلم أن الله عز وجل وكل بكل إنسان ملكين، يكتبان عليه الخير والشر، ووردت الأخبار بأنه يأتيه ملكان بالنهار وملكان بالليل، وذلك قول الله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) لأنهم يتعاقبون ليلا ونهارا، وان ملكي النهار يأتيانه إذا انفجر الصبح فيكتبان ما يعمله إلى غروب الشمس، وفي رواية أنهما يأتيان المؤمن عند حضور

صلاة الفجر، فإذا هبطا صعد الملكان الموكلان بالليل، وإذا غربت الشمس نزل إليه الملكان الموكلان بكتابة الليل، ويصعد الملكان الكاتبان بالنهار بديوانه إلى الله، فلا يزال ذلك دأبهم إلى وقت حضور أجله، فإذا حضر أجله قالا للرجل الصالح: جزاك الله من صاحب عنا خيرا، فكم من عمل صالح أريتناه، وكم من قول حسن استمعناه، وكم من مجلس خيرا حضرتنا، فنحن اليوم على ما تحبه، وشفعاء إلى ربك، وإن كان عاصيا قالا له: جزاك الله من صاحب عنا شرا، فلقد كنت تؤذينا، فكم من عمل سيئ أريتناه، وكم قول سيئ استمعناه، ومن مجلس سوء أحضرتناه، ونحن لك اليوم على ما تكره، وشهيدان عند ربك. انتهى.

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾

الاستئناف المؤكد لبيان أحوال العاملين بعد ذكر الملائكة الحافظين، والأبرار جمع بار وهو فاعل البر والإحسان، و(في) للملابسة الظرفية، و(نعيم): مصدر استعمل مجازا، ويراد به الجنة من ذكر الحال وإرادة المحل، وتنكير اللفظ للتفخيم والتعظيم، أي: نعيم وأي نعيم، عرفه الصادق عليه السلام بقوله: النعيم المعرفة والمشاهدة، والجحيم ظلمات الشهوة. ذكره الرازي في تفسيره. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾

وهم القسيم النوعي للأبرار، ولفظ الفجار جمع فاجر، والفجور أصله الشق، وسمي به الفاجر لشقه ستر الدين، أو لانخراق صاحبه إلى كثير من الذنوب، والجحيم النار الملتهبة، وتنكيره للتهويل.

قال تعالى ﴿ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥ ﴾

الجملة موضعها الحال، والصلي شدة ملازمة نار الجحيم، و(يوم الدين) ظرف للصلي يراد به يوم الجزاء، الذي يدين به الإنسان على أعماله.

قال تعالى ﴿ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦ ﴾

الجملة حال بعد حال، مقررة لما قبلها، مؤكدة لخلودهم في الجحيم بحيث لا يفارقونها بحال، والهاء في (عنها) عائد إلى الجحيم كما في (يصلونها)، وتقديم شبه الجملة على عاملها للعناية ورعاية الفاصلة.

قال تعالى ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ﴾

نفي واستفهام لإفادة تفخيم يوم الجزاء، والخطاب لغير معين، وإظهار (يوم الدين) تعظيم بعد تعظيم، أي: لا يحيط عقلك بصفة يوم الدين وما يقع فيه من أهوال.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ ﴾

جملة تقرير لتعظيم يوم الدين بإعادة الجملة نفسها، ونفي الإدراء مشعر بتحقيقه، نقل عن ابن عباس قوله: كل ما في القرآن من قوله تعالى: (ما أدراك)، فقد أدراه، وكل ما فيه من قوله: (وما يدريك) فقد طوي عنه. انتهى.

قال تعالى ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾

قوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) الجملة الظرفية بيان إجمالي لحقيقة يوم الدين إثر إبهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق، والظرف متعلق بفعل محذوف تقديره: اذكر، ونفي الملك معناه على وجه الحقيقة نفي التخويل والتصرف بأي شيء، لأنه يوم انكشاف الحقائق، وتقطع الأسباب، وظهور الملك الحقيقي، فلا أحد يغني عن أحد شيئا، ولا أحد يملك من دون الله شيئا، ولهذا جيء بـ (لا) لمطلق النفي، وبلفظ النفس والشيء منكرة لإفادة الشمول.

قوله (والأمر يومئذ لله) أي: والأمر المعهود يومئذ وهو شأنه العظيم يملكه وحده سبحانه، لا أحد يملكه غيره، وهو نظير قوله (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) [غافر: ١٦]، وفي المجمع: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: إن الأمر يومئذ واليوم كله لله يا جابر، إذا كان يوم القيامة بادت الحكام، فلم يبق حاكم إلا الله. انتهى.

ولا يعني ذلك نفي الشفاعة من رأس يومئذ، لأنها تكون بأمره، لا يملكها أحد من دونه.

سورة المطففين

مكية، وهي ست وثلاثون آية

أكثر آيات السورة نزل في مكة، إلا أولها، وهي آيات التطفيف والوعيد على أهله بالويل فإن مكانها المدينة، ومن افتتاح السورة بالإنذار من نقص الكيل والميزان خلصت إلى ذكر المعاد وما يجري يومئذ على الفجار من عذاب، وما ينعم الأبرار من ثواب.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ﴾

كلمة (ويل) كما هو معروف تقال للدعاء على الغير بالهلاك، والمطففون فاعلو التطفيف، وهم الذين ينقصون المكيال والميزان بخفاء حين يبيعون الناس ما يرغبون مما يتعلق بالطعام من حبوب أو فاكهة ونحوها، وأصل اللفظ القلة، قال الشيخ الطبرسي: التطفيف: نقص المكيال والميزان، والطفيف: الشيء النزر القليل، مأخوذ من طفّ الشيء، وهو جانبه، وفي الحديث: كلكم بنو آدم طفّ الصاع، لم تملؤوه، فليس لأحد فضل إلا بالتقوى، وطفّ الصاع: قريب من ملئه، أي: بعضكم قريب من بعض، وإناء طفان إذا لم يكن ملآن. انتهى.

وإنما توعد الله المطففين بالويل، لأن المعاملات في البيع والشراء أهم ما يحتاجه الناس، ولهذا عظم الله أمره، قال تعالى (والسماء رفعها ووضع

الميزان، ألا تطغوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) [الرحمن: ٧-٨-٩]، ولما في شيوع هذا الفعل من مفسدة اجتماعية عظيمة توقع الظلم والفرقة بين أفراده، وذلك لفقدان الثقة فيما بينهم، فيؤدي إلى إضعاف وحدة المجتمع وتوهين تماسكه، وقد كان التطفيف أحد أهم المنهيات عن قوم شعيب قال تعالى (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين) [هود: ٨٥]، وربما كان ذلك أحد أسباب فرقة مجتمع يثرب قبل أن يصلها النبي ﷺ، فقد قيل في أسباب النزول: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا، فأنزل الله عز وجل: (ويل للمطففين)، فأحسنوا الكيل بعد ذلك. انتهى.

ومن طريف ما نقل في الكشاف أن أعرابيا قال لعبد الملك بن مروان: قد سمعت ما قال الله تعالى في المطففين، أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم في أخذ القليل، فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ الكثير، وتأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن. انتهى.

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ ﴾

جملة الموصول وصفية للمطففين مبينة لتطفيفهم، والاكتيال الأخذ بالمكيال، والمكيال آلة الكيل في البيع والشراء، وتعديته بـ (على) لتضمنه معنى الاستيلاء، فهو اكتيال مضر بهم، ومعنى الاستيفاء أخذ الشيء أخذا وافيا وافرا، فالسين والتاء مبالغة في الإيفاء، وكانوا يفعلون ذلك بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه، وإنما ذكر الاكتيال دون الاتزان وهما

واحد في البيع والشراء، لأن أكثرهم كانوا باعة يشترون من الناس حبوبهم ثم يبيعونها تدريجا، فإذا اشتروها راعوا أنفسهم، وإذا كالوها أو وزنوها للناس أي باعوها راعوا أنفسهم أيضا بأن نقصوا الكيل أو الوزن فذمهم الله على الحالين.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ ﴾

أي: وإذا باعوا للناس بالكيل أو الوزن نقصوهم حقهم، وأوقعوهم في الخسران، وفعل الكيل يمكن أن يتعدى بنفسه كما في الآية وهي لغة الحجازيين، أو يتعدى باللام فيقال: كالوا لهم، وكذا وزنوهم، والفعل (يخسرون) من الفعل الرباعي: أخسر، أي: أوقع عليه النقص فسبب له الخسران.

قال تعالى ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ ﴾

جملة استئناف لإفادة تشنيع فعل التطفيف والتعجيب من جرأتهم عليه، والاستفهام للإنكار والتوبيخ، والظن مستعمل في العلم أو بحقيقته، وصيغة المضارع لنفي الاستحضار، والإتيان بلفظ الإشارة دون الضمير لذمهم وبعدهم عن رحمة الله، ولجدارتهم بما يتصفون به من حكم، أي: أولئك المطففون، والمعنى: ألا يخطر أولئك المطففون في بالهم أنهم مبعوثون من قبورهم ليوم عظيم، فإن مجرد خطور معنى البعث في الذهن موجب للإقلاع عن هذا الفعل القبيح فكيف بمن أيقن، أو: ألا يعلم أولئك المطففون كذا، واللام

في (ليوم) لام العلة، وهو يوم القيامة، نكر للتهويل، وجعله غاية البعث على سبيل المجاز العقلي للمبالغة، لأنهم في الحقيقة مبعوثون إلى الله للوقوف بين يديه للحساب، ووصفه بالعظمة لشدة أهواله.

قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾

جملة بدل تفسير لـ (يوم)، وقيام الناس كناية عن بعثهم من قبورهم أحياء، وصيغة المضارع لاستحضار الحال، واللام في (لرب) بمعنى الغاية، أي: لأجل حكمه وقضائه، والإتيان بصفة ربوبية الله للعالمين لبيان علة قيام الناس، فهو مربوبهم ومالكهم، يردون إليه كما يرد العبد إلى مولاه.

قال تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ ﴾

كلا: حرف ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب، والاستئناف التحقيقي تعليل للردع، و(كتاب الفجار): سجل أعمالهم التي دوّن فيه الكتبة الحافظون ما اقترفوا من سيئات ومن جملتها التطفيف، وسموا فجار لانخراقهم إلى كثرة الذنوب، و(سجين) صيغة تشديد للحبس والتضييق، مثل سِكّير وشِرّيب، أي: محبوسون في حبس شديد خالد في قعر النار، واستفيد هذا المعنى باعتبار مقابلته بـ (عليين) في صفة الأبرار في قوله (إن كتاب الأبرار لفي عليين)، كأنه في معنى قوله تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين) [التين: ٥]، وقيل في معنى اللفظ أقوال كثيرة أقرب إلى التحكم، منها ما روي في تفسير القمي عن الباقر عليه السلام أنه قال: السجين الأرض السابعة وعليون

السماء السابعة. انتهى. وعلق عليها العلامة الطباطبائي فقال: الرواية لو صحت مبنية على انتساب الجنة والنار إلى جهتي العلو والسفل بنوع من العناية، ولذلك نظائر في الروايات كعد القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وعد وادي برهوت مكانا لجهنم. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ ﴾

جملة نفي الإدراء عن ماهية السجين لإفادة تهويل أمره، وأنه لا يقادر بصفة واصف.

قال تعالى ﴿ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾ ﴾

جملة بيان لـ (سجين) أي: هو كتاب مرقوم، أي مكتوب مقضي عليهم بقضاء حتمي واضح لا شبهة فيه، ولفظ المرقوم من الرقم وهو الخط الغليظ، ويراد به الإبانة والوضوح.

ومما نقل في الدر المنثور عن سعيد المسيب إنه قال: التقى سلمان وعبد الله بن سلام فقال أحدهما لصاحبه: إن مت قبلي فالقني فأخبرني بما صنع ربك بك، وإن أنا مت قبلك لقيتك فأخبرتك، فقال عبد الله: كيف يكون هذا؟ قال: نعم إن أرواح المؤمنين تكون في برزخ من الأرض، تذهب حيث شاءت، ونفس الكافر في سجين. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

تقرير الدعاء على الفجار بالويل والهلاك، فالظرف (يومئذ) متعلق بقوله (إن كتاب الفجار لفي سجين)، ووضع لفظ المكذبين موضع الفجار لتسجيل صفة ذم الكذب عليهم بعد صفة الفجور.

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ ﴾

جملة بيان وتفسير للمكذبين، وهم الكفار المنكرون للبعث والحساب.

قال تعالى ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ ﴾

الكلام أورد بطريق النفي والاستثناء لإفادة الحصر، وتضعيف فعل التكذيب لبيان شدة إصرار الكافرين على إنكار يوم الدين وتكذيب آياته، والهاء في (به) راجع إلى يوم الدين، والمعتدي الأثيم الباغي الكثير الإثم، الذي تلبست نفسه بالمعصية، وران على قلبه سوادها.

قال تعالى ﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ ﴾

الجملة موقعها الصفة للمكذبين بعد وصفهم بالاعتداء وكثرة الإثم، وهي إنكار النبوة، والتلاوة القراءة المتصلة، والضمير في (عليه) والفعل (قال) راجع إلى المعتدي الأثيم، ولفظ الآيات آيات القرآن، وإضافتها إلى نون العظمة لتعظيمها، ورفع (أساطير) أي: هي أساطير الأولين، راجعة إلى الآيات المتلوة التي سمعها، أي: خرافات الأمم البائدة، لأنه يقدح بها وينكر أن تكون من عند الله.

قال تعالى ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

كلا: حرف ردع عن قول المكذبين في الآيات بأنها أساطير الأولين، والجملة بعده تعليل للردع، أي: ليس إنكارهم لأنهم يرون الآيات أساطير الأولين، بل لأن الإثم ران على قلوبهم وغلب عليها فقسّاها ومنعها من أن تتأثر بأي عظة ومعجزة.

وأصل الرين الغلبة والتغطية، وذكر القلوب على عادة لغة العرب في تسمية النفوس والإدراكات الباطنية بذلك، والإبهام في اسم الموصول يراد به الإثم جيء به لإفادة علة الرين، بأنه بسبب استمرارهم على كسب الآثام واعتياد نفوسهم عليه، فحال دون إدراك الحق، جاء عن الرسول ﷺ: إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منه، وإن ازداد زادت، فذلك الرين الذي ذكره الله تعالى في كتابه (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون). ذكره النيسابوري في روضة الواعظين. انتهى.

قال تعالى ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

كلا: حرف ردع، أي: ارتدعوا عن كسب الذنوب التي ترين على قلوبكم، فتمنعها من التأثر بآيات الله، وتقديم (عن ربهم) للعناية، وضمير الجمع باعتبار المعنى في (كل)، كما أن الإفراد في (عليه وقال) باعتبار ظاهر لفظه.

و(يومئذ) أي يوم القيامة، والحجاب الحاجز الحائل، وكونهم محجوبين مجاز من سقوط منزلتهم وبعدهم من رحمة الله.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ١٦ ﴾

العطف بـ (ثم) للتراخي الرتبي، وصليهم الجحيم شدة ملازمتهم لنار الجحيم ومقاساتها.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧ ﴾

نائب الفاعل في (يقال) راجع إلى خزنة النار أو أهل الجنة، والقول يراد به إهانة الفجار المكذبين وتقريعهم، ولفظ الإشارة للقريب لعذاب الجحيم، الذي كانوا ينكرونه في الحياة الدنيا.

قال تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ١٨ ﴾

الكلام زجر عما كان عليه المؤمنون من التطفيف، نظير الزجر في قوله (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين)، والجمل تقابل التي قبلها في المعنى والمبنى.

والاستئناف التحقيقي لبيان محل كتاب الأبرار بعد بيان سوء حال الفجار، وكتابهم ما كتب فيه من أعمال، والأبرار جمع بار وهم المحسنون، و(في) للملابسة الظرفية، و(عليين) مبالغة في علو المقام في درجات الجنان، أي: علو على علو مضاعف محفوف بالجلالة.

قال تعالى ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ ﴾

جملة النفي والاستفهام لتعظيم منزلة الأبرار، التي لا يعرف قدرها أحد.

قال تعالى ﴿ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ ﴾

أي كتاب مكتوب لهم مرقوم مقضي قضاه الله لهم بكرامة المنزلة كرامة حتمية لازمة.

قال تعالى ﴿ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١ ﴾

أي: يشهد ذلك الكتاب المكتوب المقربون الذين قربوا إلى كرامة الله، وفي تعريف اللفظ دلالة على أنهم معروفون أعلى رتبة من غيرهم، نقل عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله عز وجل خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إلينا، لأنها خلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآية (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين، وما أدراك ما عليون، كتاب مرقوم، يشهده المقربون)، وخلق قلوب عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك، قلوبهم تهوى إليهم، لأنها خلقت مما خلقوا منه ثم تلا هذه الآية (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين، وما أدراك ما سجين، كتاب مرقوم، ويل يومئذ للمكذبين). ذكر في أصول الكافي. انتهى.

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ ﴾

جملة استئناف لبيان فضل الأبرار وعظم منزلتهم عند ربهم، و(في) للملابسة الظرفية، و(نعيم) مصدر في دلالته النعم الكثيرة، وتنكيره للتفخيم أي: نعم لا تحاط بوصف، واستعمل على سبيل المجاز المرسل، فقد أطلق الحال وأريد به المحل الذي تحل به النعم وهو الجنة.

قال تعالى ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

الجملة محلها الحال، لبيان تنعم الأبرار في الجنة، وتقديم شبه الجملة للعناية، و(على) مجاز للاستعلاء والاستقرار، ولفظ (الأرائك) مفرد أريكة، تطلق على الأسرة في الحجال وهي كالقبة عليها تزينها كما يزين سرير العروس، وفعل مضارع النظر للعيان يراد به النظر الحقيقي لمباهج الجنة ونعيمها، وفي حذف صلته معنى الإطلاق.

قال تعالى ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾

الخطاب لغير معين، وضمير جمع الغائبين عائد إلى الأبرار، أي: تتبين في وجوههم إشراق النعمة، والسرور بها، لأن التنعم بالنعم يظهر أثره في الوجوه، ولا يبعد أن تكون أل النعيم للعهد أي النعيم الموصوف في الجنة.

قال تعالى ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

فعل السقي للشراب، و(من) ابتدائية، والرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه، وتنكيره لنوعيته، ووصفه بأنه مختوم لنفاسته، تقرير لصفائه وأنه لم يخالطه شيء، والختم المنع.

قال تعالى ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ ﴾

قوله (ختامه مسك) الجملة صفة أخرى للرحيق، أي: الختم الذي يختم به رأس قارورة الرحيق من مسك، وليس من طين ونحوه كما في أختام الدنيا، وقيل: بل آخر ما يجد شاربه رائحة المسك، ولفظ المسك عطر طيب منبعث من شجر خاص به.

قوله (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أي: وفي ذلك الرحيق فليتنافس المتنافسون، جملة ترغيب في عمل الصالحات لتكون سبيلا إلى الإثابة بدخول الجنة وشراب الرحيق فيها، والتنافس تفاعل استعارة للتسابق على سبيل التغالب في الحصول على الشيء النفيس، ودخول الفاء على فعله لأن شبه الجملة المتقدمة عوملت معاملة الشرط لقوتها، وبين الفعل وفاعله محسن بديعي يسمى الجناس الاشتقاقي.

قال تعالى ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ ﴾

المزاج الشراب الذي يمزج بغيره ويخلط، والهاء فيه عائدة إلى الرحيق، و(من) بيانية دالة على أن التسنيم أصل الرحيق وأفضل منه، والتسنيم عين

في الجنة سماه الله وهي كما ذكر لفظ دال على العلو والارتفاع، ومنه سنام الإبل، ويقال: سنم الإناء أي: رفعه وملأه.

قال تعالى ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

نصب (عينا) على الاختصاص أو المدح، وتنكيرها للتفخيم، والباء في (بها) مزيدة أو بمعنى (من)، والفعل (يشرب) يتعدى بنفسه، والمقربون الأعلون منزلة وكرامة عند الله وهم أعلى رتبة من الأبرار بحسب سياق الآيات يشربون من العين صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة.

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

الاستئناف المؤكد لحكاية بعض مفاسد المشركين لتسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم، وعبر عن الكافرين بالإجرام لتسجيل الجرم عليهم في فعلهم المخبر عنه، وهو استهزاؤهم بالمستضعفين في دار الدنيا، لا لشيء إلا لأنهم مؤمنون.

ووضع صلة الإجرام موضع الكافرين للإشارة إلى أن فعلهم جرم يحاسبون عليه، كما أن الإتيان بصلة الإيمان لبيان علة ضحكهم واستهزائهم، وتقديم شبه الجملة (من الذين آمنوا) للعناية في تسجيل الشناعة على المجرمين، وفعل الضحك مجاز أريد به لازمه وهو الاستهزاء والاستخفاف، وصيغة المضارع دال على تكراره من المشركين.

وذكر في الكشاف والمجمع عن سبب نزول الآية أنها: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك أنه كان في نفر من المسلمين جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا إلى أصحابهم، فقالوا: رأينا اليوم الأصلع فضحكنا منه، فنزلت الآية قبل أن يصل علي وأصحابه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ ﴾

باعتبار العطف على (يضحكون) يكون ضمير الجمع الأول والثالث عائد إلى المجرمين، والثاني عائد إلى المؤمنين، ولا مانع من العكس، وفعل المرور العبور السريع من غير قصد، والتغامز تفاعل فيما بين المجرمين بالإشارة بالأعين على سبيل السخرية من المؤمنين حين يمرون بهم في طريقهم لقضاء حاجاتهم.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ ﴾

أي: المجرمون إذا رجعوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين فرحين مما فعلوا من السخرية بالمؤمنين، وفعل الانقلاب مجاز في الرجوع، ولفظ الأهل تطلق على خاصة البيت من الزوجة والأولاد، ونصب (فكهين) على الحال، وهو صفة مشبهة مثل: حذر.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ ﴾

فاعل الرؤية والقول للمجرمين، والقول منهم من جملة مفاسدهم، رجم بالغيب أرسلوه على سبيل التـأكيد مجازفة منهم فحكموا على المؤمنين بضلال طلبهم ومقصدهم، ولفظ الإشارة للقريب أريد به التحقير، والضلال المقصود منهم إضاعة الصواب وتخطئة طريق الحق في اتباع التوحيد على حد زعمهم.

قال تعالى ﴿ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣ ﴾

جملة حالية نفيد التهكم بالمجرمين، أي: قال المجرمون ذلك والحال إن الله لم يرسلهم على المؤمنين موكلين منه رقباء عليهم يحفظون عليهم أحوالهم، ويحكمون بضلالهم أو رشدهم، وتقديم (عليهم) للعناية.

قال تعالى ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ ﴾

الفاء للتفريع، وتعريف اليوم للعهد أي يوم الجزاء، وتعريف المؤمنين بجملة الموصول للعهد أيضا أي: المؤمنون الفقراء المحكي عنهم، وتقديم (من الكفار) ليحاذي التقديم فيما سبق تحقيقا للمقابلة، وصرح بتسميتهم بلفظ الكفار لأن ذلك أصلهم، وإنما جيء بصفة الإجرام فيما سبق لتشنيع فعل جديد منهم غير الكفر، وهو الاستهزاء، وضحك المؤمنين يومئذ، لأنهم يرون الكافرين أذلاء بعد العزة والكبر، رهقهم ألوان العذاب بعد التنعم والتفكه.

قال تعالى ﴿ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ ﴾

جملة حالية من فاعل (يضحكون)، أي: على الأرائك ناظرين إليهم وإلى بؤس حالهم.

قال تعالى ﴿ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

حرف الاستفهام بمعنى التقرير لإفادة التهكم بالمشركين زيادة في سرور المؤمنين، أي: قد ثوب الكفار ما كانوا يفعلون، والإثابة المجازاة على الفعل، أي: جوزي الكفار بما كانوا يفعلون في الدنيا، فكان ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم في الدنيا.

سورة الانشقاق

مكية، وهي خمس وعشرون آية

غرض السورة تأكيد قيام الساعة بذكر بعض علاماتها في اختلال النظام الدنيوي كانشقاق السماء ومد الأرض، وتذكّر الإنسان بأنه ساع إلى ربه فملاقيه لا محالة، فتحذره وتنذره من عواقب الحشر والحساب، وسياق الآيات يؤيد كونها مكية.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ ﴾

افتتحت السورة شأن سورة الانفطار بذكر علامات الساعة، وهو انشقاق السماء وتصدعها بانطماس كواكبها، وكما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام بانشقاقها من مجرتها، وانشقاق الشيء افتراقه طوليا، فهو كما في التبيان: افتراق امتداد عن التئام، فكل انشقاق افتراق، وليس كل افتراق انشقاقا. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢ ﴾

أي: وسمعت السماء وانقادت لأمر ربها في الانشقاق، وكان ذلك حقا واجبا عليها، وتعدية الفعل (أذن) باللام في (لربها) بمعنى: سمعت له، وأصغت إليه، مجاز في طاعتها وانقيادها لربها، وذكر الربوبية وإضافته إلى ضمير السماء لبيان علة اذنها، وهو أنه مالكها ومدبر امرها، وجملة (وحقت)

معترضة لبيان كمال القدرة في كمال طاعة السماء، أي: محقوقة في الطاعة والانقياد لربها.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ ﴾

مد الأرض كناية عن بسطها باندكاك جبالها وآكامها، بفعل شدة اضطراب حركتها وزلزلتها، حتى تصير كالصحيفة الملساء، فعن النبي ﷺ مسندا عن جابر قال: تمد الأرض يوم القيامة مد الأديم، ثم لا يكون لابن آدم منها إلاّ موضع قدميه. ذكره الحاكم في المستدرك. انتهى.

أقول: يعني الرسول ﷺ أنها تتسع أولا ثم تضيق بفعل الانفجارات فيها حتى لا يكون للإنسان منها إلا موضع قدميه، فالمد يوجب الإطالة بسبب كثرة تشققات طبقاتها وتفجرها إيذانا باختلالها وزوالها، فهي تمد كما يمد الجلد المدبوغ ويطال، لتسويته، ومثل هذا الاستعمال قول أمير المؤمنين عليه السلام المنقول في نهج البلاغة: كأني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ ﴾

أي: وألقت الأرض ما في جوفها من حمم وكنوز وموتى، وإنما يكون ذلك بفعل تفجر البراكين فيها نتيجة الاضطراب الشديد في طبقاتها، ولذلك أعقب الإلقاء المد، وفعل التخلي مبالغة في قوة الخلو مما فيها، أي: خلت، نظير قوله تعالى (وأخرجت الأرض أثقالها) [الزلزلة: ٢].

قال تعالى ﴿ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٥ ﴾

أي: وانقادت الأرض لأمر ربها وحق عليها ذلك الانقياد والطاعة، والآيات المتقدمة نزلت السماء والأرض منزلة من يعقل في الاستماع والاتباع، ولا يخلو الأمر من حقيقة تدبيرية، والله العالم.

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ ﴾

مدلول الآية يقع جوابا لأشراط (إذا) بتقدير: إذا تحققت انشقاق السماء ومد الأرض لاقى الإنسان ربه.

والنداء لعموم الإنسان لتحذيره، والكدح السعي الشديد للأمر، وتعدية فعله بـ (إلى) لتضمنه معنى السير، وشبه الجملة (إلى ربك) غاية كدح كل إنسان، وإضافة الرب إلى كافه لتعليل الإخبار، وإنما يكدح الإنسان في عمله ليصل به إلى ربه لما أنه مولاه فيثيبه عليه، فهو غايته الأخيرة وإليه المنتهى، والكلام دليل على المعاد.

ونصب (كدحا) على المفعولية المطلقة لتأكيد اسم فاعله، والفاء في (فملاقيه) لتفريع حتمية الملاقاة، والملاقاة مجاز من جزاء العمل، والهاء فيه عائدة إلى الرب في (ربك)، بمعنى: ملاق جزاء ربك، والتعبير بلقاء الله وارد كثيرا في آيات السور.

قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ ﴾

الفاء لتفريع أحوال الكادحين إلى ربهم ليرغب في سلوك سبيل الإيمان، و(أما) شرط وتفصيل، والكتاب صحيفة الأعمال، والهاء فيه عائدة إلى الإنسان، وفي الكلام التفات من الخطاب للغيبة لإفادة الإخبار، والباء في (بيمينه) للمصاحبة أو الملابسة، واليمين رمز تفاؤل العرب في لغتهم، جُعل أمارة السعداء لأهل الحشر.

قال تعالى ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾

جملة الجزاء، والحرف (سوف) لاستقبال الزمن، والحساب أصله العد، مستعمل مجازا في استقصاء السؤال عن الأعمال للمجازاة عليها، والحساب اليسير السهل الدال على التجاوز عن المؤاخذة مع معرفة الذنب، فهو حساب من دون مناقشة، فمن نوقش عذب، لأنه إن سئل عن سبب ارتكاب الذنب انقطعت حجته وأدخل النار، وعن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كل مُحاسَب مُعذَّب، فقال له قائل: يا رسول الله فأين قول الله عز وجل: (فسوف يحاسب حسابا يسيرا)، قال: ذلك العرض، يعني التصفح. نقل في معاني الأخبار للصدوق. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ ﴾

أي: ويرجع إلى الجنة مسرورا بفوزه بها حيث يجد ما أعده الله من حور وغلمان، وقيل: إن المراد بالأهل عشيرته المؤمنون ممن يدخل الجنة، ونصب (مسرورا) على الحال، وعن أمير المؤمنين عليه السلام في الاحتجاج قال:

والناس يومئذ على صفات ومنازل، فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا، ومنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، لأنهم لم يلبسوا من أمر الدنيا بشيء، وإنما الحساب هناك على من يلبس بها ههنا، ومنهم من يحاسب على النقير والقطمير، ويصير إلى عذاب السعير. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ ﴾

وهم الكافرون الأشقياء ومن على شاكلتهم، وهم النوع المقابل للمؤمنين، يعطون كتب أعمالهم من وراء ظهورهم علامة تمييز وإهانة لهم، ولأن اليمين مغلولة إلى العنق، ويساره خلف ظهره، ولا تنافي بينه وبين قوله تعالى (وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه) [الحاقة: ٢٥]، لأنه يحتمل الإتيان بشماله من وراء ظهره، أو أن بعضهم يؤتى الكتاب بشماله وبعضهم الآخر من وراء ظهورهم فإنهم يوم القيامة أحوال.

قال تعالى ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ ﴾

جملة الجزاء كناية عن المصيبة التي ستحل بمن أوتي كتابه من غير يمينه، لأن ذلك كما أسلفنا علامة الأشقياء، والداعي بالثبور هذا حاله، أي: يصرخ: واثبوراه، والثبور الهلاك، نصب على الحال، وأصله مأخوذ من المثابرة على الشيء والمواظبة عليه، فسمي هلاك الآخرة ثبورا، لأنه لازم لا يزول.

ويمكن أن يدعو الداعي بالثبور على نفسه حين إتيانه كتابه من غير يمينه لعلمه بوقوع العذاب عليه، كما يمكن أن يدعو الداخل في النار على نفسه

بذلك في قوله (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا) [الفرقان: ١٣]، فلا تنافي بينهما.

قال تعالى ﴿ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢ ﴾

أي: ويدخل نارا مستعرة لا يوصف عذابها، والصلي مقاساة النار وملازمتها، والسعير شدة التهاب النار، ونصب (سعيرا) على نزع الخافض، أصله: ويصلى بسعير.

قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣ ﴾

جملة تعليل لصلي السعير، وهو لأن هذا الإنسان الكافر كان في دنياه بطرا فرحا بلذائذها، فآثرها على آخرته وأنكر ما سواها من بعث وحساب، وتقديم (في أهله) للعناية بالمجرور، وهو من المجاز المرسل في ذكر الجزء وإرادة الكل، فقد جعل الاستمتاع بالأهل وأكثر ما يطلق على الزوجات مدار لذائذ الدنيا، والتعلق بعلائقها، معجبين بها مؤثريها على الآخرة، ونحوه قوله تعالى (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين) [المطففين: ٣١].

قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ ﴾

تتمة للتعليل، وهو إن سروره في أهله واستمتاعه في لذائذ الدنيا صرفه عن الايمان بالبعث والرجوع إلى الآخرة، وأن توغله في الذنوب لذلك حمله على استبعاد أمر المعاد والحساب، وفعل الظن هنا مستعمل في اليقين، و(أن)

مخففة من الثقيلة، واسمها وخبرها سد مسد مفعولي (ظن) أو أحدهما، والحور الرجوع، ومنه قولهم: كلمته فما حار جوابا، أي: لم يرد، وعن ابن عباس قال: ما كنت أدري ما معنى يحور، حتى سمعت إعرابية تقول لابنتها: حوري، أي: ارجعي.

قال تعالى ﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾

حرف الجواب (بلى) لرد الظن، أي: ليس الأمر كما تصور من أنه لن يحور، بل يحور ويرجع إلى حكم ربه، وجملة الاستئناف التحقيقي تعليل للرد، أي: ليحورن لأن ربه المالك لأمره عليم بأعماله محيط به، ومضي الكون دال على الثبات أي: كان ولم يزل، وتقديم المتعلق (به) للعناية، والهاء في (ربه) و(به) راجع إلى المخبر عنه وهو من أوتي كتابه من وراء ظهره، ولفظ البصير مجاز في كثرة العلم، وهو من أسماء الله العلى.

قال تعالى ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾

الفاء لتفريع القسم على ما سبق، والشفق حمرة الأفق المشوبة بالصفرة ثم البياض وقت غروب الشمس، سمي بذلك لرقته، ومنه الشفقة لرقة القلب، وقد أقسم الله به لما في ذلك من دلائل التدبير الربوبي، فبه علامة اختلاف الليل والنهار الناشئ من الحركة اليومية للأرض قبال ضوء الشمس، فالقسم في الحقيقة نوع ثناء وتعظيم لتدبير ملكه تعالى، وكذا سائر الأقسام.

قال تعالى ﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ ﴾

قسم بالليل تلا القسم بأوله وهو الشفق، دال على أن المراد به جوفه، حيث تسكن الأحياء المتحركة من الإنسان والحيوان، وتهدأ وتنام بعد حركة وتعب في النهار، فالقيد في قوله (وما وسق) قيد امتنان، لأن الوسق الجمع، أي: جمعهم للراحة والسكون ليتجدد فيهم النشاط وقت النهار، وهو نظير قوله تعالى (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) [يونس: ٦٧].

قال تعالى ﴿ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ ﴾

قسم ثالث، دال على عظيم تدبيره تعالى ومنّه، وهو القسم بالقمر وقت اكتماله بدرا في السماء، لما في ذلك من انتفاع لأهل الأرض، والاتساق افتعال من (وسق) مبالغة في الاجتماع والاكتمال.

قال تعالى ﴿ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩ ﴾

الجملة جواب الأقسام السابقة، وفعل الركوب استعارة بالكناية عن المشقة، تشبيها للحالة التي يمر بها الإنسان بالناقة التي لا تمتطى ولا تقاد إلا بمشقة وخطر، ذكر الفراء في المعاني: والعرب تقول: وقع في بنات طبق، إذا وقع في الأمر الشديد. انتهى.

وفي الآية ـ واتصالا بكدح الإنسان إلى ربه ـ يراد به الدور الذي يمر به الإنسان من مشاق مراحله المختلفة بدءا من دار النشأة فعالم البرزخ ثم دار

الآخرة حتى يلاقي جزاء ربه، وحرف التجاوز (عن) بمعنى بعد، مثل قوله تعالى (عما قليل ليصبحن نادمين) [المؤمنون: ٤٠]، أي: بعد قليل.

قال تعالى ﴿ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠ ﴾

الفاء للتفريع، والسؤال إنكاري لقريش على سبيل تقريعهم، ولهذا حصل الالتفات في الكلام من الخطاب إلى الغيبة من أجل تجاهلهم في الإخبار عن حالهم العجيبة بعد أن لم يأخذوا بالموعظة، أي: أي شيء يمنعهم من الإيمان بمحمد والقرآن بعد وضوح الدلائل.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ۝٢١ ﴾

جملة الشرط محلها النصب على الحال، متممة للحالة العجيبة لقريش في كونهم لا يؤمنون بالقرآن ولا يسجدون لله في حال سماعهم آياته الداعية على توحيده، وإنما جرى التعجيب من حال إصرار قريش على العناد لما في القرآن من كمال المعجزة والتأثير.

وحرف الجر (على) في (عليهم) دال على تمكن القراءة من مسامعهم فبلغتهم على أتم ما يكون، والقرآن يراد به بعض آياته المتلوة وليس جميعه، ونفي السجود كناية عن عدم تأثرهم به، وحذف صلة الفعل لأنها معلومة من السياق، أي: لا يسجدون لله.

قال تعالى ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ ﴾

الإضراب بـ (بل) بمعنى أن الذي منع الكافرين من الإيمان بالقرآن ليس ضعف البيان أو انقطاع البرهان، بل هو كفرهم المترسخ في نفوسهم من تقليد أسلافهم واتباع سننهم. والإتيان بالموصول وصلته لبيان علة تكذيبهم، وتضعيف فعل التكذيب للمبالغة، وصيغة مضارعه لدلالة استمرارهم على التكذيب.

قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

إخبار في مضمونه التهديد والوعيد للمكذبين، والتصريح بلفظ الله للقصر، أي: والله وحده أعلم بما يضمرون ويجمعون من كفر وشرك وحقد وحسد في صدورهم، ولفظ الإيعاء جعل الشيء في وعاء، استعارة للقلوب لأنه شبهها بالوعاء يجمع فيه ما يراد أن يخفى عن العيون، وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام لكميل: إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قال تعالى ﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

الفاء للتفريع على التكذيب، والجملة للتهكم بقريش، لأن البشارة لما يسر، وتنكير (عذاب) لتهويله، أي: عذاب مهول لا يوصف، ووصفه بالأليم مبالغة في المؤلم.

قال تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾ ﴾

استثناء منقطع من جملة المخاطبين من تبشيرهم بالعذاب الأليم، وهم الموصوفون بالإيمان العاملون به، فقد وعدهم ربهم بالأجر العظيم غير المنقطع، أو الأجر الخالي من المن والتنغيص.

سورة البروج

مكية وهي اثنتان وعشرون آية

غرض السورة تسلية النبي ﷺ، وتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان، وإن فتنهم الفاتنون من مشركي مكة، فعرضت لهم ذكر أصحاب الأخدود، وحديث الجنود، ووعدتهم الوعد الجميل بحسن الثواب، وتوعدت المكذبين الفاتنين بسوء العذاب، والسورة مكية بشهادة سياق آياتها.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ ﴾

افتتحت السورة بالقسم بالسماء ذات البروج بوصفها مظهرا من مظاهر القدرة الإلهية لصلتها بالغرض كما سيبين، أي: وأقسم بالسماء ذات الكواكب العالية الظاهرة، مثل قوله سبحانه (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) [الفرقان: ٦١]، فالبروج جمع برج، وأصله البناء العالي الظاهر للعيان، ومنه أبراج الجند على الثغور لمراقبة الأعداء عن بعد، ومنه قيل للقصور الفخمة العالية، ومنه الحصون المنيعة كقوله تعالى (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) [النساء: ٧٨]، وفُسِّرت البروج بالأفلاك السماوية المحدودة في علم النجوم باثني عشر برجا، ولا موجب لهذا الربط.

وأما جواب القسم فالذي يلوح من السياق أن قوله تعالى (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم) هو أولى أن يكون، وأن ما قبلها وهو قوله (قتل أصحاب الأخدود) اعتراضية، وليس جوابا للقسم.

قال تعالى ﴿ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ ﴾

قسم ثان باليوم الموعود، وهو يوم القيامة الذي وعد الله بتحقيقه على ألسنة أنبيائه، لإقامة العدل وإنصاف المظلومين، وإنما أقسم به لأنه من جلائل القدرة، وهو غاية الخلق، ومداره.

قال تعالى ﴿ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ ﴾

قسم ثالث، والشاهد الحاضر المعاين، وكذا المشهود أي اليوم المعاين فيه، وأقرب المعاني في تفسيرهما ما جاء في آيات القرآن العظيم بأن المراد بالشاهد النبي ﷺ الذي يشهد على أعمال أمته لقوله تعالى (إنا أرسلناك شاهدا) [الفتح: ٨]، وقوله (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) [النساء: ٤١]، وأن المشهود هو يوم القيامة، حيث يُحضر فيه الكفار الذين فتنوا المؤمنين بتعريضهم للعذاب، وتنكير اللفظين للتفخيم، قال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) [هود: ١٠٣].

ومن هنا بدا اتساق الأقسام بغرض السورة في تسلية النبي ﷺ والتشديد في دفاع الله تعالى عن المؤمنين، فذكر أولا كمال قدرته في خلق السماء ذات البروج وأقسم باليوم الموعود الذي ينتصف فيه الله للمؤمنين المظلومين من

ظالميهم، وأقسم بشاهد يشهد على أفعال الكفار، كما أقسم بيوم مشهود يحضره الخلائق كلهم لإخزاء الكافرين الذين يفتنون المؤمنين في دينهم.

وقد اختلفت الأقوال التفسيرية كثيرا للآية، وأكثرها منطلق من أخذ المعنى الظاهري للشهادة وهو تأديتها بالقول، وما ذكرنا هو الأقرب، والله سبحانه أعلم، روي في المجمع: أن رجلا دخل مسجد رسول الله ﷺ فإذا رجل يحدث عن رسول الله ﷺ قال: فسألته عن الشاهد والمشهود، فقال: نعم، الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة، فجزته إلى آخر يحدث عن رسول الله ﷺ، فسألته عن ذلك فقال: أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم النحر، فجزتهما إلى غلام كأن وجهه الدينار، وهو يحدث عن رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود فقال: نعم، أما الشاهد فمحمد، وأما المشهود فيوم القيامة، ما سمعت الله سبحانه يقول: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا)، وقال: (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود)، فسألت عن الأول فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثاني فقالوا: ابن عمرو، وسألت عن الثالث فقالوا: الحسن بن علي. انتهى.

قال تعالى ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ﴾

الجملة دعاء على أصحاب الأخدود باللعن والطرد من رحمة الله، وهم الكفار الجبارين فتنوا المؤمنين في دينهم، بأن خدوا أخدودا في الأرض، وأضرموا فيه النار، ثم أمروا المؤمنين بدخولها، فأحرقوهم جميعا، انتقاما من إيمانهم

بالله، والأخدود مفرد جمعه أخاديد، ومصدره الخد، وهو الشق المستطيل في الأرض.

واختلف في مكان أصحاب الأخدود فقيل الحبشة، وقيل اليمن، أو العجم، ولا يبعد أن تكون الحالة متعددة، ففي تفسير القمي ذكر في تفسير الآية: كان سببه أن الذي هيج الحبشة على غزوة اليمن ذو نواس وهو آخر من ملك من حمير تهود واجتمعت معه حمير على اليهودية، وسمى نفسه يوسف، وأقام على ذلك حينا من الدهر، ثم أخبر أن بنجران بقايا قوم على دين النصرانية، وكانوا على دين عيسى وحكم الإنجيل، ورأس ذلك الدين عبد الله بن بريا، فحمله أهل دينه على أن يسير إليهم ويحملهم على اليهودية، ويدخلهم فيها، فسار حتى قدم نجران، فجمع من كان بها على دين النصرانية، ثم عرض عليهم دين اليهودية، والدخول فيها، فأبوا عليه فجادلهم، وعرض عليهم، وحرص الحرص كله، فأبوا عليه وامتنعوا من اليهودية والدخول فيها واختاروا القتل، فاتخذ لهم أخدودا وجمع فيه الحطب وأشعل فيه النار، فمنهم من أحرق بالنار ومنهم من قتل بالسيف ومثّل بهم كل مُثلة، فبلغ عدد من قتل واحرق بالنار عشرين ألفا، وأفلت منهم رجل يدعى دوش ذو ثعلبان على فرس له ركضة، واتبعوه حتى أعجزهم في الرمل، ورجع ذو نواس إلى صنيعه في جنوده فقال الله: (قتل أصحاب الأخدود - إلى قوله العزيز الحميد). انتهى.

وفي الدر المنثور، قال: أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن نجى قال: شهدت عليا، وأتاه أسقف نجران، فسأله عن أصحاب الأخدود، فقص عليه القصة،

فقال علي أنا أعلم بهم منك، بعث نبي من الحبشة إلى قومه، ثم قرأ علي (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) فدعاهم فتابعه الناس فقاتلهم، فقتل أصحابه، واخذ فأوثق، فانفلت، فآنس إليه رجال، يقول: اجتمع إليه رجال فقاتلهم فقتلوا وأخذ فأوثق، فخدوا أخدودا في الأرض، وجعلوا فيه النيران، فجعلوا يعرضون الناس، فمن تبع النبي رمى به فيها، ومن تابعهم ترك، وجاءت امرأة في آخر من جاء معها صبي لها، فجزعت فقال الصبي: يا أمه اطمري ولا تماري فوقعت. انتهى.

وفيه: وأخرج عبد بن حميد عن علي بن أبي طالب قال: كان المجوس أهل كتاب وكانوا مستمسكين بكتابهم، وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناول منها ملك من ملوكهم، فغلبته على عقله، فتناول أخته أو ابنته، فوقع عليها، فلما ذهب عنه السكر ندم، وقال لها: ويحك ما هذا الذي أتيت؟ وما المخرج منه؟ قالت: المخرج منه أن تخطب الناس، فتقول: أيها الناس، إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات والبنات، فإذا ذهب ذا في الناس، وتناسوه خطبتهم فحرمته، فقام خطيبا، فقال: يا أيها الناس، إن الله أحل لكم نكاح الأخوات أو البنات، فقال الناس جماعتهم: معاذ الله، أن نؤمن بهذا أو نقر به أو جاءنا به نبي أو نزل علينا في كتاب، فرجع إلى صاحبته، فقال: ويحك إن الناس قد أبوا علي ذلك، قالت: إذا أبوا عليك ذلك، فابسط فيهم السوط، فبسط فيهم السوط، فأبوا أن يقروا، فرجع إليها، فقال: قد بسطت فيهم السوط، فأبوا ان يقروا، قالت: فجرد فيهم السيف، فجرد فيهم السيف، فأبوا أن يقروا، قالت: خدّ لهم الأخدود ثم أوقد فيه النيران، فمن تابعك فخل عنه، فخد لهم أخدودا، وأوقد فيه النيران

وعرض أهل مملكته على ذلك، فمن أبى قذفه في النار، ومن لم يأب خلى عنه فأنزل الله فيهم: (قتل أصحاب الأخدود - إلى قوله - ولهم عذاب الحريق). انتهى.

قال تعالى ﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ ﴾

بدل من الأخدود، وتوصيفها بأنها ذات الوقود لبيان أنه وقود معهود، عظيم، لأنه من أبدان المؤمنين، وليس من وقود آخر تسعر به النار.

قال تعالى ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ ﴾

جملة ظرفية في موقع الحال، أي: في حال من قعود الكافرين وإشرافهم على تلك النار في الأخدود، فضمير الفصل (هم) راجع إلى أصحاب الخدود الجبابرة، والهاء في (عليها) إلى النار، وحرف الاستعلاء لإشرافهم وقعودهم على أطرافها.

قال تعالى ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ ﴾

تكرار الضمير (هم) لزيادة التقرير، وتقديم شبه الجملة للعناية بذكر شناعة فعلهم في إحراق المؤمنين في الأخدود، ولفظ الشهود بمعنى الحضور، كأن الآية تريد بيان صفة قساوة قلوبهم وهو يرون المؤمنين محترقين، وروي: أن الجبابرة لما ألقوا المؤمنين في النار، وهم قعود حولها، علقت بهم النار،

فأحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها سالمين. ذكر في أسباب النزول للواحدي. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨ ﴾

النقم الكراهة الشديدة، أي: ما كرهوا من المؤمنين أو ما عابوا عليهم إلا إيمانهم بالله العزيز الحميد، فانتقموا منهم بالإحراق، نظير قوله تعالى (هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله) [المائدة: ٥٩].

وأسلوب الكلام بني بإتيان المدح بما يشبه الذم، فقد جيء بصفة ذم منفية، ثم أعقبها استثناء أوحى للسامع بنقض ما تقدمها ثم جيء بصفة مدح وهي إيمانهم بالله، وهو لا شك آكد في المدح، وهو مثل قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب

والإتيان بصفتي العزيز الحميد ثم توصيفه بما بعدها بملكه تعالى للسموات والأرض للإشعار بعلة إيمان المؤمنين وثباتهم عليه، وتبشيع فعل الكافرين، وفيه إشارة إلى أتباع النبي ﷺ القريبي العهد بالإيمان بوجوب التأسي بهؤلاء والصبر على الشدائد في جنب الله تعالى، ولفظ العزيز الغالب الذي يخشى عقابه، ولفظ الحميد المحمود الذي يرجى ثوابه.

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٩ ﴾

قوله (الذي له ملك السماوات والأرض) جملة الموصول محلها الصفة لله بعد وصفه بالعزيز الحميد، متممة لحجة ثبات المؤمنين على إيمانهم، وملك الله تعالى للسموات والأرض منشؤه من إيجادها وتدبير شؤونها.

قوله (والله على كل شيء شهيد) إظهار لفظ الجلالة في موضع إضماره، لإفادة استقلال الجملة وتسييرها مثلا راسخا في الأذهان، وفيه ما فيه من التهديد والوعيد للظالمين، وشهادة الله على كل شيء بمعنى إحاطته بها وكمال علمه بها، وفي إتيان (شهيد) محاذيا لما تقدمه من لفظ (شهود) تلويح للكافرين ليس بخاف.

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾

قوله (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم) الاستئناف التحقيقي في مضمونه الجواب للأقسام الماضية، والوعيد بمجازاتهم بأشد العذاب، وفي إطلاقه دلالة الشمول لأصحاب الأخدود وغيرهم كمشركي قريش.

ولفظ الفتنة بمعنى امتحان المؤمنين بتعريضهم للعذاب حتى يرجعوا عن إيمانهم، مأخوذ من افتتان الذهب بالنار كي يعرف معدنه، وقد كان مشركو مكة محنوا المؤمنين المستضعفين كي يرجعوا عن دينهم، ومنهم من ضعف ورجع، ومنهم من استشهد، ومنهم من تحمل وبقي حيا.

والقيد في عدم التوبة لهم في قوله (ثم لم يتوبوا) لأنهم لو تابوا لم يتوجه الكلام إليهم بالوعيد، ودخول الفاء على الجار والمجرور في (فلهم) لتنزيل الابتداء المؤكد بحرف النسخ منزلة الشرط، وذلك لقوته.

قوله (ولهم عذاب الحريق) أي: ولهم هذا المخصوص بهم وهو عذاب الحريق، قال الشيخ في مجمع البيان وهو قول حسن: يسأل فيقال: كيف فصل بين عذاب جهنم وعذاب الحريق وهما واحد؟ أجيب عن ذلك بان المراد: لهم أنواع العذاب في جهنم سوى الإحراق، مثل الزقوم والغسلين والمقامع، ولهم مع ذلك الإحراق بالنار. انتهى.

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١ ﴾

قوله (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) استئناف مؤكد لوعد المؤمنين الصابرين بالوعد الجميل وتطييب نفوسهم، بعد تأكيد وعيد الكافرين الفاتنين.

وتقديم (لهم) للعناية بتقديم الجار والمجرور، وتنكير (جنات) لتفخيم شأنها، وأنها لا تقادر بقدر، وجريان الأنهار من تحتها لبيان كثافة أشجارها، واعتدال مناخها، وجمال منظرها.

قوله (ذلك الفوز الكبير) لفظ الإشارة بالبعيد للإيذان بعلو الدرجة وبعد المنزلة في الفضل والشرف، والتذكير مع أن الجنات لفظ مؤنث لإرادة ما اتصفت

بها من أوصاف مذكورة، أي: ذلك المذكور في صفات الجنات هو الفوز الكبير، والفوز ظفر ونجاة، ووصفه بالكبير لما أن الفائزين المؤمنين عملوا وصبروا على أشد المحن ففازوا.

قال تعالى ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ ﴾

الجملة تقرير للوعيد السابق، والبطش الأخذ بعنف، وخطاب النبي ﷺ في (ربك) للإشارة إلى أن مشركي قريش وهم قومه ﷺ غير معفوين من شدة البطش، سوى ما فيه من تسلية لخاطره ﷺ، والكلام في الآية في معنى قوله تعالى (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) [هود: ١٠٢].

قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ ﴾

جملة تعليل لبطشه تعالى، أي: لأنه يخلق الخلق ثم يميتهم ثم يحييهم لتحقيق الجزاء يوم القيامة، فينتقم من الظالمين، فدل ذلك على أن إمهاله ليس للإهمال.

وضمير الهاء في (إنه) ضمير الشأن للتعظيم، وضمير الفصل (هو) للقصر، ولفظ الإبداء بمقابلة الإعادة يصرفه إلى معنى الإيجاد والخلق، والإعادة إعادة الحياة للموتى لغرض البعث والحساب.

قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ﴾

أي: وهو الله تعالى وحده الموصوفة ذاته بكثرة الغفران لمن عصاه والود لمن أطاعه، والجملة تشجع المؤمنين على الثبات على إيمانهم، وتؤكد غفرانه لهم، ولفظ الود معناه المحب، وهو مجاز من رضاه وقبوله تعالى لأعمال عبده المطيع له.

قال تعالى ﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ ﴾

صفتان لـ (ربك)، وذو العرش صفة لكمال ملكه فيما خلق وأوجد، ولفظ المجيد صفة لتعالي ذاته وجلالها، والصفتان دالتان على كمال ذاته وصفاته.

قال تعالى ﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦ ﴾

ارتفع (فعال) على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو، والصيغة مبالغة في كثرة الفعل، والفعل دال على كمال الإرادة، فلا يمتنع عليها لو شاءت شيء، ولا يمنع منها شيء، ولا يعترض على أفعاله معترض، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، فيدخل المؤمنين المفتونين الجنة، ويدخل الظالمين الفاتنين النار.

قال تعالى ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ ﴾

الكلام تقرير لمعنى بطشه تعالى وكونه فعالا لما يريد، والاستفهام لتشويق نفس النبي ﷺ في معرفة حديث الجنود، وتسليته عما يلقاه من أذى قومه الكافرين، والمراد تذكير النبي ﷺ وقومه المؤمنين بأن سنة المؤمنين مع

جميع الكفار واحدة جارية في مختلف الأزمنة، وهي المشقة والمعاناة في جانب الله، فاصطبر وصبر قومك، ولفظ الجنود جمع جند، وهم المؤتمرون بآمر عليهم، المتجندون على أنبياء الله ومحاربتهم.

قال تعالى ﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ ﴾

أي: فرعون وملئه، بدل من (الجنود)، واسم (ثمود) يراد به قوم ثمود، ونبيهم صالح، أدمج ذكره مع فرعون مع أنه سابق على فرعون وقومه لكونهم من العرب، وأرضهم قريبة منهم، وأخبارهم معروفة لديهم.

قال تعالى ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ ﴾

الحرف (بل) للإضراب عن الموعظة، أي: ليس كفر القوم متعلقا بقصور الوعظ أو قلة البيان، وإنما سنة الكافرين التكذيب للأنبياء، بسب تعصبهم لآبائهم وتقليدهم لهم في الكفر.

وحرف الجر (في) للملابسة الظرفية، والتكذيب مصدر الفعل المضعف للكذب مستعمل للمبالغة، وحذف صلته لإفادة إطلاقه، أي: تكذيب بكل ما يدعوهم إلى ترك عبادة الأسلاف من الشرك والكفر.

قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ ﴾

إخبار في مضمونه الوعيد بقرب هلاك المشركين، سلى الله به رسوله، والتصريح باسم الله للقصر والتعظيم، وتقديم الظرف للعناية، ولفظ الإحاطة

استعارة لكمال العلم والقدرة، لأن المحيط بالشيء متمكن منه، كما يحيط العسكر بالعدو.

قال تعالى ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ ﴾

تسلية أخرى لنفس النبي ﷺ، بأن الأمر ليس كما يدعون، بل هو قرآن عظيم موصوف بالمجد، ومن مجده أن أحكامه في إهلاك مشركي قومك ونصرك حتم مقضي لا يتغير ولا يتبدل.

قال تعالى ﴿ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢ ﴾

الجملة زيادة في تقرير مجد القرآن، وهو كونه مصونا في لوح عظيم محفوظ بعناية الله من مس الشياطين، ولا يطلع عليه سوى الملائكة المقربين، أو مصونا من التغيير والتبديل.

سورة الطارق

مكية وهي سبع عشرة آية

غرض السورة تأكيد البعث والحساب، فتذكّر الإنسان المنكر بمبدأ خلقه وتستدل عليه بمنتهاه إلى ربه، وبشواهد التدبير الربوبيّ في السماء ذات الرجع وبالأرض ذات الصدع، وتختتم السورة بوعيد الكافرين، وتأمر النبي ﷺ بإمهالهم، وألا يعجل بطلب هلاكهم، فإنهم مأخوذون لا محالة.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ ﴾

افتتحت السورة بالإقسام بالسماء للتنويه بعظم خلقها، شأن نظيراتها من السور المفتتحة بذلك، والقسم الثاني بالطارق كأنه تخصيص لعموم، فالطارق هو عموم النجم الذي يبدو لمعان نقطته في الليل، مأخوذ من الطرق وهو الدق، واتسع في استعماله للمطرقة، وللطريق لأن الماشي يطرقها بأقدامه، وللضيف القاصد في الليل لاحتياجه الطرق على الباب، ولكل الصور البادية للرائي ليلا، ومنها النجم في السماء.

قال تعالى ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ﴾

نفي الإدراء عن ماهية الطارق لتفخيم معناه وأنه فوق أن يوصف، لأنه من ضمن خلق الله العجيب، وهذه الصيغة من أساليب القرآن ومبتكراته في إفادة نهاية التعجيب بالشيء.

قال تعالى ﴿ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ٣ ﴾

جواب السؤال عن ماهية الطارق، نشأ منه بتقدير: فأي شيء هو؟ فأجيب: النجم الثاقب، أي هو النجم الذي يخرق بضوئه الليل، والثقب استعارة مكنية تشبيها لظلام الليل بثوب يثقب أو يخرق لشدة نفاذ ضياء النجم.

وقيل: إن المراد به نجم بعينه، مرتفع على النجوم، والعرب تقول للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعا: قد ثقب.

قال تعالى ﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ٤ ﴾

الجملة جواب القسم، تعظيم لمعناه، و(إن) بمعنى النفي، و(لما) بمعنى: إلا، والمعنى: ما من نفس إلا عليها حافظ، والحافظ هو الملك الرقيب الذي يحصي على الإنسان أعماله ويسجلها عليه في كتاب أعماله، ونظير هذا المعنى تكرر كثيرا في القرآن نحو قوله تعالى (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين) [الانفطار: ١٠ـ ١١]، وقوله (ويرسل عليكم حفظة) [الأنعام: ٦١]، وقوله تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه) [الرعد: ١١].

قال تعالى ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ ﴾

الفاء للتفريع على كون النفس محفوظة بحفظ الله، والأمر بالنظر يراد به النظر التدبري الاعتباري، وتعريف الإنسان يراد به خصوص الإنسان المنكر للمعاد والبعث والحساب، و(مم) مكونة من حرف الجر (من) دخل على (ما) الاستفهامية، والمعنى: فليتدبر وينظر من أي شيء بدأه الله وأوجده، حتى يتيقن بأن القادر على الابتداء قادر على الإعادة، وهو من القياس المنطقي، وطي ذكر الفاعل في (خلق) لظهور أمره، وهو الله سبحانه.

قال تعالى ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ ﴾

الجملة جواب استفهام ناشئ عن قوله (مم خلق) بتقدير: فمن أي شيء خلق؟ فأجيب: خلق من ماء دافق، و(من) ابتدائية، ولفظ الماء يراد به النطفة التي تتخلق بتلقيح البيضة، وتنكيره للقلة والتحقير، والدفق صب فيه دفع وسرعة، وهو وصف استعمل على سبيل المجاز العقلي بمعنى المفعول، أي: المدفوق، ونحوه قوله (في عيشة راضية) [الحاقة: ٢١، القارعة: ٧].

قال تعالى ﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾

الجملة محلها الوصف للماء، و(من) ابتدائية، وفعل الخروج مستعمل لبدء تنقل الماء من بين الصلب والترائب، فمن اختلاط الماءين يتخلق الولد، أي: من بين ظهر الرجل وترائب المرأة، فإن استعمال الصلب يرد دائما للرجال، والترائب جمع تريبة أكثر استعماله للمرأة، ولذا قالوا في تعيينه: عظام الصدر، وموضع قلادة المرأة، ومنه قول النابغة:

ترائب يستضيء الحلي فيها   كجمر النار بُذِّرَ بالظلام

قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨ ﴾

الضمير في (إنه) لله، مع أن حقه الإظهار محاذاة للضمير في (خلق)، وتقديم الظرف للعناية، والرجع الإعادة استعارة للإحياء بعد الإماتة، والهاء فيها راجعة إلى الإنسان، والقدرة كما قال الراغب: إذا وصف الله تعالى بها فهي نفي العجز عنه، ومحال أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة معنى وإن أطلق عليه لفظا. انتهى.

ومحصل المعنى: إن الذي خلق الإنسان من ماء دافق لا قيمة له قادر على إعادته حيا بعد موته، لأن القدرة واحدة.

قال تعالى ﴿ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩ ﴾

الجملة ظرف للرجع، كناية عن يوم القيامة، حيث تمتحن القلوب وتختبر وتحاسب على ما أخفت من أعمال، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

وفعل البلاء معناه الاختبار، وذلك بأن تعرض الأعمال في الصحف ويميز خيرها من شرها ليجازى عليها، والسرائر جمع سريرة، وهي ما أسر الإنسان في نفسه من عقائد ونيات، وأخفى من أعمال، والكلام في معنى قوله تعالى (إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) [البقرة: ٢٨٤].

قال تعالى ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ١٠ ﴾

الفاء لتفريع عجز الإنسان في ذلك اليوم، و(ما) نافية، وتقديم (له) للعناية، و(من) مزيدة لتقوية نفي العموم، والمعنى: لا قوة له من نفسه يدفع بها العذاب يومئذ، ولا ناصر ينتصر به، فهو ضعيف عاجز.

قال تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ ﴾

إقسام بالسماء، والقيد بمعنى ذات المطر، والعرب تسميه رجعا على سبيل التفاؤل برجوعه إلى الأرض، وسموه أوبا لأن الله يرجعه.

قال تعالى ﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ ﴾

قسم ثان، متصل بما سبقه، ووصفها بذات الصدع، كناية عن إنبات النبات، لأن صدعها بتشققها لإخراج النبات، والإقسام بالسماء والأرض بهذه الصفة لبيان أنهما في أنفسهما شواهد على صحة البعث الذي تنطق به آيات القرآن.

قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ ﴾

الجملة جواب القسم، والضمير في (إنه) للقرآن، وهو قول لأنه كلام الله أنزله بالوحي على نبيه ﷺ، ووصفه بالمصدر (فصل) على سبيل المبالغة في التمييز بين الحق والباطل، وتنكير اللفظين للتعظيم.

قال تعالى ﴿ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤ ﴾

أي هو الجد كل الجد، وما هو باللعب، لأنه نازل من الحق، والباء المقترن بالهزل زائدة لتأكيد النفي، والهزل نقيض الجد.

قال تعالى ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ ﴾

الإخبار عن كفار قريش، والكيد الاحتيال للإيقاع بالنبي ﷺ، وإبطال أمره، وأشكاله كثيرة مرة بإلقاء الشبهات، ومرة بالطعن بالنبوة والافتراء عليه، ومرة ثالثة بقصد القضاء على النبي ﷺ وقتله، وصيغة المضارع للاستمرار، ونصب (كيدا) على المفعولية المطلقة لتأكيد الكيد.

قال تعالى ﴿ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ ﴾

جملة موقعها الحال، وكيد الله مجاز من إمهال المشركين واستدراجهم إلى هلاكهم من حيث يعتقدون منجاتهم.

قال تعالى ﴿ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾ ﴾

قوله (فمهل الكافرين) الفاء لتفريع النتيجة على السبب، والأمر في الإمهال للنبي ﷺ، أي: لا تتعجل بطلب إنزال العذاب في الكافرين، وإظهار لفظ الكافرين في موضع إضماره لإفادة علة الإمهال، وهو أنهم لكفرهم تولى الله كيدهم وتكفل برده.

قوله (أمهلهم رويدا) جملة بدل من التي سبقتها، لزيادة التقرير في إمهال الكافرين، ولم يعد أمر الإمهال، لكراهة التكرار ولإفادة التأكيد، وعلى حد

قول الشيخ الطبرسي: فلما تجشم إعادة اللفظ انحرف عنه بعض الانحراف بتغييره المثال، وانتقل عن لفظ فعل إلى لفظ أفعل، فقال: (أمهلهم)، ولما تجشم التثليث جاء بالمعنى، وترك اللفظ البتة، فقال: (رويد). ذكر في المجمع. انتهى.

ونصب (رويدا) نعت لمصدر محذوف تقدير: أمهلهم إمهالا قريبا، لأن ما هو كائن آت قريب لا محالة، ولفظ (رويدا) تصغير رود، وهو التمهل، وذكر أن له استعمالين: الأول بمعنى: اسم فعل أي: تمهل، والثاني: بمعنى الحال.

المحتويات

تفسير سورة نوح ١-١٩

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ ﴾ ١-٢

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ ﴾ ٢

﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ ﴾ ٢-٣

﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا ...٤ ﴾ ٣-٤

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ ﴾ ٤

﴿ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ ﴾ ٥-٦

﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ...٧ ﴾.......... ٦-٧

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ﴾ ٧

﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ ﴾ ٧-٨

﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ ﴾ ٨

﴿ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ ﴾ ٨

﴿ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ ﴾ ٩-١٠

﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ ﴾ ١٠

﴿ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ ﴾ ١٠-١١

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ﴾ ١١

﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ ١٢-١١

﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ﴾ ١٣

﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ ١٣

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ ﴾ ١٣

﴿ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ ١٤

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ ﴾ ١٤

﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ ﴾ ١٥

﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ ...﴿٢٣﴾ ﴾ ١٦-١٥

﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ ١٦

﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾ ١٧

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ ١٨-١٧

﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ ١٩-١٨

﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۖ ...﴿٢٨﴾ ﴾ ١٩

تفسير سورة الجن ٣٨-٢٠

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ ﴾ ٢٢-٢٠

﴿ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ ﴾ ٢٢

﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣ ﴾ ٢٢-٢٤

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ٤ ﴾ ٢٤

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ٥ ﴾ ٢٤

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦ ﴾ ٢٤-٢٥

﴿ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ٧ ﴾ ٢٥-٢٦

﴿ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ٨ ﴾ ٢٦-٢٧

﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ٩ ﴾ ٢٧

﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠ ﴾ ٢٧-٢٨

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ١١ ﴾ ٢٨

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ١٢ ﴾ ٢٨-٢٩

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا ...١٣ ﴾ ٢٩

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ ...١٤ ﴾ ٢٩-٣٠

﴿ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ١٥ ﴾ ٣٠

﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ ﴾ ٣٠-٣١

﴿ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ١٧ ﴾ ٣١

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ ٣١-٣٢

﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ ٣٢

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ ٣٣

﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ ﴾ ٣٣

﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ ٣٣-٣٤

﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ ...﴿٢٣﴾ ﴾ ... ٣٤

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ ٣٥

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ ﴾ ٣٥

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ ٣٥-٣٦

﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ ...﴿٢٧﴾ ﴾ ٣٦-٣٧

﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ ...﴿٢٨﴾ ﴾ ٣٧-٣٨

تفسير سورة المزمل ٣٩-٥٣

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾ ٣٩

﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ ٣٩-٤٠

﴿ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ ﴾ ٤٠

﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ ٤٠-٤١

﴿ إِنَّا سَنُلۡقِى عَلَيۡكَ قَوۡلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾ ٤١-٤٢

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِىَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ ﴾ ٤٢

﴿ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا ۝٧ ﴾ ٤٢-٤٣

﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ۝٨ ﴾ ٤٣

﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلًا ۝٩ ﴾ ٤٣-٤٤

﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلًا ۝١٠ ﴾ ٤٤

﴿ وَذَرۡنِى وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِى ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ۝١١ ﴾ ٤٤-٤٥

﴿ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ ﴾ ٤٥

﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣ ﴾ ٤٥-٤٦

﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤ ﴾ ٤٦

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولًا ۝١٥ ﴾ ٤٦-٤٧

﴿ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذًا وَبِيلًا ۝١٦ ﴾ ٤٧-٤٨

﴿ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمًا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ﴾ ٤٨

﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ۝١٨ ﴾ ٤٨-٤٩

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩ ﴾ ٤٩

﴿ * إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ ..﴿٢٠﴾ ﴾ ٤٩-٥٣

تفسير سورة المدثر ٥٤-٧٤

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾ ٥٤

﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ ﴾ ٥٤-٥٥

﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ ﴾ ٥٥

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ ﴾ ٥٥-٥٦

﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴿٥﴾ ﴾ ٥٦

﴿ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴿٦﴾ ﴾ ٥٦

﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴿٧﴾ ﴾ ٥٧

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ ﴾ ٥٧

﴿ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ ﴾ ٥٧

﴿ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ﴿١٠﴾ ﴾ ٥٧

﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ ﴾ ٥٨

﴿ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ ﴾ ٥٨-٥٩

﴿ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ ﴾ ٥٩

﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴿١٤﴾ ﴾ ٥٩

﴿ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ ﴾ ٥٩-٦٠

﴿ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ﴿١٦﴾ ﴾ ٦٠

﴿ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ ﴾ ٦٠

﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ ﴾ ٦٠-٦١

﴿ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ﴾ ٦١

﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ﴾ ٦١

﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ﴾ ٦١

﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ٦٢

﴿ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ٦٢

﴿ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾ ٦٢

﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ ٦٢-٦٣

﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ ٦٣

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ ﴾ ٦٣

﴿ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ ٦٤

﴿ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩ ﴾ ٦٤

﴿ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠ ﴾ ٦٤

﴿ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ ... ٣١ ﴾ ٦٥-٦٧

﴿ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ٣٢ ﴾ ٦٧-٦٨

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣ ﴾ ٦٨

﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤ ﴾ ٦٨

﴿ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ٣٥ ﴾ ٦٨

﴿ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ٣٦ ﴾ ٦٨-٦٩

﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ٣٧ ﴾ ٦٩

﴿ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ ﴾ ٦٩

﴿ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩ ﴾ ٦٩-٧٠

﴿ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ ﴾ ٧٠

﴿ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١ ﴾ ٧٠

﴿ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ ﴾ ٧٠

﴿ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ ﴾ ٧٠

﴿ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ ٧٠-٧١

﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ٧١

﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ ﴾ ٧١

﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ ٧١

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ ٧١-٧٢

﴿ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ ٧٢

﴿ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ ٧٢

﴿ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴿٥١﴾ ﴾ ٧٢-٧٣

﴿ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴿٥٢﴾ ﴾ ٧٣

﴿ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٥٣﴾ ﴾ ٧٣

﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ ﴾ ٧٣

﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ ﴾ ٧٤

﴿ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾ ٧٤

تفسير سورة القيامة ٧٥-٩٢

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ ﴾ ٧٥

﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢ ﴾ ٧٥-٧٦

﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ ﴾ ٧٦

﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤ ﴾ ٧٦-٧٧

﴿ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ٥ ﴾ ٧٧-٧٨

﴿ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ٦ ﴾ ٧٨

﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ٧ ﴾ ٧٨

﴿ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ٨ ﴾ ٧٨

﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ٩ ﴾ ٧٩

﴿ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ١٠ ﴾ ٧٩

﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ١١ ﴾ ٧٩

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ١٢ ﴾ ٨٠

﴿ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣ ﴾ ٨٠

﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤ ﴾ ٨١

﴿ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥ ﴾ .... ٨١ - ٨٢

﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ ﴾ ٨٢-٨٣

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ ٨٣

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ ٨٣-٨٤

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ ٨٤

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ ﴾ ٨٤

﴿ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾ ٨٤-٨٥

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ ٨٥

﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ٨٥-٨٦

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ ٨٦

﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ ٨٦

﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ ﴾ ٨٦-٨٧

﴿ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ ٨٧

﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ ﴾ ٨٧-٨٨

﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ٨٨

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾ ٨٨-٨٩

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ ﴾ ٨٩

﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ ٨٩

﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ ﴾ ٨٩-٩٠

﴿ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾ ٩٠

﴿ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ﴾ ٩٠

﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ ٩٠-٩١

﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ ٩١

﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ ٩١-٩٢

﴿ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ ٩٢

﴿ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ ٩٢

تفسير سورة الإنسان ٩٣-١١٢

﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾ ﴾ ٩٣-٩٤

﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ ٩٤-٩٥

﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ ٩٥-٩٦

﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ ٩٦

﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ ﴾ ٩٦-٩٧

﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦ ﴾ ٩٧-٩٨

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ ﴾ ٩٨-٩٩

﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ ﴾ ٩٩

﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ ﴾ ٩٩-١٠١

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠ ﴾ ١٠١

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ ﴾ ١٠١

﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢ ﴾ ١٠١

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ١٣ ﴾ ١٠٢

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ١٤ ﴾ ١٠٢

﴿ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ١٥ ﴾ ١٠٢-١٠٣

﴿ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ١٦ ﴾ ١٠٣

﴿ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧ ﴾ ١٠٤

﴿ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ١٨ ﴾ ١٠٤

﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩ ﴾ ١٠٤

﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ٢٠ ﴾ ١٠٤-١٠٥

﴿ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ ... ﴿٢١﴾ ﴾ ١٠٦-١٠٥

﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ ١٠٦

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ ١٠٧-١٠٦

﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ ١٠٨-١٠٧

﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ ١٠٨

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾ ١٠٩-١٠٨

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ ١٠٩

﴿ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ ... ١١٠-١٠٩

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ ١١٠

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ ﴾ ... ١١١-١١٠

﴿ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾ ﴾ ١١٢-١١١

تفسير سورة المرسلات ١٣٠-١١٣

﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ ﴾ ١١٤

﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ ﴾ ١١٥

﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾ ١١٥

﴿ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ ﴾ ١١٥-١١٦

﴿ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ ﴾ ١١٦

﴿ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ ﴾ ١١٦

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧ ﴾ ١١٦-١١٧

﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ٨ ﴾ ١١٧-١١٨

﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ٩ ﴾ ١١٨

﴿ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ١٠ ﴾ ١١٨

﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ١١ ﴾ ١١٩

﴿ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ ﴾ ١١٩

﴿ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ ﴾ ١١٩-١٢٠

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤ ﴾ ١٢٠

﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥ ﴾ ١٢٠-١٢١

﴿ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦ ﴾ ١٢١

﴿ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧ ﴾ ١٢١

﴿ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨ ﴾ ١٢١-١٢٢

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ ١٢٢

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ ١٢٢

﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ ١٢٢-١٢٣

﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ ١٢٣

﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ١٢٣

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ١٢٣

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ ﴾ ١٢٣-١٢٤

﴿ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ ﴾ ١٢٤

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ ﴾ ١٢٤

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ ١٢٥

﴿ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ١٢٥

﴿ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ ١٢٥

﴿ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ ﴾ ١٢٥-١٢٦

﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ ﴾ ١٢٦

﴿ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ ١٢٦

﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٤ ﴾ ١٢٦

﴿ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥ ﴾ ١٢٦-١٢٧

﴿ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ٣٦ ﴾ ١٢٧

﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٧ ﴾ ١٢٧

﴿ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ ﴾ ١٢٧

﴿ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩ ﴾ ١٢٧-١٢٨

﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠ ﴾ ١٢٨

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ ﴾ ١٢٨

﴿ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢ ﴾ ١٢٨

﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣ ﴾ ١٢٩

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٤٤ ﴾ ١٢٩

﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٥ ﴾ ١٢٩

﴿ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ٤٦ ﴾ ١٢٩-١٣٠

﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٧ ﴾ ١٣٠

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨ ﴾ ١٣٠

﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ ١٣٠

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثِۢ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ ١٣٠

تفسير سورة النبأ ١٣١-١٥١

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ ﴾ ١٣١-١٣٢

﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ ١٣٢

﴿ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ﴿٣﴾ ﴾ ١٣٢-١٣٣

﴿ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ ١٣٣

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ ١٣٣

﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ﴿٦﴾ ﴾ ١٣٣-١٣٤

﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ﴿٧﴾ ﴾ ١٣٤-١٣٥

﴿ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴿٨﴾ ﴾ ١٣٥

﴿ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ﴿٩﴾ ﴾ ١٣٥

﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴿١٠﴾ ﴾ ١٣٥-١٣٦

﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾ ﴾ ١٣٦

﴿ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴿١٢﴾ ﴾ ١٣٦

﴿ وَجَعَلۡنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ١٣ ﴾ ١٣٦

﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ١٤ ﴾ ١٣٧

﴿ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ١٥ ﴾ ١٣٧

﴿ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦ ﴾ ١٣٨-١٣٧

﴿ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتًا ١٧ ﴾ ١٣٨

﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجًا ١٨ ﴾ ١٤٠-١٣٨

﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبًا ١٩ ﴾ ١٤٠

﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠ ﴾ ١٤١-١٤٠

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادًا ٢١ ﴾ ١٤١

﴿ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ٢٢ ﴾ ١٤١

﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا ٢٣ ﴾ ١٤٢-١٤١

﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدًا وَلَا شَرَابًا ٢٤ ﴾ ١٤٢

﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ٢٥ ﴾ ١٤٢

﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ٢٦ ﴾ ١٤٣-١٤٢

﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابًا ٢٧ ﴾ ١٤٣

﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ ١٤٣-١٤٤

﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ ١٤٤

﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ ١٤٤-١٤٥

﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ﴾ ١٤٥

﴿ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ ١٤٥

﴿ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ ١٤٦

﴿ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴿٣٤﴾ ﴾ ١٤٦

﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ ١٤٦-١٤٧

﴿ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ ١٤٧

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ ١٤٧-١٤٨

﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ...﴿٣٨﴾ ﴾ ... ١٤٨-١٤٩

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ ﴾ ١٥٠

﴿ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ...﴿٤٠﴾ ﴾ ١٥٠-١٥١

تفسير سورة النازعات ١٥٢-١٦٦

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾ ﴾ ١٥٢-١٥٤

﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ ﴾ ١٥٢-١٥٤

﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ ﴾ ١٥٢-١٥٤

﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ ﴾ ١٥٢-١٥٤

﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ ﴾ ١٥٢-١٥٤

﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ ﴾ ١٥٤

﴿ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ ﴾ ١٥٤-١٥٥

﴿ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ ﴾ ١٥٥

أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩ ﴾ ١٥٥

﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ ﴾ ١٥٥-١٥٦

﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١ ﴾ ١٥٦

﴿ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢ ﴾ ١٥٦-١٥٧

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ ﴾ ١٥٧

﴿ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤ ﴾ ١٥٧-١٥٨

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ ﴾ ١٥٨

﴿ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٦ ﴾ ١٥٨-١٥٩

﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ ﴾ ١٥٩

﴿ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ ﴾ ١٥٩-١٦٠

﴿ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩ ﴾ ١٦٠

﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠ ﴾ ١٦٠-١٦١

﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ﴾ ١٦١

﴿ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢ ﴾ ١٦١

﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ ﴾ ١٦١-١٦٢

﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ ﴾ ١٦٢

﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥ ﴾ ١٦٢

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ٢٦ ﴾ ١٦٢-١٦٣

﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ ﴾ ١٦٣

﴿ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨ ﴾ ١٦٤

﴿ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩ ﴾ ١٦٤

﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠ ﴾ ١٦٤-١٦٥

﴿ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١ ﴾ ١٦٥

﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ ﴾ ١٦٥-١٦٦

﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ ١٦٦

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾ ١٦٦-١٦٧

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾ ١٦٧

﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ ١٦٧-١٦٨

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ ١٦٨

﴿ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ ﴾ ١٦٨

﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ ١٦٨-١٦٩

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ ١٦٩-١٧٠

﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ ١٧٠

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ ﴾ ١٧٠-١٧١

﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ ﴾ ١٧١

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ ﴾ ١٧١

﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ ﴾ ١٧٢

﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ ... ١٧٢

تفسير سورة عبس	....	**١٧٤-١٩٢**
﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ ﴾	....	١٧٣-١٧٥
﴿ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ ﴾	....	١٧٥
﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ ﴾	....	١٧٦
﴿ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ ﴾	....	١٧٦
﴿ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ ﴾	....	١٧٧
﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ ﴾	....	١٧٧
﴿ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ ﴾	....	١٧٧
﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ ﴾	....	١٧٧-١٧٨
﴿ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ ﴾	....	١٧٨
﴿ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾	....	١٧٨
﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ ﴾	....	١٧٨-١٧٩
﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ ﴾	....	١٧٩
﴿ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ ﴾	....	١٧٩
﴿ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤ ﴾	....	١٧٩-١٨٠

﴿ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ ﴾ ١٨٠

﴿ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦ ﴾ ١٨٠-١٨١

﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ ﴾ ١٨١

﴿ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ ﴾ ١٨١-١٨٢

﴿ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ﴾ ١٨٢

﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ﴾ ١٨٢-١٨٣

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ﴾ ١٨٣

﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢ ﴾ ١٨٣

﴿ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ٢٣ ﴾ ١٨٣-١٨٤

﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ ﴾ ١٨٤

﴿ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ﴾ ١٨٤-١٨٥

﴿ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ ﴾ ١٨٥

﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ ﴾ ١٨٥

﴿ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ ﴾ ١٨٥-١٨٦

﴿ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ ﴾ ١٨٦

﴿ وَحَدَآئِقَ غُلۡبًا ۝٣٠ ﴾ ١٨٦

﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ ﴾ ١٨٦

﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٢ ﴾ ١٨٧

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ ﴾ ١٨٨

﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤ ﴾ ١٨٨

﴿ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ ﴾ ١٨٨

﴿ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ ﴾ ١٨٨

﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ۝٣٧ ﴾ ١٨٨-١٨٩

﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۝٣٨ ﴾ ١٨٩

﴿ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ۝٣٩ ﴾ ١٩٠

﴿ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ۝٤٠ ﴾ ١٩٠

﴿ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ ﴾ ١٩٠-١٩١

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ۝٤٢ ﴾ ١٩١

تفسير سورة التكوير ١٩٢-٢٠٤

﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ ﴾ ١٩٢-١٩٣

﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ ﴾ ١٩٣

﴿ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ ﴾ ١٩٣-١٩٤

﴿ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ ﴾ ١٩٤

﴿ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ ﴾ ١٩٤

﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ ﴾ ١٩٤-١٩٥

﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧ ﴾ ١٩٥

﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ ﴾ ١٩٥-١٩٦

﴿ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩ ﴾ ١٩٦

﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠ ﴾ ١٩٧

﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١ ﴾ ١٩٧

﴿ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢ ﴾ ١٩٧

﴿ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣ ﴾ ١٩٧-١٩٨

﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤ ﴾ ١٩٨

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ﴾ ١٩٨

﴿ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ ﴾ ١٩٩

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ ﴾ ١٩٩

﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾ ١٩٩

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ﴾ ٢٠٠

﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ ﴾ ٢٠٠

﴿ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ ﴾ ٢٠٠-٢٠١

﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ ﴾ ٢٠١

﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ ٢٠١-٢٠٢

﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ ﴾ ٢٠٢

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ ٢٠٢

﴿ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ ٢٠٢-٢٠٣

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ٢٠٣

﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ ٢٠٣

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ٢٠٣-٢٠٤

تفسير سورة الانفطار ٢٠٤-٢١٤

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ ﴾ ٢٠٥

﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ ﴾ ٢٠٦

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ ﴾ ٢٠٦

﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ ﴾ ٢٠٧-٢٠٦

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ ﴾ ٢٠٨-٢٠٧

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ﴾ ٢٠٨

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ ﴾ ٢٠٩

﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ ٢١٠-٢٠٩

﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ ﴾ ٢١٠

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ ﴾ ٢١٠

﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ ﴾ ٢١١-٢١٠

﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ ﴾ ٢١٢-٢١١

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ ﴾ ٢١٢

﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ ﴾ ٢١٣-٢١٢

﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ ﴾ ٢١٣

﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ ﴾ ٢١٣

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ﴾ ٢١٣

﴿ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ ﴾ ٢١٣-٢١٤

﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ ٢١٤

تفسير سورة المطففين ٢١٥-٢٣٦

﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ﴾ ٢١٥-٢١٦

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴿٢﴾ ﴾ ٢١٦-٢١٧

﴿ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ ٢١٧

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ ﴾ ٢١٧-٢١٨

﴿ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ ﴾ ٢١٧-٢١٨

﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ ٢١٨

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾ ﴾ ٢١٨-٢١٩

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ ﴾ ٢١٩

﴿ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾ ﴾ ٢١٩

﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ ٢١٩-٢٢٠

﴿ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ ﴾ ٢٢٠

﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ ﴾ ٢٢٠

﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ ﴾ ٢٢٠-٢٢١

﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾ ٢٢١

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾ ٢٢١-٢٢٢

﴿ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦ ﴾ ٢٢٢

﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧ ﴾ ٢٢٢

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ ﴾ ٢٢٢

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ ﴾ ٢٢٣

﴿ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ ﴾ ٢٢٣

﴿ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١ ﴾ ٢٢٣

﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ ﴾ ٢٢٣-٢٢٤

﴿ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ ﴾ ٢٢٤

﴿ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ ﴾ ٢٢٤

﴿ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ ﴾ ٢٢٤-٢٢٥

﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ ﴾ ٢٢٥

﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ ﴾ ٢٢٥-٢٢٦

﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨ ﴾ ٢٢٦

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ ﴾ ٢٢٦-٢٢٧

﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ ﴾ ٢٢٧

﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ ﴾ ٢٢٧

﴿ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ ﴾ ٢٢٧-٢٢٨

﴿ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣ ﴾ ٢٢٨

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ ﴾ ... ٢٢٨

﴿ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ ﴾ ٢٢٨-٢٢٩

﴿ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ ﴾ ٢٢٩

تفسير سورة الانشقاق ٢٣٠-٢٤٠

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ ﴾ ٢٣٠

﴿ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢ ﴾ ٢٣٠-٢٣١

﴿ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣ ﴾ ٢٣١

﴿ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤ ﴾ ٢٣١

﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ ﴾ ٢٣٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ ﴾ ٢٣٢

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ ﴾ ٢٣٢-٢٣٣

﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ ﴾ ٢٣٣

﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ ﴾ ٢٣٣-٢٣٤

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ ﴾ ٢٣٤

﴿ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ ﴾ ٢٣٤-٢٣٥

﴿ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ ﴾ ٢٣٥

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ ﴾ ٢٣٥

﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ ﴾ ٢٣٥-٢٣٦

﴿ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥ ﴾ ٢٣٦

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ ﴾ ٢٣٦

﴿ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ ﴾ ٢٣٧

﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ ﴾ ٢٣٧

﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩ ﴾ ٢٣٧-٢٣٨

﴿ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠ ﴾ ٢٣٨

﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ۝٢١ ﴾ ٢٣٨

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ ﴾ ٢٣٨-٢٣٩

﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ ﴾ ٢٣٩

﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ ﴾ ٢٣٩

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ۝٢٥ ﴾ ٢٣٩-٢٤٠

تفسير سورة البروج .... ٢٤١ -٢٥٣

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ ﴾ ٢٤١-٢٤٢

﴿ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ ﴾ ٢٤٢

﴿ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ ﴾ ٢٤٢-٢٤٣

﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ﴾ ٢٤٣-٢٤٦

﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ ﴾ ٢٤٦

﴿ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ ﴾ ٢٤٦

﴿ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ ﴾ ٢٤٦-٢٤٧

﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ﴾ ٢٤٧

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ ٢٤٧-٢٤٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ...﴿١٠﴾ ﴾ ... ٢٤٨-٢٤٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ...﴿١١﴾ ﴾.... ٢٤٩-٢٥٠
﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ ٢٥٠
﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾ ٢٥٠
﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ ٢٥٠-٢٥١
﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ ٢٥١
﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ ٢٥١
﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ ﴾ ٢٥١-٢٥٢
﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ ﴾ ٢٥٢
﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ ﴾ ٢٥٢
﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ ٢٥٢-٢٥٣
﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ ٢٥٣
﴿ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ ٢٥٣
تفسير سورة الطارق ٢٥٤-٢٦٠

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ ﴾ ٢٥٤

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ﴾ ٢٥٤-٢٥٥

﴿ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾ ٢٥٥

﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ ﴾ ٢٥٥

﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ ﴾ ٢٥٥-٢٥٦

﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ ﴾ ٢٥٦

﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ ٢٥٦-٢٥٧

﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ ﴾ ٢٥٧

﴿ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ ﴾ ٢٥٧

﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠ ﴾ ٢٥٧-٢٥٨

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ ﴾ ٢٥٨

﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ ﴾ ٢٥٨

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ ﴾ ٢٥٨

﴿ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤ ﴾ ٢٥٨-٢٥٩

﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ ﴾ ٢٥٩

﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ ٢٥٩

﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾ ﴾ ٢٥٩-٢٦١